المقامات

الله غايتنا

ظفر الله خان

تعريب: الأستاذ الدكتور فضل الله

المقامات
الله غايتنا
ظفر الله خان

المقامات

الله غايتنا

ظفر الله خان

تعريب: الأستاذ الدكتور فضل الله

منشورات مجمع البحوث الإسلامية

الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد

رقم: ١٨٢

خان، ظفر الله

تعريب: الأستاذ الدكتور فضل الله

المقامات: الله غايتنا

مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد: ص ٤٧٤

١ – المقامات، التصوف ٢- فضائل الأخلاق

الطبعة الأولى: ٢٠١٩م

ISBN: 978-969-408-375-9 297.44 DDC 21

لجنة إعداد لنشر الكتاب:

رئيس اللجنة: الأستاذ الدكتور محمد ضياء الحق، المدير العام لمجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد ـ باكستان

ناظر الطباعة: إحسان الله چشتي، المحاضر بمجمع البحوث الإسلامية

كاتب: مسعود الرحمن

مصمم المسودة: زاهدة أحمد/ ثوبية

الطابع : رستم خان، نائب المدير بقسم المطبوعات

الناشر: راجه مسعود برويز رئيس قسم المطبوعات



طبع ونشر

مجمع البحوث الإسلامية

الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد

باكستان

فهرس العناوين

***

التقديم

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على من لانبي بعده، وبعد: إن جوهر التصوف يقود إلى حقيقة ومعنى التصوف بأن ينزه الإنسان عن حب الذات واللذات البهيمية والتوجه وحث النفس للبحث والسعي وراء الحقيقة بالمحبة والإخلاص المتفاني، وهو ما يدعي بالطريقة التي تعتبر طريقا روحانيا إلى الله، وأن يصل العبد إلى معبوده ويشاهده بمشاهدة الروحانية، كما أشار النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين إلى ذلك في حديث جبرائيل عند ما سئل عنه ما الإحسان؟ فأجاب عليه السلام: أن تعبد الله كأنك يراه فإن لم تكن تراه فكأنه يراك. وقد قام المؤلف لهذا الكتاب فضيلة الشيخ "بيرستر ظفر الله خان" ببيان المقامات المعروفة في مجال التصوف والسلوك، واختار المصنف في كتابه أسلوب سهل، وبين مباحثه في ضوء الكتاب والسنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام وآراء السادة من المتصوفين والمتكلمين، واستفاد من المصادر الأصلية في نقل آراء العلماء وبيان مباحث المقامات السلوك وتزكية النفس، وأهم ما في الكتاب أن طلبة التصوف وأصحاب السلوك يستطيعون أن يقرؤه فلا يشعرون أنهم يقرأون شئيا غريبا عليهم ولا بعيدا عنهم، بل سيجدون في قرأتهم اللذة العلمية والتعمق العلمي ودقة التعبير اللغوي والاصطلاحي، ما يجعلهم يفضلونه على غيره من كتب في مجال التصوف وخاصة في مجال المدارج السلوك والتزكية.

هذا وفي الختام أتقدم بالشكر الجزيل لمترجم هذا الكتاب الأستاذ الدكتور فضل الله حفظه الله، وناظر الطباعة إحسان الله چشتي المحاضر بمجمع البحوث الإسلامية، والطابع رستم خان نائب المدير بقسم المطبوعات، والناشر راجه مسعود برويز رئيس قسم المطبوعات، ومصمم المسودة الأخت ثوبية وزاهدة أحمد، والكاتب مسعود الرحمن، ولكل من ساعد في طباعته مباشرة وغير مباشرة، وأسأل الله عزوجل أن يجعل هذا العمل خالصا

لوجهه الكريم وعونا على طاعته وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله واصحابه ومن تبعهم إلى يوم الدين.

الأستاذ الدكتور محمد ضياء الحق
المدير العام مجمع البحوث الإسلامية
الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد

المقدمة

ينحصر بقاء المجتمع الإسلامي بوجود الأفراد الذين يتخلّقون بخُلق عال، ويبذلون جهوداً في هذا السبيل. ولا يمكن وجود مثل هؤلاء الأشخاص إلا إذا أراد الإنسان أن يُنَقّي نفسه من الأهواء النفسية ويزكّيها.

تنمو وتتطور الصفات الحسنة والاستعداد للأعمال الصالحة والقوى الروحية بالتزكية، فتتأثر بها السيرة البشرية تأثراً إيجابياً إلى أن تتحوّل النفس الأمارة بالسوء إلى النفس اللوامة، ثم تتحوّل من اللوامة إلى النفس المطمئنة. إذا كان الفرد يحتاج إلى التزكية فكيف يستغني المجتمع من التزكية والإحسان؟ ولذا نقول إن المجتمع الإسلامي النبيل يتطلب من الأفراد التزكية والإحسان. والتصوف والسلوك أو الإحسان ما هو إلا اسم ثانٍ لتزكية النفس.

يحتاج المجتمع الإسلامي إلى التزكية والإحسان لبقائه ولنيل المُثل العليا والرقي والازدهار.

نظراً إلى ضرورة المجتمع الإسلامي لهذا الأمر بدأت العمل في ضوء القرآن والسنة وكلام السلف الصالحين رحمة الله عليهم. وهذا كتاب رابع في هذه السلسلة، وقبل هذا تمت طباعة: (١) كتاب الزهد، (٢) الإنسان المثالي (٣) اللّهم.

فكرة المقامات فكرة مهمة، وقد تأملت في هذا الموضوع حوالي خمس وثلاثين سنة، وهذا الكتاب لب هذه التأملات. توجد في كتب السلوك والتصوف مباحث موجزة عن المقامات في حين أن بعضها لا تخلو من الإفراط والتفريط (الغلو والتقصير) ولهذا حاولت أن:

(i)- يُبحث أساس كل مقام في ضوء القرآن والسنة.

(ii)- تُسلّط الأضواء على الجوانب المتنوّع.

(iii)- يُذكر كلام الصوفيين في ضمن كل مقام.

(iv)- يُكتب بعض الأحداث والوقائع عن التصوف ليسهل التعلم والاستفادة من النماذج الحية.

(v)- يُجتنب من الغلو والتقصير في البحث كله.

يشتمل هذا الكتاب على مقدمة وأحد عشر باباً:

١- مقام التوبة ٢ – مقام التقوىٰ ٣- مقام الزهد ٤- مقام الصبر

٥- مقام الرضا ٦- مقام التوكل ٧- مقام الصدق ٨- مقام الشكر

٩- مقام التواضع ١٠- مقام السخاء ١١- مقام الإخلاص

أرجو الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا الكتاب معيناً لتزكية البشرية وسبباً لمغفرة المصنف.

ظفر الله خان

زاوية سلسله عاليه، إسلام آباد

جنوري ٢٠١٩م

***

مقدمة المترجم

نحمدك اللّهم حمد الشاكرين، ونصلي ونسلم على رسوله الكريم، وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين. أما بعد!

فمن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان بقدرته الفائقة، وجعله مكوّنا من الجسد والروح، وجعل الجسد من التراب ووضع رزقه ولباسه وأدويته وغيرها من الاحتياجات اللازمة في التراب. أما الروح فهي أمر ربي، نفخ الله سبحانه وتعالى روحه في الجسد، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1]، ويقول: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[2]. وقد وضع الله تعالى قوى الخير والشر في البشر، وهو في أمس الحاجة إلى الأعمال التي تقوّي جانب الخير وتغذّي الروح وتنقّيَها من أدران الشهوات والمعاصي.

وقد جعل الله التزكية والإحسان من مهمات الرسل، إذ يقول: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[3]، وجميع الرسل دعوا قومهم إلى التزكية والسلوك؛ لأن التزكية تنمّي جوانب الخير وتؤدي دورا هاماً في غلبة الخير على الشر لتتحول النفس الأمارة بالسوء إلى النفس المطمئنة.

والكتاب الذي بين أيدينا يسلط الأضواء على مقامات السلوك والتصوف. وقد

١- سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

٢- سورة الحجر، الآية: ٢٩.

٣- سورة الجمعة، الآية: ٢.

تكلم العلماء عن هذه المقامات قديماً، ولكن تناولهم مختلف عن هذا الكتاب. وقد بذل المصنف ظفر الله خان جهودا مضنية في تأصيل هذه المقامات من القرآن الكريم والسنة النبوية وكلام السلف الصالحين. ووضّح أن التزكية تهذّب النفوس البشرية بمكارم الأخلاق وتزكّي من رذائل الأخلاق. ولا يمكن الاستغناء في زمن من الأزمان من التزكية. والعصر الحديث في أمس الحاجة إلى التزكية والسلوك لغلبة المادة والشهوات، ووفرة وسائل الإعلام الداعية إلى الإباحية والفحش. والكتاب يحاول أن يحافظ الجيل المعاصر من براثن البهيمية والفحش وأخطار العولمة بالتزكية والسلوك.

أما صاحب الكتاب فهو من العلماء الذين يجمعون بين الأصالة والمعاصرة، عنده إلمام تام بالفكر الإسلامي الكلاسيكي وتعمّق في المذاهب الفكرية المعاصرة. وهو يعرف علوم القدماء وتحديات العصر الحديث. والكتاب خير نموذج للجمع بين القديم والحديث وبين الدين والدنيا. وقد بذلت جهدي في تعريب هذا الكتاب بلغة سهلة مفهومة ليستفيد عامة القراء؛ لأن الكتاب موسوعة قيّمة تجمع مواد التصوف والسلوك مع تأصيلها في مكان واحد بدون إفراط وتفريط. ندعو الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا الكتاب مفيداً للجميع، ويقبل جهود المؤلف والمترجم بفضله، فإنه سميع مجيب.

الأستاذ الدكتور فضل الله

أستاذ البلاغة العربية، قسم الأدب،

كلية اللغة العربية الجامعة الإسلامية العالمية،

إسلام آباد، باكستان.

٢٠١٨- ١٢- ٣١

***

تعريف التصوف



١ - مفهوم الإسلام:

١- اشتقت كلمة "الإسلام" من "السلم" معناها الإطاعة والأمن، يتغير المعنى في اللغة العربية تغيراً واسعاً بتغير إعرابي بسيطٍ. وتستخدم كلمة السّلم بطريقتين:

(i)- سَلْم (بفتح السين المهملة) بمعنى الأمن والسلامة.

(ii)- سِلْم (بكسر السين المهملة) بمعنى الانقياد والطاعة والعبودية.

٢- جاءت كلمة "الإسلام" بمعنى الأمن والسلامة في سورة الأنفال بالأسلوب التالي: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[١].

٣- وجاءت الكلمة بمعنى الإطاعة والانقياد في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٢].

٤- أساس الإسلام هو الإيمان، والإيمان عبارة عن عقائد الإسلام (إقرار باللسان وتصديق بالقلب)، ولا يدخل أحد في الإسلام إلا بالإيمان بها، وقد بُيّنت هذه العقائد في حديث رُوي عَنْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله تعالى عنه قَالَ: {بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ.ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: "أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا". قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. ثُمَّ قَالَ: أَخْبِرْنِي

١- سورة الأنفال، الآية: ٦١.

٢- سورة البقرة، الآية: ٢٠٨.

عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: "أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ". قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟ قَالَ: "أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاه، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ". قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: "مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ بِهَا مِنَ السَّائِلِ". قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: "أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ". قَالَ: عُمَرُ فَلَبِثْتُ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا عُمَرُ، هَلْ تَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟"، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام أَتَاكُمْ لِيُعَلِّمَكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ}[1].

٥- وضّح الحديث المذكور حقيقة الإيمان والإسلام، كما وضّح علاقة الإيمان بالباطن، وتتضح من الحديث كذلك شعب الإيمان الآتية:

(i)- الإيمان بالله تعالى: مقصود الإيمان بالله هو الاعتقاد بذات الله وصفاته وأنه هو المعبود الحقيقي، ولا معبود سواه، ولا شريك له ولا مثيل له.

١- الصحيح للإمام البخاري، ج:١، رقم الحديث: ٤٩، عن أبي هريرة رضي الله عنه، ونفس المصدر، ج:٢، رقم الحديث: ١٩٨٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه، والصحيح للإمام مسلم، ج:١، رقم الحديث: ٩٦، عن يحي بن يعمر رضي الله عنه، ونفس المصدر، ج:١، رقم الحديث: ١٠٠ و١٠٢، عن أبي هريرة رضي الله عنه، والسنن للإمام أبي داؤد، ج: ٣، رقم الحديث: ١٢٩١، عن يحيى بن يعمر رضي الله عنه، والسنن للإمام النسائي، ج: ٣، رقم الحديث: ١٢٩٩ عن عمر الفاروق رضي الله عنه، ونفس المصدر، رقم الحديث: ١٣٠٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه، والجامع للترمذي للإمام الترمذي، ج:٢، رقم الحديث: ٥١٨، عن يحيى بن يعمر رضي الله عنه، والسنن للإمام ابن ماجه ج:١، رقم الحديث: ٦٣، عن عمر الفاروق رضي الله عنه، والمسند لإمام أحمد، ج:١، رقم الحديث: ١٧٩، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، رقم الحديث: ٣٤٦ عن عمر الفاروق رضي الله عنه.

(ii)- الإيمان بالملائكة: المراد من الإيمان بالملائكة هو أن الملائكة مِن خَلْقِ الله وأنها مخلوق نوريٌّ، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

(iii)- الإيمان بالكتب: والمقصود منه أن الكتب التي أُنزلت من جانب الله تعالى على رسله في أزمان مختلفة هي كلام الله وفيها أحكام ربانية، ولكنها لم تبق على حالها الأصلية سوى القرآن الكريم، ولذا يجب العمل على القرآن الكريم فقط.

(iv)- الإيمان بالرسل: والمراد منه أن الأنبياء بدءًا من آدم عليه السلام انتهاء بخاتم النبيين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلهم أنبياء الله ورسله، وأن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصدقهم وأحبهم إلى الله وأفضلهم مرتبة عند الله. وأن الله تعالى أرسل الأنبياء في أزمان مختلفة وإلى أقوام شتى، وأدّوا فريضتهم حسب أوامر الله تعالى لهداية أهل الأرض وإشاعة المعروف، وأن آخر الأنبياء هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي لم يبعث لزمن معين ولمنطقة خاصة ولشعب خاص، بل أُرسل إلى كافة الناس لتبليغ الإسلام السرمدي، وأن رسالته وشريعته هي التي تستمر حتى يوم القيامة.

(v)- الإيمان بيوم الآخرة: يعنى الإيمان بالآخرة (القيامة) هو الاعتقاد على الأحكام والأحوال التي وردت عن يوم القيامة، أي: الأحوال التي تأتي بعد موت الإنسان من أحوال القبر والبرزخ، ونفخ الصور، والحشر والنشر، والحساب، والجزاء، والعقاب، والجنة والنار هي حقائق لا بد من وقوعها ولا شك في حدوثها.

(vi)- الإيمان بالقدر: والإيمان بالقدر هو الاعتقاد أن كل ما يحدث في الدنيا يحدث بقدر معلوم، وكل ما يقع من خيرٍ أو شرٍ هو موجود في علم خالق الكون وقدرته، ولكن لا يعني هذا أن الإنسان مُجبَرٌ فحسب، كاتب القدر جعل الإنسان صاحب الاختيار، أي: أنه هداه النجدين، أي: طريق الخير والشر. فله أن يختار طريق الخير

أو الشر ووضّح كذلك أن الإنسان لو اختار طريق الخير لوجد جزاء أعماله، وهذا يتم بفضله سبحانه وتعالى، ولو اختار طريق الشر لاستحق العقاب والعذاب ويُلقى في جهنم، وهذا يكون حسب العدل الإلهي.

٦- **أركان الإسلام:**

والشيء الثاني الذي ذكر في حديث جبريل هو أركان الإسلام. وبعد أن يؤمن الإنسان بالعقائد قلباً ويقر لساناً فعليه أن يؤدي أركان الإسلام، وهي كالتالي:

(i)- الشهادتان: شهادة أن لا إله إلا الله وهو الخالق والمالك والرازق والمعبود، لا شريك له، وأن محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم الرسل.

(ii)- الصلاة: وهي فريضة على كل مسلم عاقل بالغ سواء كان رجلاً أو امرأةً خمس مرات يومياً، ويستطيع أن يؤديها منفرداً أو بالجماعة، ولكن الصلاة بالجماعة أفضل من الصلاة منفرداً.

(iii)- الزكاة: وهي فريضة على كل مسلم عاقل صاحب استطاعة، فعليه أن يؤدي الزكاة من ماله بحساب وينفق على المحتاجين المستحقين.

(iv)- الصوم: يجب على المسلم العاقل البالغ صوم شهر رمضان.

(v)- الحج: يجب على المسلم العاقل البالغ صاحب الاستطاعة أن يؤدي فريضة الحج في العمر مرة واحدة. والمراد من الاستطاعة أن يكون عند الإنسان مالاً كافياً ليكون زاداً لسفر الحج بدون ضيق معيشي، وعلاوة على هذا يكون عنده مال ليكون نفقة للأسرة والأولاد أثناء سفره إذا اكتملت شروط الحج من الزاد وغيرها فلا تُسقط المشاكل الأخرى من معاناة السفر وحلول البحر وغيرها فريضة الحج.

٧- الشيء الثالث الذي وُضّح في حديث جبريل عليه السلام هو"الإحسان" والإحسان يُعَبَّرُ عنه بالإخلاص وتزكية النفس والتصوف والسلوك في الحقيقة أن

الإحسان عبارة عن الكيفية التي تأتي بعد التشبّث بالعقائد الصحيحة واتباع الشريعة والخضوع أمامها بالتوجه إلى الله، ويقرّب (الإحسان) العبد إلى المعبود، فتكون صورة الإيمان والإسلام (أي: حقوق الله وحقوق العباد) ذات قيمة وحسن. وهذا المقياس الصحيح والحسن هو الذي يقرّب العبد إلى المعبود ويعطيه مقام العبودية الحقيقية.

كيف يزّين العبد عبادته بهذا الجوهر؟ ولا يمكن حصوله إلا أن يعبد الإنسان ربه كما أن المؤظف والخادم يخدم مولاه حينما يكون أمامه. وهذه نكتة نفسية لو كان المولى الشفيق أمام العبد، والعبد يراه، تكون كيفية العمل والخدمة مختلفة تماماً. ولا يكون العبد في مثل هذا الوقت في غاية النشاط والأدب الجم فحسب، بل يكون عمله مليئاً بالحب والإخلاص.

٨- نظراً إلى هذه النقطة لو استطاع الإنسان في إيجاد هذه الكيفية بحيث أنه يشاهد الله تعالى، فتحصل أحوال الخشوع والانقياد في عبادته، وبهذا يصل العمل إلى مرتبة العبادة الحقيقية، وبالتالي يمكن للإنسان أن يجد أهداف العبادة الحقيقية، وتسمى هذه المرتبة للعبادة "بالإحسان"، ويعبر عنها أهل التصوف بالمشاهدة والاستغراق. ولا يخفى على أن هذا المقام للعبادة من أعلى المراتب، ولا يسهل الوصول إليه، ولذا يُطلب من الإنسان طريقة أسهل من هذا هو أن يتصور الإنسان أثناء عبادته أن الله سبحانه وتعالى يراه، فيأتي في عبادته الخشوع والانقياد إلى حد ما، ويمكن حصول درجة الإحسان، وعُبّر في الحديث عن هذه الكيفية أيضاً بالإحسان الذي هو أقل درجة من الإحسان أي: من المشاهدة والاستغراق.

٩- في الحقيقة أن هذه الأشياء الثلاثة لها علاقة وطيدة فيما بينها، بل هي بمثابة جزء لا يتجزأ؛ لأن التقرب إلى الله ورضاه لا يمكن حصوله إلا بالعمل بأوامر الله

سبحانه وتعالى و أوامر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والأعمال لا تكون مقبولة عند الله وعند رسوله إلا إذا أُدّيت بكل حب ظاهراً وباطناً وخشيةٍ وإحضار قلب. وليس لها قيمة إلا بصحة العقيدة واليقين الكامل. والمؤمن الكامل يكون قلبه وفكره منور بنور العقائد الإيمانية، ثم يؤدي فرائض ربه ويطيعه إطاعة كاملة في الأحكام الموجهة إليه من قِبَل ربه ورسوله ثم يجتهد بالتعبد لحصول الإخلاص والتوجه إليه ورضائه ليرتقى إلى حسن الإيمان والعظمة.

٢- تعريف التصوف:

(١)- اختلف الباحثون في كلمة الصوفي أو التصوف: قد صرّح سراج الدين الطوسي في اللمع في التصوف، ومحمد أبو بكر الكلابازي في التعرف والإمام القشيري في الرسالة القشيرية، والسيد على الهجويري في كتابه كشف المحجوب، والعلامة ابن الجوزي في تلبيس إبليس أن كلمة "الصوفي" أخذت من الصوف؛ لأن الصوفي يلبس لباس الصوف. وقال بعضهم سمى الصوفي صوفياً؛ لأنه يكون في الصف الأول في الصلاة. وبعضهم يرون أن الكلمة نسبة إلى الصفة، والآخرون يرون أنها أخذت من الصفاء. قال السيد العلامة على الهجويري إن الصفا مقبول وضده الدرن والوسخ؛ لأن أهل التصوف يُصَفّون خُلقهم وأعمالهم وبريئون من الآفات القلبية، ولذا يقال لهم أهل التصوف.

(٢)- **وهناك صورتان للصفاء:**

(i)- الصورة الأولى: القلب يكون خالياً من محبة غير الله تعالى.

(ii)- والصورة الثانية: أن يكون القلب خالياً من حب الدنيا.

(٣)- يرى أرد شير عبادي رحمة الله عليه أن أصل الصوفي من الصَّفْوَة، وأصل التصوف هو الصفوة ومعنى الصفوة هو البعد عن الدرن والوسخ، والذهب الذي نُقّي من

الأوساخ يسمى صافياً. والقلب الذي يكون خالياً من الهوى يقال صافياً، وصاحب القلب الصافي يقال له صوفياً، فعلى الإنسان أن يُنقى باطنه ثم يلبس لباساً عادياً[١].

(٤)- يرى أبو الفتح البستي أن الصوفي هو الذي اختار الصفاء، ونقّى نفسه من الأهواء النفسية إلى أن يُلَقّبَ بالصوفي[٢].

(٥)- بعضهم يرون أن كلمة الصوفي أخذت من الصوفة، والصوفة اسم قبيلة كانت تخدم الكعبة[٣].

(٦)- لباس الصوف في الإسلام علامة الزهد والفقر والقناعة. ولهذه النسبة اشتهرت كلمة الصوفي في الإسلام، وبعضهم خدعوا الناس بلباس الصوف، وليس من الضروري أن يلبس أهل السلوك لباس الصوف.

(i)- يقول الرومي رحمة الله عليه[٤]:

حرف درویشان بدزدد مرد دون   تا بخواند بر سلیمی زان فسون
کار مردان روشنی و گرمی ست   کار دونان حیله و بی شرمی ست
پشمین از برای گد کنند   مسیلم را لقب احمد کنند

(أن الإنسان الخسيس يسرق كلام الزهاد ليخادع الناس السذج، وعمل الرجال هو الإضاءة والتنشيط، وعمل الحقراء هو الخداع وعدم الاستحياء، وهؤلاء المخادعون يلبسون لباس الصوف للخداع ولطلب الدنيا، ويلقبون المسيلمة الكذاب بلقب أحمد).

١- التحقيق ما للهند لأبي الريحان البيروني، ص: ٢٢- ٢٣.

٢- تلبيس إبليس، لابن الجوزي، ص: ١٣٥.

٣- المرجع السابق، ص: ١٣٥.

٤- مثنوي معنوي، لمولانا جلال الدين الرومي، الدفتر الأول: ١١. حكاية مرد البقال والببغاء وإراقة الطوطي الزيت في الدكان: (حكايت مرد بقال وطوطى و روغتن ريختن در دكان).

(ii)- ويقول الشيخ سعدى رحمة الله عليه[١]:

مراد اہل طریقت لباس ظاہر نیست   کمر بہ خدمتِ سلطان ببند و صوفی باش

(ولا يكون الرجل صوفياً بمظهر خارجي فقط، وإنما الصوفي هو الذي يخدم الملك ولكنه صوفي بقلبه)

ويقول في موضع آخر[٢]:

، بجز خدمتِ خلق نیست   بہ تسبیح و سجاده و دلق نیست

(ما التصوف والسلوك إلا خدمة الخلق، وليس عبارة عن المسبحة والمصلى والثعلبية: النفاق والمكر).

٣- **أقوال الصوفياء عن التصوف:**

(١)- يقول أبو الحسن بن أحمد الفارسي رحمة الله عليه إن أركان التصوف هي ما يلي[٣]:

(i)- تجريد التوحيد: عدم وجود الشك والنقص فيه.

(ii)- معرفة السماع: لا يسمع بطاقة العلم بل يسمع بحاله.

(iii)- إيثار الإيثار: أن يفضل الآخرين في الإيثار ليجد الآخرين فضائل الإيثار.

(iv)- سرعة الوجد: لا يخلوا الباطن من الأمور التي تشعل الوجد، ولا يكون ممتلئاً بأشياء تصده عن الحق.

(v)- إفشاء أحوال الباطن: والمراد منه على السالك أن يبحث كل خيال يأتي في قلبه ثم يتبع الفكر الذي يأتي من الله تعالى ويترك الذي جاء من غيره.

١- مواعظ، لشيخ سعدي، غزليات: العدد: ٢٩، (گناه کردن پنهان به از عبادت فاش). (ارتكاب الذنوب سراً أحسن من العبادة الظاهرة).

٢- بوستان، لشيخ سعدي، الباب الأول (در عدل و تدبير ورأى).

٣- التعرف لأبي بكر بن أبي إسحاق محمد بن إبراهيم البخاري الكلاباذي، ص: ١٣٥.

(vi)- كثرة السفر: الأمر بكثرة السفر ليتعظ الصوفي من مشاهد العبرة في الدنيا.

(٢)- قال محمد بن على القصاب رحمة الله عليه: التصوف: أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام[١].

(٣)- وقال معروف الكرخي رحمة الله عليه: التصوف الأخذ بالحقائق، واليأس مما في أيدي الخلائق[٢].

(٤)- رويم بن أحمد البغدادي رحمة الله عليه يقول: التصوف مبني على ثلاث خصال:

(i)- التمسك بالفقر والافتقار إلى الله-

(ii)- التحقق بالبذل والإيثار-

(iii)- وعدم الحرص على متاع الدنيا[٣].

(٥)- وقال أبو الحسن النوري رحمة الله عليه: نعت الصوفي السكون عند العدم، والإيثار عند الوجود[٤].

(٦)- وقال أبو بكر الكتاني رحمة الله عليه: التصوف خُلق حسن، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الصفاء[٥].

(٧)- وقال أبو على أحمد الروذباري رحمة الله عليه: التصوف الإناخة على باب الحبيب وإن طرد عنه.وقال أيضاً: صفوة القرب بعد كدورة البعد[٦].

١- الرسالة القشيرية، للإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ٣٣٤.

٢- المرجع السابق، ص: ٣٣٤.

٣- المرجع السابق، ص: ٣٣٤.

٤- المرجع السابق، ص: ٣٣٥.

٥- المرجع السابق، ص: ٣٣٥.

٦- المرجع السابق، ص: ٣٣٥.

(٨)- وقال أبو بكر الشبلي رحمة الله عليه: التصوف الجلوس مع الله بِلا همٍّ[١].

(٩)- وقال الجريري رحمة الله عليه: التصوف مراقبة الأحوال، وروم الأدب[٢].

(١٠)- وقال المزين: التصوف: الانقياد للحق[٣].

(١١)- سُئل ذو النون المصري رحمة الله عليه عن أهل التصوف فقال: هم قوم آثروا الله عزوجل على كل شيءٍ فآثرهم الله عزوجل على كل شيءٍ[٤].

(١٢)- قال الشيخ ابن جلاّ رحمة الله عليه: الفقير الذي لا ينظر إلى أيّ سبب سوى الله يقال له صوفيا[٥].

(١٣)- قال أبو سهل الصعلوكي رحمة الله عليه: التصوف هو ترك الشكوى[٦].

(١٤)- يقول الشيخ الجنيد البغدادي رحمة الله عليه: أن التصوف هو معرفة الحدود، وأن لا ينظر الإنسان سوى حدوده، ولا يوافق سوى ربه ولا يساعد سوى وقته[٧].

(١٥)- ويقول الجنيد رحمة الله عليه: التحاق الباطن بالله سبحانه وتعالى تصوف، وهذه الكيفية لا تحصل إلا بترك الأسباب لتمسكه بالله سبحانه وتعالى[٨].

(١٦)- يقول الشيخ أبو العباس بن عطا رحمة الله عليه: أن التصوف هو الانقياد إلى الله وإطاعته[٩].

١- المرجع السابق، ص: ٣٣٥.
٢- المرجع السابق، ص: ٣٣٦.
٣- المرجع السابق، ص: ٣٣٦.
٤- المرجع السابق، ص: ٣٣٦.
٥- المرجع السابق، ص: ٣٣٦.
٦- التعرف لأبي بكر بن أبي إسحاق محمد بن إبراهيم البخاري الكلابازي، ص: ١٣٨.
٧- المرجع السابق، ص: ١٣٨.
٨- المرجع السابق، ص: ١٣٨.
٩- المرجع السابق، ص: ١٣٨.

(١٧)- قال أبو يوسف سوسي رحمة الله عليه: أن الصوفي هو الذي لا يضطرب بفقد شيءٍ ولا يُتعب نفسه في طلب شيءٍ[١].

٤- حقيقة التصوف:

(١)- أضرت المصطلحات الحقائق أحياناً، وهناك قصص طويلة في كل علم لهذا التعدي في العالم، تنشأ أسئلة جديدة عن هذه المصطلحات، وتظهر مدارس فكرية بسببها، وينقسم الناس إلى جماعات وشيع عنها، ولو تُركت تلك المصطلحات واختيرت الكلمات العامة عن تلك الحقائق لسهل على الناس بيان الحقائق والكيفيات. ومصطلح التصوف أيضاً من المصطلحات الرائجة التي أثيرت حولها أسئلة وبحوث وجدال لا نهاية لها.

(٢)- ولو تركنا كلمة "التصوف" التي كثر استعمالها في القرن الثاني[٢] ورجعنا مباشرة إلى القرآن والأحاديث النبوية وآثار الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وقرأنا عنها في القرآن والسنة لعلمنا أن القرآن الكريم والسنة النبوية بهذا الغرض يرشدان إلى ركن مهم من أركان الدين، والذي يعبر عنه "بالتزكية" وجعلها ضمن الأركان الأربعة لمنصب النبوة. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[٣].

(٣)- والمراد من التزكية أن تُهذّب النفوس البشرية بمكارم الأخلاق وتُزكّى من رذائل الأخلاق. وتوجد نماذج رائعة وأمثلة منها في حياة الصحابة رضي الله عنهم،

١- المرجع السابق، ص: ١٣٨.

٢- كشف الظنون للمُلاّ كاتب جلبى، ج: ١، ص: ٢٨٠.

٣- سورة الجمعة، الآية: ٢.

ووُجدت بسببها بيئة صالحةٌ ومجتمعٌ مثاليٌ بحيث لا يمكن للعالم أن يقدم مجتمعاً مثله، ويعبر عنها بـ: "الإحسان" أيضاً.

(٤)- أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْه: {قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: الْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ وَبِلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْث، قَالَ: مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: الْإِسْلَامُ: أَنْ تَعْبُدَ الله وَلَا تُشْرِكَ بِهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، قَالَ: مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ}[١].

(٥)- إذا نظرنا إلى الدين فيتضح لنا أنه ينقسم إلى جزئين:

(i)- أحدهما يتعلق بالأفعال مثل القيام والقعود والركوع والسجود والتلاوة والتسبيح والأدعية والمناسك والأحكام.

(ii)- وثانيها يتعلق بالأحوال الباطنة التي لا تتجزأ عن الأفعال، وهي تبرز بكل وضوح في أفعال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونعبر عنها بالإخلاص والاحتساب والصبر والتوكل والزهد والاستغناء والإيثار والسخاء والأدب والحياء والخشوع والانقياد والإنابة والتضرع والرقة القلبية أثناء الدعاء، وتفضيل الآخرة على الدنيا والوَلَهْ الشديد لرضاء الله سبحانه وتعالى ولقائه وغيرها من الأحوال والخلق الإيمانية.

(٦)- هناك ضوابط معينة للإحسان وهي ثابتة بالكتاب والسنة، ولو لم يصر أهل السلوك على مسلك مخصوص معين لا تفق الناس جميعاً ولم يبق بينهم اختلاف ما.

(٧)- ولا يمكن الاستغناء في زمن من الأزمان عن الرجال المتحلين بالصفات الحميدة والعزيمة القوية، الذين يتلون كتاب الله تعالى، ويعلّمون الناس الحكمة ويزكونهم،

١- الصحيح للإمام البخاري، ج:١، رقم الحديث: ٤٩.

ويؤدّون فريضة نيابة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويُحكمون العلاقة بين المسلمين وربهم، ويجدّدون الميثاق الذي تم بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، والإيمان بها في صورة الإطاعة والانقياد أمام ربهم، ومخالفة النفس والشيطان، والحكم بما أنزل الله ورسوله في المعاملات، والإنكار من الطاغوت، والجهاد في سبيل الله، والتجديد بالعهد الذي تم مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحيث أن الله يخلق من عباده من يحافظ ويصون دينه من الإفراط والتفريط.

(٨)- ليست هناك صورة معينة ومحدودة للتزكية الرائجة في الآونة الأخيرة باسم التصوف، والمتصوفون ليسوا معصومين. لا بُد أن يُملأ الفراغ الذي وقع في حياتنا ومجتمعنا بإحياء حركة التزكية والإحسان كما فعل أسلافنا في زمنهم، ولا بد أن يتم هذا في ضوء الكتاب والسنة. على كل حال يجب أن تستمر هذه السلسلة الميمونة في كل مكان، والفراغ فيه فراغ عظيم ونتائجه الاجتماعية والفردية عظيمة.

(٩)- لم تكن العلوم المستنبطة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية والفقه مستقلة، بل استنبط العلماء علوماً كثيرة من القرآن والسنة، وسُميت بأسماء مستقلة. واعترف الجميع بإمامة مؤسيسي هذه العلوم، وحدث نفس الشيء مع معلمي التزكية الذين كانوا أئمة الجميع مثل: الشيخ عبد القادر الجيلاني، والشيخ خواجه بهاء الدين النقشبندي، وخواجه معين الدين جشتي، والشيخ شهاب الدين السهروردي، والشيخ جنيد البغدادي، والشيخ أبو بكر شبلي، والشيخ بايزيد البسطامي رحمهم الله تعالى جميعاً وغيرهم.

(١٠)- سُمّيت العلوم الإسلامية بمرور الوقت بأسماء محدودة، وكذلك سميت طرق التزكية عند المشائخ بالتصوف. والذي يتبع طريقة المشائخ يقال له أنه يتعلم التصوف أو أنه صوفيٌ. لم يُطلق لقب الصوفي على المصلي والصائم على الرغم من

أن هذه العبادات كلها شاملة في تزكية النفس. ولذا يجب قراءة أمهات الكتب والمصادر عن تزكية النفس، أي: التصوف، مثلما يجب قراءة المصادر المتعلقة بعلم التفسير والحديث والفقه. وجعل التصوف خلاف الإسلام صار عادة الناس، والحال أن التصوف ما هو إلا وسيلة لتقوية الربط والعلاقة بالله تعالى، ولا يمكن الفلاح من غير وجود علاقة بين العبد وربه.

٥- التصوف عند علماء الأمة:

(١)- يأخذ بعض الناس اسم شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن القيم رحمهما الله تعالى عليهما عن الإنكار عن التصوف والنقد عليه. ولا شك في وجود النقد اللازع عن مسائل التصوف ومحاسبة الصوفيين في كتبهما، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه على أيّ نوع من الصوفيين والتصوف وُجّه النقد؟

هل وُجّه النقد على التصوف الذي هو لب القرآن والسنة؟ وهدفه إرضاء الله تعالى؟ والذي يؤكد للعمل بالكتاب والسنة؟ وهل النقد موجّه إلى العلماء الأجلاء مثل: الحسن البصري، والشيخ إبراهيم بن أدهم، والشيخ فضيل بن عياض، والشيخ معروف الكرخي، والشيخ بشر الحافي، والشيخ شفيق البلخي، والشيخ جنيد البغدادي، والشيخ سهل التستري، والشيخ أبو طالب المكي، والشيخ عبد القادر الجيلاني رحمهم الله تعالى جميعاً؟ والحال: أن شيخ الإسلام يصرّح عن هؤلاء الأعلام أنهم شيوخ الإسلام وأئمة الهداية، وأن الله تعالى وضع في الأمة لسان صدق عنهم[1]. وقال عن الشيخ إبراهيم بن أدهم والشيخ فضيل بن عياض، والمعروف الكرخي، والشيخ أبو سليمان الوارثي، والشيخ أحمد الحواري،

١- جلاء العينين لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص: ٥٩.

والشيخ سري سقطي رحهم الله تعالى جميعاً أنهم أكابر شيوخ الصالحين[١].

(٢)- في الحقيقة ظن مخالفوا التصوف في أن ابن تيمية والحافظ ابن القيم رحمهما الله من رافضي التصوف، ولكنهما خالفا التصوف المتفلسفة. يقول السيد سليمان الندوي: "أن مقصود التصوف المتفلسفة هو العقيدة عن الإلهيات مثل الحكماء والعمل على أحكام الأخلاق باختيار الحياة الجافة". وكون مصدر هذا التصوف المتفلسفة مدرسة إشراقية لليونان ومدرسة إسكندرية لأفلاطون مسلّم عند الحكماء المسلمين أيضاً[٢].

(٣)- اتضح من هذا أن التصوف المتفلسفة، والفلسفة الإشراقية والإلهيات الأفلاطونية الحديثة ما هي إلا أطراف لعين واحد. وإن الشيخ ابن تيمية والحافظ ابن القيم رحمهما الله تعالى خالفا هذا التصوف المتفلسفة ونقدا على المسائل التي نشأت من هذا النوع من التصوف.يقول ابن تيمية رحمة الله عليه بنفسه إن هؤلاء لم يتناولوا التصوف على طريقة المسلمين[٣]. يقول الحافظ ابن القيم رحمة الله عليه: أن المتصوفة الذين لا يرون إطاعة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضرورياً هم في الحقيقة قطاع الطريق وزنادقة وملاحدة[٤]. وقد خالف العلماء جميعاً مثل هؤلاء المبتدعين. وأما التصوف الحقيقي وأهل الحق من المتصوفين فهم محترمون عند الإمام ابن تيمية رحمة الله عليه والحافظ ابن القيم رحمة الله عليه. يقول:"ابن تيمية رحمة الله عليه أن بعض المتصوفة يسلكون مسلك الفلاسفة، وهناك جماعة تسلك

١- في السماع والرقص لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص: ١٢٠.

٢- جلاء العينين لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص: ٥٩.

٣- المرجع السابق، ص: ٣٤.

٤- مدارج السالكين للإمام ابن قيم، ج: ٣، ص: ٨٤.

مسلك أهل الحق والسنة مثل فضيل بن عياض رحمة الله عليه والذين ذكرهم الإمام القشيري رحمة الله عليه في الرسالة القشيرية"[١].

(٤)- يمكن تفصيل هؤلاء المتصوفين الذين يجعلهم ابن تيمية رحمة الله عليه من أهل الحق بكل سهولة في الرسالة القشيرية، وأهل الحق من الصوفية يتبعونهم إلى يومنا هذا. وقد قسّم الحافظ ابن قيم رحمة الله عليه الصوفية باعتبار الأحوال إلى أربعة أنواع، ومدحهم قائلاً: إن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وغيرهم من أصحاب الكمال يجمعون العلم الحال، ولما افترق أهل العلم من أهل الحال دخل النقص والخلل في التصوف. وضّح الحافظ ابن القيم قائلاً: رحم الله عبده ويجعل علمه حاله ويجعله متصفاً بهذه الأوصاف[٢].

(٥)- يقول الحافظ ابن القيم رحمة الله عليه في مدارج السالكين في باب الذوق، إن الذين يدّعون الإيمان ولم يتذوقوا حلاوة الإيمان لا يُطلق عليه المؤمن، بل يقال له "المسلم"، فلذا هم مسلمون ليسوا مؤمنين؛ لأن الإيمان لم يدخل في قلوبهم، وليس معنى هذا أنهم خرجوا من الإسلام لعدم تذوقهم، بل يقلّ أجرهم، ولكن معاملة أصحاب الذوق شيءٌ آخر. والذوق شيٌ باطني وعلامته العمل فالأعمال ثمرات العلوم والعقائد، وينشأ مقام الجهاد والإحسان (التصوف) باليقين[٣].

(٦)- نقل الحافظ ابن القيم رحمة الله عليه قول الإمام الشافعي رحمة الله عليه قائلاً أنني صحبت المتصوفين واستفدت منهم شيئين:

(i)- الوقت سيفٌ، إن لم تقطعه يقطعك.

١- جلاء العينين للشيخ الإسلام ابن تيمية، ص: ٣٥.

٢- مدارج السالكين للإمام ابن قيم، ج: ٣، ص: ٨٤.

٣- المرجع السابق، ج:٣، ص: ٨٥.

(ii)- إن لم تُشغل نفسك بالحق فهي تُشغلك بالباطل.

يقول الحافظ ابن القيم رحمة الله عليه: ما أحسن هذا الكلام، ويدل على همة القائل ويكفي مدح الإمام الشافعي رحمة الله عليه لمرتبة الصوفية[1].

(٧)- في الحقيقة أن مخالفة التصوف الصحيح باسم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه والحافظ ابن القيم رحمة الله عليه ليس بإنصاف قط. ولابد أن تُقرأ كتب هؤلاء العلماء الأجلاء ويُنظر في بحوثهم القيّمة عن التصوف واستفادتهم من كلام المشائخ، وتمييزهم بين الحق والباطل. وإذا خالف هؤلاء العلماء التصوف الصحيح أيضاً فعلى القارئ أن يتأمل هل مخالفتهم في فروع التصوف أو في الأصول؟ ولا يُردّ التصوف برمته بسبب ما يحدث في الزوايا الصوفية والمقابر، بل لا بد من التمييز بين الحق والباطل بفضل الله وكرمه.

٦- **بعض الشبهات حول التصوف:**

(١)- هناك نوعان من الشكوك والشبهات حول التصوف وأعماله وأشغاله وهما كالآتي:

(i)- النوع الأول من الشكوك والشبهات التي تنشأ بعد مشاهدة الزوايا الصوفية والمتصوفة الكاذبة. فمن المعلوم أن كل من عنده أدنى معرفة بالكتاب والسنة هو يعرف بعد تأمل قليل أن كل هذا دجل وبعيد عن الحقيقة.

(ii)- والنوع الثاني من الشكوك والشبهات التي تأتي من ناحية علمية، وهذه الشبهات تأتي في أذهان هؤلاء الذين لم يقرأوا كتب علماء التصوف الراسخين، ولم يروا أهل الحق، ويرون أن التصوف أخذ الفلسفة الإشرافية والإلهيات الأفلاطونية الجديدة والديانة الهندية، والأمر ليس كذلك.

١- المرجع السابق، ج:٣، ص: ٨٠.

(٢)- ماذا توجد في الفلسفة الإشراقية أو في الديانة الهندية غير بعض الرياضة والمجاهدات؟ وأنهم يرون هذه الرياضة والمجاهدات هدفاً أصلياً، ولكن مشائخنا الكرام لا يعطون أهمية لهذه الأعمال بدون اتباع الشريعة. يقول الإمام المجدد الشيخ أحمد السرهندي رحمة الله عليه لا تعتبر هذه الرياضة والمجاهدات التي اختيرت خلاف الشريعة، والمتصوفة من الهند وفلاسفة اليونان الذين يقومون برياضة لا يستفيدون منها إلا الضلال[١].

(٣)- يقول الحاج إمداد الله المهاجر المكي رحمة الله عليه أن بعض الناس يظنون لقلة علمهم أن الشريعة والطريقة مختلفتان، والحقيقة أن الطريقة غير مقبولة بدون اتباع الشريعة. وأما تصفية القلب فيمكن حصولها للكفار أيضاً، ومثال القلب مثل المرآة، تُنظّف المرآة بعرق الوردة والماء الوسخ، ولكن الفرق في النجاسة والطهارة اتباع السنة. هو المقياس والمحك الحقيقي لمعرفة ولي الله. والذي يتبع السنة فهو حبيب الله، والذي يخالف السنة فهو عبث. وأما الخوارق فهي تصدر من الدجال أيضاً[٢].

(٤)- إذا روجعت المصادر الأولى والكتب المشهورة للتصوف فيُعلم أن التصوف ما هو إلا التوحيد وأحواله، واتباع السنة، والخشية والانقياد في العبادات، والصفاء في المعاملات وتصفية الأخلاق. وقد دخلت في بعض كتب التصوف الأشياء التي تتوحش منها الطبيعة، ولكن الحقيقة أنها ليست لها علاقة بأصول التصوف ومقاصده. وكلما وُجد شيٌ في هذه الكتب خلاف الشريعة فهي بمثابة الإسرائيليات في التفسير والموضوعات في الحديث.

١- رسائل الإمام الرباني المجدد ألف ثاني، ج:١، رسالة رقم: ٢٢١.

٢- رجوم المذنبين من الشيخ إمداد الله المهاجر المكي، ص: ١٢٩.

(٥)- والحل الأسهل لهذا أن الشكوك والشبهات الواردة عن أعمال التصوف والأشغال تُحَلُّ في ضوء كلام الصوفية، ثم يُفكر ماذا يريد التصوف غير العمل بالشريعة بالإخلاص؟

(٦)- كتب المجدد ألف ثاني رحمة الله عليه لملّا محمد اللاهوري رحمة الله عليه أن الشريعة عبارة عن ثلاثة أجزاء: ١. العلم ٢. والعمل ٣. والإخلاص. ولا تكون الشريعة صحيحة إلا بصحة الأجزاء الثلاثة، حينما تكون الشريعة صحيحة يحصل رضاء الله تعالى الذي هو فوق السعادة الدنيوية والأخروية، والذين فازوا بالطريقة والحقيقة أنهم خدام الإخلاص (الجزء الثالث)، أي: أنهم خدام الشريعة في تكميل الإخلاص. فتحصيل الشريعة والحقيقة تكون لتكميل الشريعة فقط. وعبور منازل الطريقة والحقيقة لا يكون إلا لتحصيل الإخلاص، وبالإخلاص يحصل مقام الرضاء.

(٧)- نظراً إلى هذه التفاصيل نستطيع أن نقول أن التصوف ما هو إلا الإخلاص واليقين. وهناك كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تطالب الإخلاص واليقين. وأعمال التصوف وأشغاله ما هي إلا وسائل لحصول الإخلاص واليقين. وكان الصحابة رضي الله عنهم لا يحتاجون إلى هذه الوسائل؛ لأنهم كانوا مع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما واجه اللاحقون. وتوجد عند الصحابة شمس الرسالة فلا يحتاجون إلى المصباح.

(٨)- أما أعمال الصوفية وأشغالها فهي وُجدت بسبب بُعد المتأخرين عن عهد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفساد المجتمع. والحقيقة أن أساس هذه الأعمال والأشغال الذكر والفكر، وكلاهما من الشريعة. والبحث والتفصيل في طريق الذكر والفكر

وقيودهما. فمن المعلوم أن الذكر والفكر بمنزلة التدابير[١]. يقول السيد أحمد الشهيد أن الأشغال المفيدة للصوفية مثل الأدوية التي يستفيد منها السالك وقت الضرورة ثم يشتغل بأموره[٢].

(٩)- يظن بعض الناس إذا كان التصوف مُهِمّا إلى هذا الحد، فلماذا لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأحكام صريحةٍ عن الأعمال الصوفية والأشغال؟ وهذا أمر غير مفهوم أن يكون الشيء ضرورياً، ويكون الإيمان والإسلام موقوفاً عليه، فلا يعلّم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ في الحقيقة أن غرض التصوف وهدفه هو حصول حب الله والخشية منه واليقين والاستحضار والإخلاص. فلها أهمية خاصة وتكميل الإيمان والإسلام موقوف عليها؛ فقد علّم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته ورغّبهم فيها بكل صراحة ووضوح. وأما الأعمال الخاصة والأشغال للتصوف فهي بمثابة الوسائل. وسنة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومقتضى الشرع هو عدم تعيينها وتصريحها ليمكن اختيار الوسائل المناسبة والصحيحة حسب مقتضى الحال والوقت. وليس هذا مخصوص في ميدان التصوف فحسب، بل هذه ظاهرة موجودة في الفروع الدينية الأخرى.

(١٠)- حينما نتحدث عن التصوف والسلوك يأتي سؤال في البال هو أن الأعمال والأشغال التي تُهتم بها فيه مثل صحبة الشيخ والأذكار والمراقبات، هل هناك إشارات في الكتاب والسنة بأنها توجد وتنشئ هذه الكيفية؟ ولا شك أن تأثير صحبة الشيخ والذكر والفكر ثابت من القرآن والسنة. روي عن حنظلة الأسيدي رضى الله عنه قال: {وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَقِيَنِي أَبُوبَكْرٍ فَقَالَ

١- إيضاح الحق الصريح لشاه إسماعيل الشهيد.

٢- الصراط المستقيم للسيد أحمد الشهيد، ص: ٧٨.

كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ قَالَ سُبْحَانَ الله مَا تَقُولُ قَالَ قُلْتُ نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا قَالَ أَبُوبَكْرٍ فَوَالله إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ الله فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا ذَاكَ قُلْتُ يَا رَسُولَ الله نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ}[١].

(١١)- يظن الناس أن التصوف في الحقيقة رهبانية وتجرد عن الناس، وتأييده في الحقيقة هو إدخال الرهبانية في الإسلام. وهذا الكلام مثل الكلام الذي يقال بدون تفكر وتأمل. والذين يقولون مثل هذا القول هم هؤلاء الذين رسخ في قلوبهم الفهم الخاطئ عن التصوف، ولذا يظنون أن الصوفيين هم الرهبانيون والمتجردون فحسب، ثم يقولون بناءً على هذا التصور أن التصوف رهبانية، وما الصوفي إلا راهب. ولكن ولو لم نبتلى بهذا الفهم الخاطئ ولم نجعل الرهبانية والتجرد ضرورياً للتصوف لوجدنا أهل التصوف عباد الله الحقيقيون والمجاهدون في نفس الوقت، ولكن للأسف الشديد نحن لا نعترف بصوفي لا يتجرد. ويمكن علاجه بتصحيح

١- الصحيح للإمام مسلم، ج:٣، رقم الحديث: ٢٤٦٥، والجامع للإمام الترمذي، ج:٢، رقم الحديث: ٤١٤، والسنن للإمام ابن ماجه، ج: ٣، رقم الحديث: ١١١٩، المشكاة المصابيح، ج: ٢، رقم الحديث: ٧٨٩.

العلم وبتصحيح مفهوم التصوف.

٧- **أهل التصوف والجهد الديني:**

(١)- يقول الشيخ أبو الحسن على الندوي رحمة الله عليه[١] لاشك أن الشهادة والجهاد، والتضحية والتجديد والانقلاب والتسخير تحتاج إلى قوة إيمانية وقلبية، ووجاهة وشخصية، وأخلاق وإخلاص، وتأثير وحب، وجرأة وهمة، ولا تنشأ هذه الصفات إلا بتنمية القوة الروحية وصفاء الباطن، والتعبد والرياضة. ولذا تجد الذين أسهموا لخدمة الإسلام إسهاماً بارزاً بالتجديد أو بالجهاد أكثرهم كانوا يتبوّؤن مكانة عالية روحياً. انظر إلى القرون الأخيرة مثل الأمير عبد القادر الجزائري، والسيد أحمد شريف السنوسي (الإمام سنوسي) والإمام الشامل كانوا رجال هذا الميدان.

(٢)- ولذا، إذا نظرنا إلى تاريخ الإسلام فنجد أن كل حركة وراءها رجل نفخ روح اليقين والحب في قلوب مجاهدي هذه الحركة، وأنه نقل حبه ويقينه إلى قلوب الآلاف من الناس، وصعّب الحياة السهلة والنِعم، كما سهّل لهم الشجاعة والشهادة. ولذا بذلوا جهوداً مثل إنسان يجتهد للحياة وهو يموت، وهذه هي الفئة التي قال عنها الدكتور محمد إقبال:

، وہی تیرے زمانے کا امام برحق
جھے حاضر و موجود سے بیزار کرے
ت موت کے آئنے میں تجھ کو دکھا کر رخ دوست
زند ے لئے اور بھی دشوار کرے

(الإمام الحق لعصرك هو الذي يُفنيك عن الحاضر والموجود، ويريك وجه صديقك في مرآة الموت، فيصعّب لك الحياة مزيداً).

١- تزكية وإحسان، لشيخ أبو الحسن على الندوي، ص: ١١٠.

(٣)- القيادة في حالة الأمن والرخاء، وإيقاد النيران بين العساكر في حالة الفتح والقوة وجدت في كل زمان، ولا يحتاج لها إلى يقين نادر أو شخصية كبيرة. ولكن في حالة اليأس والقنوط لا يستطيع القيادة إلا شخص ذو عقيدة قوية وعشق خاص بسبب علاقته بالله وقوته الإيمانية. ولذا كلما واجه المسلمون أحوالاً قاسيةً، واستسلم العلم والحواس والقوى الظاهرة أمام الأحوال، ويُرى تغيير الأحوال مستحيلاً، دخل رجال من أهل اليقين والعشق وغيّروا مجرى الأحوال والزمان بشجاعتهم النادرة وحبّهم.

(٤)- ليس من العجيب تسلط التاتار على العالم الإسلامي الواسع وفتحه عنوةً؛ لأن العالم الإسلامي في القرن السابع كان يمر بمراحل الضعف والانحطاط التي تجعل الثقافة والحضارة واهنة خالية من الداخل، وفي مقابله كان التتار مليؤن بالنشاط وأصحاب الجدّ، ومتعوّدون على البداوة والخشونة والقتل والنهب. ولكن من العجيب النادر في التاريخ أن هذا القوم أسلموا على أيد المسلمين الفاتحين الذين ليس عندهم قوة، وفقدوا كل الطاقات المادية والسياسية. وكان التتار ينظرون إليهم بنظرة الإزدراء والاحتقار. أبدى الأستاذ آرنلد إعجابه، وكتب أن الإسلام قام مرة أخرى من رماد العز والقوة، وأدخل وعاظ الإسلام المغول الوحشيين الذين قاموا بظلم وقساوة على المسلمين في الإسلام، وقد واجه المسلمون تجاه هذه القضية صعوبات عويصة لأن الديانتين الكبيرتين تحاولان أن تدخل التتار في ديانتهم، وكان هذا من عجب العجاب والنادر أن الديانة البوذية والمسيحية والإسلام تحاول كلها إدخال المغول الوحشيين الظالمين في ديانتهم[١].

١- Preaching of Islam by T. W. Arnold، ترجمة إلى الأردية دعوة إسلام، للشيخ عنايت الله، ص: ٢٤٠ - ٢٤١.

(٥)- عندما دمّر التتار العالم الإسلامي جميعهُ وانطفأ مصباح سلطنة جلال الدين خوارزم شاه والخلافة العباسية إلى الأبد، انتشر اليأس والقنوط في العالم الإسلامي قاطبة، وصارت هزيمة التتار مستحيلة، حتى اشتهر المثل أن كل من يقول أن التتار انهزموا فلا تقبلوا كلامه. وفي هذا الوقت كان من عباد الله الذين استمروا في عملهم بدون يأس حتى أنهم أدخلوا التتار في الإسلام، وجعلوهم حراس الكعبة بعد أن كانوا حرّاس الأصنام يقول الدكتور محمد إقبال:

ہے عیاں یورش تاتار کے افسانے سے
پاسباں مل گئے کعبہ کو صنم خانے سے

(يتضح من قصة هزيمة التتار أن الكعبة حصلت على حراسها من مركز الأصنام).

(٦)- تُذكر جهود الشيخ نجم الدين رحمة الله عليه الكبرى ضد التتار في خوارزم إلى الأبد، وهو من شيوخ الصوفية، وكان تلميذاً لعمار ياسر البدليسي، وكان يسكن في خوارزم وكما أنه مؤسس السلسلة الكبروية، وقد واصل جهوده ضد التتار إلى أن استشهد في إحدى المعارك.

(٧)- اتجهت الهند في زمن السلطان أكبر إلى الإلحاد والعلمانية. كان أعظم ملوك الهند الذي يملك قوة هائلة ومنطقة واسعة جداً، يستخدم كل الوسائل والثروات لطمس هوية الإسلام. وكان معه من أنسب الرجال من يساعده في الحصول على هذا الغرض. ولم تكن هناك آثار الضعف والشيخوخة للسلطنة / للحكومة لتُطمع للثورة العسكرية، ولا تؤيد التجارب والأحوال الظاهرة للتغير والانقلاب. وفي هذا الوقت أخذ الشيخ الزاهد مسؤلية الانقلاب على كتفه، وبدأ بيقينه المحكم وعزمه وتوكله وإخلاصه انقلاباً وتغييراً داخلياً في الحكومة والمجتمع إلى أن صار كل سلطان خَلَف أحسن من سلفه إلى أن جلس على كرسي المـُلك محي الدين

أورنكزيب. وكان باني هذه الثورة والانقلاب هو الشيخ أحمد السرهندي المجدد ألف ثاني رحمة الله عليه.

(٨)- حينما استولى الروس على داغستان في ١٨١٣م كان شيوخ النقشبندية قد عزموا على مواجهتهم، وهم رفعوا لواء الجهاد وطالبوا تطبيق الشريعة في المعاملات وترك العادات الجاهلية. يكتب الأمير شكيب أرسلان أن رواد الجهاد هم كانوا علماء داغستان وشيوخ الطريقة النقشبندية، كأنه عرف قبل عامة المسلمين أن الضرر في الأصل من السلاطين الذين يبيعون شعوبهم طمعاً على الألقاب والمناصب والرئاسة الباطلة والزعامة والترف المعيشي واللهو والمجون والأوسمة. ولذا رفع عَلَم الجهاد ضد سلاطين البلد وحماة الروسية. وكان قائد هذه الحركة الشيخ غازي محمد الذي اشتهر بلقب مُلاّ عند الروسيين، أُستشهد الشيخ غازي محمد في ١٨٣٢م وأخذ مكانه حمزه، وبعده صار الإمام الشامل قائد المجاهدين الذي كان على طراز الأمير عبد القادر الجزائري على حد تعبير أمير شكيب. واصل الإمام الشامل في جهوده ضد الروس حوالي ٢٥ عاماً، وفتح عليهم فتحاً مبيناً في معارك عديدة. وكان الروسيون يخافون من شوكته وشجاعته استمر الإمام جهاده لعشر سنوات.

(٩)- حينما هجم الإنجليز على العالم الإسلامي في القرن التاسع عشر الميلادي كان شيوخ الطريقة وأصحاب السلاسل هم الذين خرجوا إلى ميدان الجهاد لمواجهة العدو من كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي.

وقد أوجدت فيهم التصوف والسلوك صفة الحماس والحمية الدينية، وحقارة الدنيا، ونفوراً من الكفر وحب الاستشهاد في سبيل الله أكثر من الآخرين. رفع الأمير عبد القادر علم الجهاد ضد الفرنسيين في الجزائر، وأشغل نفسه وعدوه في

ميدان الجهاد من ١٨٣٢م إلى ١٨٤٧م. وقد مدحه المؤرخون الغربيون على شجاعته وعدله وحلمه وعلمه. وهذا المجاهد كان صوفياً فعلاً، وقد مدحه الأمير شكيب بقوله: كان أمير عبد القادر عالماً موسوعياً، وأديباً مفكراً، وصوفياً كبيراً، لم يكن صوفياً نظرياً فقط، وإنما كان صوفياً عملياً وتذوقاً، وقد كتب كتاباً في التصوف باسم المواقف. كان من الثلّة القليلة في هذه السلسلة، وقد لا يوجد مثله في المستقبل[١]. وكان يستيقظ في الفجر أثناء قيامه في دمشق ويصلي الفجر في المسجد الواقع قرب بيته ولم يترك هذه السلسلة إلا في حالة المرض، وكان يداوم في أداء صلاة التهجد ويتعبد في رمضان وفق طريقة الصوفية. واستمر في حالة التقوىٰ والسلوك والأخلاق النبيلة إلى أن توفي في ١٨٨٣م[٢].

(١٠)- السيد أحمد الشريف السنوسي رحمة الله عليه خير مثال للجمع بين التصوف والجهاد. وقد خمّن الإيطاليون مدة خمسة عشر يوماً لفتح طرابلس، فوُجِّه النقد من قِبل أصحاب الخبرة في ميدان الحرب من الإنجليز على أن هذا التخمين يدل على عدم خبرة الإيطاليين، ويمكن أن تأخذ الحرب مدة ثلاثة شهور، ولكن صار كلا التخمين غير صحيح؛ لأن هذه الحرب لم تستغرق مدة خمسة عشر يوماً ولا ثلاثة شهور. بل استمرت ثلاث عشرة سنوات كاملة. رغم هذا لم يستطع الإيطاليون فتح المنطقة. وهذه كانت نتيجة الجهود الربانية للشيخ السيد أحمد الشريف السنوسي التي لم تترك للإيطاليين فرصة التسلط على المنطقة. وكتب أمير شكيب أرسلان أن السنوسيين أثبتوا أن طريقهم مثل الحكومة بأكملها، بل أن الحكومات الكثيرة لا تتصف بالصفات التي تتصف بها السنوسيون. وقد وضّح عن الشيخ

١- حاضر العالم الإسلامي لشكيب أرسلان، ج: ٢، ص: ١٧٣.

٢- المرجع السابق، ج: ٢، ص: ١٧٢.

أحمد الشريف السنوسي قائلاً: "إني رأيت في السيد السنوسي صبراً قلّما وُجدت عند الآخرين. وكان يستحق أن يكون في زمرة أبدال زمانه في الورع والتعبد في جانب وفي الجانب الآخر كان يستحق أن يكون مقدمة في القواد الجزيئين في زمنه. وقد صوّر أمير شكيب أرسلان زاوية السنوسي الموجودة في صحراء أفريقية تصويراً بارعاً ومحبباً. وكانت الزاوية في واحة الكفر تحت انتظام عم الشيخ السيد أحمد الشريف الشيخ المهدي. وكانت هذه أعظم مركز روحي ودار التربية للجهاد في أفريقيا. يكتب أمير شكيب قائلاً: السيد المهدي يتبع خطوات الصحابة والتابعين، وكان رجلاً تطبيقياً مع العبادة، وكان يعرف أن أحكام القرآن لا تُنَفّذ بدون الحكومة، ولذا كان يؤكد إخوته ومريديه على ممارسة الفروسية والرماية، وخصّ يوم الخميس للأعمال والحِرف اليدوية. تتوقف الدروس في اليوم المذكور، وكان الناس يشتغلون بأعمالهم وصناعتهم، بعضهم يشتغلون في بناء البيوت، وبعضهم في العمران، وبعضهم في الحدادة، وبعضهم في صناعات النسيج، وبعضهم في شغل الورّاقين. وكلهم كانوا مشغولين بأعمالهم بأيديهم. وكان الشيخ مهدي بنفسه يشتغل تشويقاً للآخرين. وكان السيد مهدي وقبله والده يهتمان بالزاراعة والأشجار. والدليل على ذلك الحدائق الموجودة في زواياهم. وكانوا يرغّبون الطلبة واتباعهم في الصنائع والمهن بكلامهم تشويقاً وتشجيعاً لهم ولا يحقّرون صنائعهم ومِهنهم، كما أنهم لا يحسّون بالدناءة عن العلماء يقول: "هل يظن هؤلاء أصحاب الأوراق (العلماء) وأصحاب المسبحة (الصوفيون) أنهم أعلى درجة منا لا والله، أنهم لا يسبقوننا"[١].

١- المرجع السابق، ج:٢، ص: ١٦٣-١٦٤.

(١١)- لا يخفى على كل ذي لبّ أثر دعوة السيد جمال الدين الأفغاني رحمة الله عليه، بل يمكن أن يقال أنه من مؤسسي العالم الإسلامي الحديث. السيد جمال الدين كان عبارة عن الدعوة والعمل ومصباحاً نيراً. إنه نفخ روح الحمية الدينية والأخوة الإسلامية بدءًا من تركيا وانتهاءً إلى أفغانستان. ومن الأشياء الجديرة بالذكر أن للذكر القلبي واليقظة الباطنة دخل كبير في اضطرابه واحتراقه وجهده المستمر للعالم الإسلامي. ولا يمكن للإنسان أن يواجه الأحوال البائسة بالجهد المتواصل والجو المخالف بدون هذه الأوصاف المذكورة. ونفس الحالة كانت لتلميذه الذكي ويده اليمنى الشيخ محمد عبده الذي كان يتذوق لذة التصوف وكان عارفاً بدروبه[١].

(١٢)- الشيخ محمد بن سيد عبد الله المهدي السوداني رحمة الله عليه من الشخصيات البارزة من سودان، وهو يُعَدّ من مؤسسي الحركة الإسلامية في البلد واشتهر في العالم كله بجهوده ضد العدوان الإنجليزي والمصري لتنفيذ الشريعة. والشيخ المهدي السوداني من الشخصيات الممتازة في التاريخ الإسلامي، ولم يكن زعيماً سياسياً ومؤسس حكومة فحسب، بل كان مصلحاً أيضاً.

تعلّم في الجامع الأزهر والتقى هناك بالشيخ جمال الدين الأفغاني، وعَبَر منازل التصوف بجد، والتزم بالأحكام الإسلامية طول حياته بكل اهتمام. عُيّن رئيساً للسلسلة اليمانية بعد وفاة شيخه في ١٨٨٠م. وسكن في جزيرة النيل آبا عدة سنوات وبدأ حركته من هناك. بدأت هذه الحركة حينما دعا الشيخ المهدي السوداني زعماء القوم بسيادة القرآن والسنة، وألّح على أن هذا الهدف النبيل يحتاج إلى التضحية والنفوس والأموال.

١- أبو الحسن على الندوي صرّح في كتابه تزكية وإحسان، ص: ١٢١، أن الكاتب المصري المشهور الدكتور محمد أمين ذكر لي بنفسه أدرك زمن السيد جمال الدين الأفغاني واشترك في دروس محمد عبده.

فَشَبَّت الحرب بين رؤساء السودان المصريين وأصحاب المهدي. وانتهت بفتح المهدي. استولى أصحاب المهدي الدراوشة على السودان جميعاً خلال سنتين وطردوا الإنجليز منها.

جعل المهدي السوداني مدينة أم درمان الواقعة في الجانب الغربي من النيل المقابل لمدينة خرطوم عاصمة له، فبدأ بتنفيذ الإصلاح بعد استلام الحكومة فوراً. أجرى عملة جديدة وأرجع الأراضي التي اغتصبت ظلماً من قِبل الحكومة السالفة إلى أصحابها. وحاول المهدي السوداني إزالة التقاليد والبدع ضد الإسلام، ومنع من استعمال الخمر والمخدّرات. واهتم بالحجاب ومنع الناس من الإسراف في الولائم والمهور. يُعد المهدي مؤسس النهضة في السودان، وقبره في أم درمان ما زال مرجع حب المسلمين.

(١٣)- يوجد مزج عجيب لا نظير له إلى حد بعيد بين التصوف والجهاد في شبه القارة الهندية وشخصية السيد أحمد الشهيد شخصية مسلمة وخير نموذج لهذا المزج.

أحوال الحماس الديني والرغبة للاستشهاد والحب الديني لزملائه وللذين تربوا على يد الشيخ تُجدد ذكريات القرون الأولى. حينما تأتي تفاصيلها فتعرف أنها من نسيم الصباح الإيماني الباقي للقرون الأولى الذي وصل إلى القرن الثالث عشر[١] وهو الذي أثبت مدى قوة الإيمان والتوحيد والعلاقة الصحيحة بالله تعالى والتربية حسب الطريقة النبوية وأثرها، كما أثبت أنه لا يمكن وجود التضحية بدون التصوف والسلوك الصحيح. وكان مولانا سيد نصير الدين ومولانا ولايت على عظيم آبادى يُجدّدان ذكرى السيد أحمد الشهيد، والشيخ مولانا يحيى على والشيخ أحمد الله صادق بوري يجّددان ذكرى الإمام أحمد بن حنبل في الصبر على الجهاد

١- تزكية وإحسان، لشيخ أبو الحسن على الندوي، ص: ١٢٢.

والمصائب. وكانوا على ظهر الفرس حيناً، وعلى مركز المشانق حينا وأحياناً محبوسين في جزيرة أندمان. وفي حين آخر كانوا مشغولين في السلسلة المجددية والسلسلة المحمدية في تربية المسلمين وتعليمهم.

(١٤)- ولو وضعت جهود شبه القارة وتضحياتها عبر التاريخ الإسلامي في كفة ميزان وجهود أهل صادق بور وتضحيتهم في كفته الأخرى لثقل كفة أهل صادق بور. رغم هذه الجهود المباركة لم يتوقف أهل السلسلة والعلماء الربانيون، ولم ينعزلوا من الجهود الدينية والجهاد في سبيل الله. وأن الشيخ الحاج إمداد الله المهاجر المكي والشيخ الحافظ ضامن والشيخ محمد قاسم والشيخ رشيد أحمد الجنجوهي رحمهم الله تعالى جميعاً نجدهم في صف الجهاد ضد الإنجليز في ميدان الشاملي. واستشهد الحافظ ضامن في الميدان نفسه، وأُجبر الحاج المهاجر المكي إلى الهجرة من الهند، كما أن الشيخ النانوتوي والجنجوهي اضطرا إلى العزلة والانزواء. وكان الشيخ محمود الحسن يستعد للجهاد ضد الإنجليز، ويريد أن يقيم حكومة تكون فيها كلمة الله هي العليا بعد تصفيتها من الإنجليز. ونجح بعزيمته القوية وهمته أن يقيم علاقات وطيدة مع تركيا ليُربط مسلموا الهند وأفغانستان وتركيا في سلسلة من الجهود ضد الإنجليز. وخير شاهد على همته العالية وصموده العملي حركة الرسائل الحريرية (ريشمي خطوط) ولقائه بأنور باشا، وأسارته في مالتا.

(١٥)- حركة الإخوان المسلمين من أقوى الحركات المعاصرة وأشدّها تنظيما، وأنها فريدة في عالم العرب لإحياء الدين والنشأة الثانية. ومن مزاياها العظيمة أنها حركة مربوطة بالحياة وأنها أثّرت تأثيراً حسياً بالغاً على حياة البلاد العربية. وكان مؤسس هذه الحركة الشيخ حسن البناء شخصية مؤثرة وخلاّبة وجامعة. وكان عبارة عن العمل والجهد كما أنه كان جنديا وداعيا لا يتعب ولا يقنط ولا يذل. ولنشأته

الروحية الصافية والسلوك دخل كبير في هذه الصفات. قد كتب في سيرته الذاتية أنه قام ببيعة بالطريقة الحصافية الشاذلية، وأخذ تربية أذكارها وأشغالها. وقد تكلم عنه بعض خواصه أنه يدوام في آخر حياته أعماله وأذكاره رغم أشغاله الكثيرة، وقد وضّح مفهوم الإخوان في المؤتمر الخامس أثناء كلامه عن الإخوان بهذه الجمل إن هذه الجماعة اجتمع فيها دعوة السلف وطريقة أهل السنة وحقيقة التصوف والسياسة والرياضة البدنية والعلم والثقافة والتعاون الاقتصادي والفكر الاجتماعي.

(١٦)- ولا يمكن التجاهل عن جهود الشيخ الصوفي سعيد النورسي الذي نبّه المسلمين وحذّرهم عن أخطار العلمانية والمادية في تركيا. وقد واصل جهوده طول حياته وتحمل مشقات الحراسة والسجن والجلاء عن وطنه.

٨- **إصلاح التصوف:**

(١)- هناك حاجة ماسة لإبراز الجوانب الروحية في هذا العصر؛ لأن البشرية في بحث الروحانية، والجيل الناشيء لا يحب الاكتفاء بالجانب الظاهري للإسلام وهو يرغب في الجوانب الروحية، والجانب الروحي يسمى بالتزكية أو التصوف.

(٢)- المقصد الأصلي للإسلام هو ربط العبد بالمعبود، يتعلق بعض أجزاء الإسلام بالشريعة الظاهرة (القانون) حين أن بعضه الآخر يتعلق بالصفات والأخلاق الباطنة أو الروحانيات التي تسمى بالتصوف أيضاً. تعطي الشريعة قالباً أساسياً لئلا يضل الإنسان ولكن الرقي الخلقي والتنمية الروحية تحتاج إلى رغبة معنوية. وكلما تزداد الرغبة يصعد الرقي إلى العُلى. والتصوف يبحث عن الطلب الروحي والرقي المعنوي.

(٣)- يعلّم أهل التصوف الناس حب الله مكان الخوف منه، ودليلهم في هذه آية: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[١].

١- سورة المائدة، الآية: ٥٤.

فهم علّموا الناس حب خلق الله لإلحاحهم على حب الله تعالى. وقصة الشيخ فريد الكنج المشهورة مفيدة هنا. إن من أحد تلامذته جاء من بعيد بهدية المقراض، فقال له جئت لي بشيءٍ قاطع، لو جئت بهدية الخيط والإبرة للربط كان أحسن، وهذه الخاصية هي التي صارت سبب إشاعة الدين. والفائدة الثانية لدرس الحب هو تقليل الخلاف والرقابة بين المسلمين وغيرهم، وحدث التواصل بينهم، فتأثروا بالإسلام فقبلوه.

(٤)- الشاعر المشهور الإنجليزي Leigh Hunt كتب شعراً رائعاً عن الشيخ أبي بن أدهم وبيّن فيه بكل براعة أن الله يحب الذين يحب خلق الله.

Abou Ben Adhem

Abou Ben Adhem-may his tribe increase-
Awoke one night from a deep dream of peace
And saw, within the moonlight in his room,
Making it rich, and like a lily in bloom,
An Angel writing in a book of gold.
Exceeding peace had made Ben Adhem bold,
And to the presence in the room he said
What writest thou? The vision raised its head
And with a look made all of sweet accord,
Answered, The names of those who love the lord.
And is mine one? Said Abou. Nay, not so,
Replied the Angel. Abou spoke more low,
But cheerily still, and said, I pray thee, then,
Write me as one who loves his fallow men.
The Angel wrote, and vanished, the next night,
It came again, with a great wakening
And showed the names whom love of God had blest ,
And lo! Ben Adhem's name led all the rest.

(استيقظ أبو بن أدهم ذات ليلة من نومه العميق فوجد في حجرته المنوَّرة بضوء القمر ملكاً يكتب في كتاب الذهب حيث شجّع السكون الذي عمّ الغرفة أبا بن أدهم أن يسأل الموجود في الحجرة: ماذا تكتب؟ رفع الملك رأسه فأجاب: "أسماء

الذين يحبون الله، فسأله أبو بن أدهم: هل هناك اسمي؛ فردّ الملك: "لا"، وقال أبو بن أدهم بصوت خافض وهو مسرور جداً. أرجو منك أن تكتب اسمي مع الذين يحبون خلق الله وكتب الملك وغاب ثم جاء بالليل التالي مرة أخرى وأراه أسماء الذين أحبهم الله فوجد أبو ابن أدهم اسمه يرأس القائمة).

(٥)- صار التصوف يعلّم الناس ترك الدنيا في مكان أن يعلّمهم حب الله وازدياد العلاقة بالكون والبشرية، ولكن التصوف الأصلي هو الذي يعلّم الناس ترك الإفراط في الحياة الدنيوية. دخل الوهن والضعف بسبب التصوف المنحرف. من أهم أسباب زاوال الأمة بعد سقوط بغداد هو التصوف المنحرف.

(٦)- كان الغرب يزدهر بالعلوم الفطرية حينما كنا في لذة السكر، وصرنا أجانب من العمران العالمي. وصار التصوف عبارة عن الأحلام والكشف في مكان التأمل والتأني في العالم. ولا أقول إن الصوفيين منعوا الناس من العلوم بل نشأ ذوق غير علمي بل ضده بسبب الرؤية المنحرفة عن التصوف؛ لأن العلوم تدعو إلى دراسة مظاهر العلوم ونحن حوّلنا جهودنا إلى الباطن وسفر الباطن لا ينتهي. وكان يمكن أن نتوجه إلى تسخير الكون بعد تسخير النفس كما فعل بو على سينا الذي كان صوفياً كبيراً مع أنه كان طبيباً ماهراً وعالماً متبحراً.

(٧)- صار التصوف معضلة الفكر والعمل بسبب تأثره بالفلسفة الإشراقية (Neoplatonism) والرهبانية الهندية. وهذا الفكر لا يطابق بالفكر الإسلامي الذي يجمع بين الدين والدنيا، والروح والمادة باتزان، وكان هذا مقصود الإسلام. وإن لهذا الفكر المنحرف ضررين: الأول: إن الإسلام صار عبارة عن الزهد المتقشّف، والبعد عن الناس والحياة. والثاني: إن الأحكام الشرعية المتعلقة بالمجتمع والسياسة والاقتصاد صارت متروكة وبدأت الدعوة إلى الشيخ في مكان

الدعوة إلى الرب، بدأ الاهتمام بالأعمال الفردية مثل معرفة الذات والكشف والمراقبة في مكان الأعمال الاجتماعية. فقد جعل الدين العبادة والدعاء عملاً اجتماعياً، فجعلناه مسدوداً في الحُجر، بل بالغابة، فانقطعت الروابط الاجتماعية. لا يتم تكميل هدف العبادة إلا إذا تمت بهيئة اجتماعية، ولذا أمر بالاهتمام بصلاة الجماعة في الجمعة والعيدين والحج.

(٨)- قال إقبال إن العبادات الاجتماعية تأتي بنتائج جيدة، والعبادة الأصلية هو العمل الاجتماعي والإسلام يصرّ على الصلاة والحج؛ لأن العبادة تصير فيها عملاً عالمياً.

The real object of prayer, however, is better achieved when the act of prayer becomes congregational. The spirit of all true prayer is social. With Islam, however, this socialization of spiritual illumination through associative prayer is a special point of interest. As we pass from the daily congregational prayer to the annual ceremony round the central mosque of Mecca, you can easily see how the Islamic institution of worship gradually enlarges the sphere of human association[١].

والواقع أنه لا يتم تكميل هدف العبادة إلا إذا تم بالهيئة الاجتماعية ومع ذلك فإن ما في الإسلام من الطابع الاجتماعي للإنارة الروحية خلال صلاة الجماعة لهو أمر يثير الاهتمام. فإذا انتقلنا من صلاة الجماعة اليومية إلى الاحتفال السنوي حول المسجد الحرام في مكة، فإنك تسطيع أن تدرك بسهولة كيف أن منظومة العبادة في الإسلام توسع بالتدرج دائرة الاجتماع الإنساني.

ظهرت المسائل النفسية الغريبة ادعى الشيوخ المسكرين والعراة الولاية، واعتقد الناس عنهم أنهم أصحاب مواهب قوية، وبدأ الشيوخ الصوفيون كلاماً عجيباً في حالة السكر والوجد (spiritual intoxication) وصارت الحياة مقطوعة عن الحقائق العملية، وارتقى تصور الرقي العمودي (vertical) والافقي (horizental). قال

١- The Reconstruction of Religious Thoughts in Islam by Dr. Iqbal, p.72.

عبد القدوس الجنجوهي كلاماً يستحق التأمل:

محمد عربي بر فلك الافلاك رفت باز آمد

گر من رفتمے ہر گز نیامدے

(ذهب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السماء أثناء المعراج. والله لو ذهبت إلى السماء لما رجعت).

وهذا هو الفرق بين الصوفي والنبي، بحيث إن الصوفي لا يرجع بعد التجربة الصوفية، ولكن الأنبياء يعودون ويأتون بفلاح البشرية. هم يرجعون من التجربة الروحية ويربطون قوات التاريخ في أيديهم ويصنعون عالماً جديداً للفكر والنظر، والتجربة الروحية معراج الصوفي، ونهايته، وهي عملية التعلم واليقظة للنبي.

Muhammad of Arabia ascended the highest Heaven and returned. I swear by God that if I had reached that point, I should never have returned. These are the words of a great Muslim saint, Abd al-Quddus of Gangoh. In the whole range of Sufi literature it will be probably difficult to find words which, in a single sentence, disclose such an acute perception of the psychological difference between the prophetic and mystic type of consciousness. The mystic does not wish to return from the repose of unitary experience, and even when he does return, as he must his return does not mean much for mankind at large. The prophet's return is creative. He returns to forces of history, and thereby to create a fresh world of ideals. For the mystic the repose of unitary experience is something final, for the prophet it is the wakening, within him, of wold-shaking psychological forces, calculated to completely transform the human world. The desire to see his religious experience transformed into a living world-force is supreme in the prophet[1].

يقول الولي المسلم العظيم عبد القدوس الجنجوهي:

(صعد محمد النبي العربي إلى السموات العلا ثم عاد، وأقسم بالله لو أنني وصلت إلى هذا المقام لما عُدت أبداً).

١- The Reconstruction of Religious Thoughts in Islam by Dr. Iqbal. P. 99.

وربما كان من الصعب أن تجد في الكتابات الصوفية كلها كلمات تعبّر في جملة واحدة عن مثل هذا الإدراك العميق للفرق السيكولوجي بين الوعي النبوي وبين الوعي الصوفي. فالصوفي لا يريد أن يرجع من السكينة التي ذاقها في تجربة التوحد ومقام الشهود. وحتى لو أنه عاد (وهذا ما لا بد أن يفعله) فإن عودته لا تعني الكثير بالنسبة للبشرية ولكن عودة النبي هي عودة خلاّقة مبدعة! فهو يعود لكي يقتحم الزمن قاصداً التحكم في قوى التاريخ، ومن ثم يصنع عالماً جديداً من المثل العليا. تجربة التوحد ومقام الشهود عند الصوفي وما يستشعره في هذه الحال من سكينة هي غاية نهائية بالنسبة له. ذورة أشواقه ومنتهى مطامحه، أما بالنسبة للنبي فالأمر جدّ مختلف. إنها يقظة عارمة لقواه النفسية الجوانية. بداية مهمة روحية من شأنها أن تهزّ العالم من حوله تجربة جديدة مقدّر لها تغير العالم الإنساني وتحوله تحولاً كاملاً.

(٩)- اشتغل عندنا أهل التصوف في التجربات الروحانية، وقليل منهم قاموا بإبداع وعمران متبعين سنة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ولم ينفع رقيهم العمودي الروحي البشرية، ولم يستطيعوا إعطاء تطورهم العمودي تأثيراً عمودياً (vertical effect). ولذا صاروا كهوفا مظلمة للكفاءات البشرية وقد أقمنا وجدان الصوفية ضد المنهج الاعتزالي العقلاني المتطرف فنشأ منه منهجاً غير عقلاني ووهمي.

(١٠)- لم يكن العقل وسيلة للعلم بمفرده، ولكن يجب وجود العقل مع الوحي؛ لأن الوحي يخاطب العقل، وقد قمنا بالتجربات الروحية ضد العقل، وظننا الكشف والإلهام والوجدان وسائل حقيقية للعلم. وبدأ الكلام ضد العقل والعلم، وجعلنا كلام الصوفيين الخاصة بأسلوب خاص عاماً وقال عطا:

صد ورق وصد كتاب را در نار كن
روئے دل جانب جانب دلدار كن

(إحرق مئات الكتب والصفحات واجعل وجه قلبك تجاه المحبوب)

واستنبطنا نتائج خاطئة من الكلام العرفاني، واخترنا منجهاً غير عقلاني، وابتعدنا من العلم فاختار التصوف صبغة غير علمية وشكلاً غير فكري، فابتلى الجهال من الصوفية بأفكار غير إسلامية، ولم يدركوا هجمات الجاهلين فلم يفرقوا بين رام والرحيم وكرما والكريم.

وقد ظهر ضررٌ كبيرٌ لهذا الفكر بصورة نفي الذات (negation of self) فتوقف الحرية الشخصية والارتقاء. وقد كان على الصوفي أن يفني ذاته على الشيخ (فنا في الشيخ)، ثم على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فنا في الرسول) ثم على الله (فنا في الله). وقد أنشأ هذا الفكر فكرة وحدة الوجود (Pantheism) بأن يكون الشخص جزءًا لله سبحانه وتعالى. وقد أدرك المجدد ألف ثاني أخطار هذا الفكر واختار البقاء بعد الفناء ولم يرض حلول نفسه بذات الله تعالى، وأبقى تشخصه معتمداً على رحمة ربه وكرمه. وإثبات الذات (affirmation) بهذه الصورة واجب للتنمية البشرية ورقيها. لا يمكن للإنسان أن يقوم بإبداع وتخليق بدون إثبات ذاته. وهذا ما حدث معنا. وقد ضاعت العضول الكبيرة بسبب التعبير المنحرف للتصوف وأصرّوا بفناء الصفات البهيمة في مكان ظبطها وتحديدها، وأفنى الخشوع والعجز فوق اللازم الثقة على الذات والنفس. ولم يستطع أن يخرجوا من بحر الذاتية.

: یہ ذکر نیم شبی، یہ مراقبے، یہ سرور
ۓ نگہباں نہیں تو کچھ بھی نہیں

(إذا كان الذكر في منتصف الليل وهذه العبادات لا تحافظ على الذاتية فلا قيمة لها).

(١١)- قال لي صديقي مرة بكل ثقة أن شيخه كان عابداً كبيراً أنه قام بعبادة متماسكاً بغصن وقائماً على رجله، فلم استطع أن أتحمل كلامه، فقلت له إن هذه ليست سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه كان يستريح ويعمل أيضاً، ومنع الرسول صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العبادة طول الليل ومواصلة الصيام. وقد علّمنا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الاعتدال والوسطية في كل شيءٍ.

(١٢)- علينا أن نقوم بتصفية التصوف من أفكار غير إسلامية وغير بشرية. وفي الحقيقة أن الروحانية هو إحضار ذات الله سبحانه وتعالى والإتباع الكامل للرسول صلى الله عليه وسلم. علينا أن نختار المنهاج النبوي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وهو أن نعيش بين البشر متحلين بالأخلاق الكريمة والتجربات الروحية، ومهتمين بمصلحة العامة. ويجب علينا أن نفرق بين الأمراض النفسية والتجربات الروحية كما يجب علينا أن نحب البشرية ونتواضع، وأن نضحي كل غال وثمين لإشاعة الدين، وأن نبحث الفردية في الاجتماعية ونتجنب من الأصباغ الكفرية والأحلام النفسية ونجعل الطريقة تابعة للشريعة.

٩- مفهوم المقامات:

(١)- كلمة "المقامات" جمع مقام، وكلمة مقام بمعنى "الإقامة" والمراد من المقام هو مرتبة السالك التي يحصل عليها عند الله بالمجاهدة. قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾[١].

(٢)- ترد أحوال مختلفة وكيفيات متنوعة في قلوب المتقين من عند الله تعالى. ويسمى أصحاب التصوف بعضها بالأحوال وبعضها بالمقامات. في الحقيقة كلما تثبت الحال وصارت جزءا أساسيا لحياة السالك تسمى مقام. ولنيل هذه المقامات يجب عليه المجاهدة والرياضة لحفاظ نفسه من اتباع الهوى ووسوسة الشيطان.

(٣)- وضع الله تعالى مادة الخير والشر في النفوس البشرية فلا تكون خالية تماماً من الشر إلا من رحم ربي، فيفيض نور الله عليها ويتغلب عليها ويبدل الله سيئاته حسنات

١- سورة إبراهيم، الآية: ١٤.

وتسمى هذه الكمالات النفسية بالمقامات.

(٤)- والمقام هو منزلة آداب الصوفي الذي يكون حاصلاً له عند الله. ويحصل الصوفي هذه المنزلة بجد ومشقة. ومقام كل واحد يكون عند قيامه في ذلك الوقت حين انشغاله بتعبده، ولا يمكن حصول مقام آخر حتى يكمل أحكام ذلك المقام. وكل مَن ليست عنده قناعة فلا يصح له التوكل، وكل من لا يستطيع التوكل فلا يصح له الرضا، وكل من لم تثبت عنده التوبة فلا يمكن له الرجوع إلى الله، والذي يكون خالياً من الرجوع فلا اعتبار لزهده.

(٥)- يقول الحافظ ابن القيم رحمة الله عليه: إن الأعمال ثمرات العلوم والعقائد، وباليقين تأتي مقامات الجهاد والإحسان (التصوف)[١]. ويقول الإمام القشيري رحمة الله عليه: إن المراد من المقام هو منزل الآداب الذي يحصل عليه بالجهد والمشقة والضبط على النفس[٢]، ويقول الإمام شعراني رحمة الله عليه: إن المقام يحصله الإنسان بالزهد والتوبة والتقوىٰ والورع. ومرتبة الحال قبل المقام. والحال يتشكل بصورة المقام رويداً رويداً يتبوّأ الإنسان المقام حينما تداوم الحال[٣]. يقول الشيخ أبو نصر الطوسي رحمة الله عليه: إن معنى المقام هو حضور العبد أمام معبوده وعبادته ومجاهداته ورياضته له[٤]. يقول شهاب السهروردي رحمة الله عليه: إن المقامات يمكن حصولها بالجهد والمشقة والأحوال منح ربّانية[٥].

١- مدراج السالكين، ج:٣، ص: ٥٨.

٢- مقامات سلوك، للدكتور عبد الرحمن عميره المصري، ص: ٥٨.

٣- المرجع السابق، ص: ٥٨.

٤- المرجع السابق، ص: ٥٧.

٥- المرجع السابق، ص: ٥٨.

(٦)- في الحقيقة أن الإنسان كلما يعمل عملاً، سواء كان شراً أو خيراً لا يفنى هذا العمل بل يلتزم بنفس الإنسان، أي: أن قلبه يتأثر به، ويطلق عليها بكيفية نفس الإنسان، ثم إذا كانت الكيفية مؤقَّتة يقال لها أحوال، وحينما تترسخ في القلب يقال لها مقامات وهناك مقامات لا تعد ولا تحصى ولكن الأشهر والأهم ما يلي:

(i)- مقام التوبة: والتوبة هي الرجوع من الذنوب والانقياد إلى الله.

(ii)- مقام التقوىٰ: والتقوىٰ هو الاجتناب عن الذنوب والشبهات معاً.

(iii)- مقام الزهد: هو تنقية الإنسان نفسه من الهوى وتخصيصها لعبادة الله عزّ وجلّ.

(iv)- مقام الصبر: المراد من الصبر هو صد الإنسان نفسه من المحرمات الشرعية والاستقامة في المصائب.

(v)- مقام الرضا: والمقصود من الرضا هو عدم الاعتراض على التقدير بعد الجهد.

(vi)- مقام التوكل: والمراد من التوكل هو الاعتماد على الله والثقة به بعد الجهد الكامل في معمولاته اليومية.

(vii)- مقام الصدق: والمراد منه هو الصدق في الكلام والأعمال والأحوال.

(viii)- مقام الشكر: إذا أحس الإنسان أن النعم المادية والمعنوية الحاصلة كلها من الله تعالى فيحمده ويسبحه. وهذا هو الشكر والخضوع.

(xi)- مقام التواضع: والمراد من التواضع هو إظهار العجز وتكريم الآخرين وتعظيمهم والاهتمام بحقوق العباد وإيثار حقوق الآخرين على حقه وترك التكبر.

(x)- مقام السخاء: هو إنفاق الإنسان ماله لرضاء الله سبحانه وتعالى.

(xi)- مقام الإخلاص: والمراد من الإخلاص هو اطمئنان قلب الإنسان على كل عمل في كل مستوى وفي جميع صوره أنه لا يعمل عملاً إلا لرضاء الله سبحانه وتعالى.

(٧)- أحوال جمع حال، والأحوال عند الصوفية هي الكيفية التي تأتي في قلب السالك أو ينشأ في نفسه، وليس فيه دخل للإرادة الإنسانية مثل كيفية الفرح، والغم، ووقوف القلب، والرغبة، والاضطراب والهيبة، الاحتياج وغيرها. حينما يبدأ الإنسان سفره إلى الله سبحانه وتعالى بالذكر والفكر تأتي إليه الكيفيات المؤقتة التي تسمى بالأحوال. وهناك أحوال كثيرة ولكن الأحوال المعروفة والمهمة جداً هي ما يلي:

(i)- حال القبض والبسط، (ii)- حال الخوف والرجاء، (iii)- الجذب والشوق، (iv)- الفناء والبقاء، (v)- الغياب والحضور، (vi)- الصحو والسكر، (vii)- المشاهدة، (viii)- القرب والبعد، (ix)- اليقين، (x)- التصرف والتأثير، (xi)- الكشف، (xii)- المراقبة.

(٨)- المقامات وإن كانت عبارة عن الكيفيات والأعمال ولكن التقليل والتكثير فيها تُحدث مشاكل. ولابد أن يعرف أن المقامات ليست مقصودة أصلية بل هي وسائل وأسباب لحصول حب الله تعالى ورسوله وإطاعتهما. وأن هذه الوسائل تساعد وتعين في حصول الأحوال التي يريدها الله تعالى من الإنسان. والفهم الخاطئ للمقامات تُحدث مشاكل، قال الدكتور إقبال:

فی کہ تھا خدمت حق میں مرد
حمیت میں فرد
ت میں کھو گیا
امات میں کھو گیا

(هو كان صوفياً رجلاً كاملاً في خدمة الحق، ولا نظير له في الحب ولا مثيل له في الحمية الدينية ضل في أفكار العجم واشتغل بالمقامات).

***

١

مقام التوبة



١ - **مفهوم التوبة:**

(١)- معنى التوبة هو الرجوع عن منهيات الشريعة والإتيان بأوامرها، أي: الرجوع عن الذنوب إلى الطاعة والإنقياد. الإنسان الذي يحب ربه لا يكون غافلاً عن الأشياء التي يحبها ربه أو يكرهها.والتوبة في الحقيقة هي الإحساس بالندامة الشديدة على حدث منه من المحرمات بسبب الضعف البشري، والاستغفار والإرادة القوية على عدم الرجوع إلى المحرمات في المستقبل.

(٢)- قال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موضحاً مفهوم التوبة:

(i)- فَإِنَّ التَّوْبَةَ مِنْ الذَّنْبِ النَّدَمُ وَالِاسْتِغْفَارُ[١].

(ii)- التَّوْبَةُ مِنْ الذَّنْبِ أَنْ يَتُوبَ مِنْهُ ثُمَّ لَا يَعُودَ فِيهِ[٢].

(٣)- اتضح من كلام الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكل وضوح أن التوبة ليست عبارة عن الأوراد الخاصة، بل هي الإحساس الشديد بالندامة على المعصية والخوف من رب العالمين؛ يكون تمنى الإنسان بإرضاء محبوبه حسب درجة حبه به، كما أن درجة ندامته تكون أيضاً حسب درجة حبه به. والتوبة هي إظهار لتجديد علاقة الإنسان بربه.

(٤)- لا يمكن للإنسان أن يكون معصوماً عن الذنوب والخطايا لوجود قانون الابتلاء في هذه الدنيا. فهو يرتكب الذنوب والخطايا عمداً أو سهواً.

ولم يشترط الله تعالى العصمة عن الذنوب للفوز والفلاح، ولكن ألزم الإنسان على أن يتوب من الذنوب كلما ارتكب خطيئة أو ذنباً وأدرك خطأه.

(٥)- هناك أنواع للتائبين:

(i)- الذين يتوبون من الذنوب

١- المسند للإمام أحمد، ج: ٩، رقم الحديث: ٦١٩١.

٢- المسند للإمام أحمد، ج: ٢، رقم الحديث: ٢٣٠٣.

(ii)- الذين يتوبون من الغفلة

(iii)- الذين يتوبون من النظر في طاعاتهم وحسناتهم.

(٦)- حقيقة التوبة هي أن يندم قلب الإنسان على ذنب ارتكبه ويتركه، ويعزم عزماً قوياً على أن لا يرتكب الذنب مرة أخرى، ويتجنب من الأهواء القبيحة. اشترط بعض العلماء للتوبة العزم القوي لعدم العودة إلى الذنب مرة أخرى، في حين أن بعضهم لا يجدون هذا ضرورياً. وفي رأينا أن العزم بعدم العودة إلى الذنب ضروري؛ إذ أن العزم مقدمة التوبة، وعلامة قبول التوبة هي محو صورة الذنب من الذهن محواً تاماً.

٢- **التوبة في ضوء القرآن الكريم:**

تتضح أهمية التوبة بأن الله تعالى رغّب الناس فيه في كتابه وجعل الذين لا يتوبون من الظالمين؛ لأنهم يظلمون أنفسهم بإعراضهم عن صفة الرحمن لله سبحانه وتعالى، وهو مستعد للرحمة والمغفرة في كل حين. علينا أن نضع أمام أعيننا الآيات التالية في أهمية التوبة.

(١)- ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾[1].

قد أرشد الله سبحانه وتعالى عباده في هذه الآية إلى ما يلي:

(i)- عليهم أن يستغفروا ربهم ويتوبوا إليه. وعلاقة الاستغفار بالذنوب السابقة والتوبة تتعلق بالذنوب المستقبلية. والتوبة الصحيحة هي الندامة على الذنوب الماضية والاستغفار عنها والعزم القوي لتركها في المستقبل.

(ii)- بُشّر المستغفرون بفلاح الدارين والحياة الطيبة فيها؛ وأن الذين يستغفرون

١- سورة هود، الآية: ٣.

عن الذنوب الماضية ويعزمون عزماً صميماً لتركها في المستقبل، فيغفرهم الله تعالى، ويمنحهم الراحة والاطمئنان في حياة الدارين.

(iii)– يوسّع الله تعالى في الرزق بالاستغفار، ويحفظ من المشاكل والعذاب، ويُنعم على عباده، ويحسن بهم ويكرمهم.

(iv)– أُنذر الذين لا يتوبون بعذاب يوم القيامة. وهذا اليوم يكون يوماً عظيماً (كألف سنة)، ويكون هذا اليوم من أصعب الأيام بما فيه من العذاب والصعوبات.

(v)– تتأثر الأعمال البشرية شوقاً على الجزاء وخوفاً من العقاب. وأن الله ذكر فضله في الدنيا وعذابه في الآخرة ليكون الفضل والعذاب سبباً رئيسيًا للتوبة.

(٢)– ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١].

أمر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية بالتوبة. والإنسان ضعيف ومكوّن من الخطأ والتقصير، والتجنب الكلي عن الذنوب أمر في غاية الصعوبة، ولذا أمره بالاستغفار والتوبة لإزالة الذنوب والتطهير. ويجب التوبة بالرجاء لأن الله تعالى كريم، وهذا هو الطريق الحقيقي والطريقة الصحيحة للفوز والفلاح.

(٣)– ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[٢].

أمر الله تعالى في هذه الآية بالتوبة التي لا تكون فيها شائبة الرياء والنفاق. على الإنسان أن ينصح نفسه ويتوب عن ذنوبه لِينجو من العاقبة السيئة، ويسدّ الثغرة التي وُجدت بسبب ذنوبه بالتوبة، ويزيّن الحياة بالتوبة الصادقة ليتعظ منه الآخرون ويصلحوا أنفسهم. حينما يرتكب الإنسان ذنباً فعليه أن يندم عليه

١– سورة النور، الآية: ٣١.

٢– سورة التحريم، الآية: ٨.

ويستغفر الله تعالى بكل ندامة، ويعزم أن لا يرتكب الذنب مرة أخرى. والتوبة الصادقة والخالصة تحتاج إلى:

(i)- الندامة على الذنوب

(ii)- أداء الفرائض المتروكة بسبب الغفلة

(iii)- إرجاع الحق لصاحبه

(iv)- طلب العفو من المظلوم

(v)- العزم الصميم لعدم إعادة الذنب

(vi)- الاستقامة على طاعات ربه حتى تتعوّد النفس عليها.

(٤)- ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[١].

وقد وضّح في هذه الآية الكريمة أن الله تعالى توّاب يعفو جميع ذنوب الإنسان التي ارتكبها طول حياته بالتوبة الصادقة ولو كانت الذنوب كبيرة وكثيرة، وكانت الذنوب تصل إلى السماء يغفر الله تعالى بالتوبة بقلب صادق. ويغفر الله تعالى ذنوب الإنسان ولو كانت الذنوب تملأ الأرض، بل يعطيه أجراً وثواباً، بشرط أن لا يشرك بالله. فالتوبة نعمة عظيمة مُنحت لعباده من ربهم.

(٥)- ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾[٢].

رُغّب في هذه الآية إلى التوبة والرجوع ووعد هؤلاء الذين يؤمنون بالله ويتوجهون إليه بالتوبة الصادقة بالمغفرة والكرم. يغفر الله ذنوب التائبين برحمته مغفرة تامة كأنه لم يرتكب ذنباً. والذين يستمرون في طغيانهم ويموتون في هذه الحالة تنسد جميع أبواب التوبة، فيجب الاستعجال بالتوبة.

١- سورة البقرة، الآية: ١٦٠.

٢- سورة آل عمران، الآية: ٨٩.

(٦)- ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[١].

(i)- رغّب الله تعالى المذنبين والكفار إلى التوبة. والذين ارتكبوا الذنوب ثم تابوا توبة صادقة فلهم مغفرة وأجر عظيم بأن الله يغفر ذنوبهم لأنه غفور رحيم. وإن من كرم الله تعالى وفضله أنه فتح باب التوبة والاستغفار والإنابة إلى الله تعالى.

(ii)- إن الله غفور رحيم، ولا تحصى رحمته ومغفرته، وأن الله بفضله يغفر الذنوب جميعاً بالتوبة الصادقة، وهو لا يغفر فقط بل يرحمه لأنه رحيم مع كونه غفوراً.

(iii)- ومن الملاحظ أن الإيمان شرط للتوبة، وهناك ذنوب تسلب إيمان الإنسان فلذا اشترط بالتوبة تجديد الإيمان بالتوبة، وإذا كان الذنب لم يكن مثل هذا النوع فيكفي التوبة الصالحة وإصلاح نفسه.

(٧)- ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٢].

(i)- وضّحت الآية أن قبول التوبة وأخذ الصدقات بيد الله تعالى وأنه توّاب رحيم، وأنه يعلم التائب المخلص الذي راعى شروط قبول التوبة والصدقة. وأنّ من فضل الله تعالى على الإنسان وكرمه أنه يقبل التوبة الصادقة من عبده ويغفر الذنوب ويأخذ الصدقة الطيبة، ويضاعفها له ويجعلها وسيلة لمغفرته.

١- سورة الأعراف، الآية: ١٥٣.

٢- سورة التوبة، الآية: ١٠٤.

(ii)- حينما يتوب الإنسان ويرجع إلى الله سبحانه وتعالى يتوجه الرب إليه، إن رجع الإنسان إلى ربه ماشياً فيأتي الرب إليه مهرولاً.

(iii)- يكون الله تعالى في انتظار توبة عبده؛ فيغفر الذي يتوب إليه بالإخلاص، ويبدل سيآته حسنات، وأن الله غفور رحيم ورحمة الله ومغفرته لا تعد ولا تحصى.

(٨)- ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾[١].

(i)- توضح الآية أن المرجع الأصلي للإنسان باعتبار الفطرة هو الله سبحانه وتعالى. ورجوع الإنسان إليه هو في مصلحة الإنسان فطرة ونتيجة. وليس هناك ذات غير الله تعالى من يغفر ذنوب الإنسان ويُنجيه من العقاب. ولذا يرجع الإنسان دائماً إلى ربه بعد ارتكاب الذنوب.

(ii)- يعلم الإنسان أن الله تعالى هو التوّاب وهو مجمع الخيرات، ولا يطرد المذنبين من جنابه بل يُعفون ويُكرمون. ولا يعيد الله تعالى ذنوب التائبين. وإن الله تعالى يفتح أبواب رحمته ويناديهم إلى فضله لهؤلاء الذين يندمون على ذنوبهم في مكان عقابهم والانتقام منهم.

(٩)- ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[٢].

(i)- رغّبت الآية الكريمة على التوبة وإصلاح الأحوال، وصُرّح أن الله تعالى يقبل التوبة، فعلى الإنسان أن لا ييأس من رَوح الله تعالى وعليه أن يتوب إليه بقلب صادق وبطريقة صالحة. والإنسان يستطيع أن يصون نفسه من عذاب الله تعالى وغضبه بالتوبة. وأن الله رحمن ورحيم، وليس هناك حرمان لأحد عنده.

١- سورة الفرقان، الآية: ٧١.

٢- سورة الشورى، الآية: ٢٥.

(ii)- إن الله تعالى يعلم أعمال الإنسان وهو لا يسرع في عقاب الإنسان مع أنه يعلم ذنوبه بل ينتظر توبته ورجوعه إليه، ولا يستطيع أن يُخفي ذنوبه وأفعاله وأقواله من الله سبحانه وتعالى، ولكن الله تعالى بفضله وكرمه يغفر ذنوب عباده، والمغفرة شأنه، فعلى الإنسان أن يحاسب نفسه وأن يتوب إلى الله تعالى ويرجع إليه.

(١٠)- ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[١].

(i)- ذُكرت في هذه الآية المغفرة العظيمة والحسنات التي يمكن حصولها بالتوبة الصادقة. وأن الله تعالى لا يقبل التوبة الصادقة فقط بل يُبدل الله سيئات الإنسان بالحسنات. حينما يندم الإنسان من ذنوبه ويحس بالخجل ويتوب مرة بعد مرة بالقلب الصادق فيبدل الله سيئاته حسنات بفضله وكرمه، وتُعفى الذنوب الماضية ويوفّق للحسنات في المستقبل، وتُجمع خزائن الأعمال الصالحة. حينما يستغفر الإنسان من الذنوب الماضية فيحصل حسنة بدل سيئة وكذلك يبدل الله برحمته وفضله السيئات حسنات.

(ii)- حينما تُقدم إلى الإنسان ذنوبه الصغيرة، فيخاف من ذنوبه الكبيرة، فيأتي حكم تبديل سيئاته حسنات، فيقول الرجل: يا رب قد ارتكبت ذنوباً أخرى لا أراها هنا[٢].

(iii)- إن الله غفور رحيم، وأن مغفرته وصلت إلى حد أن الإنسان حينما يتوب توبة صادقة تغفر جميع ذنوبه كأنه لم يذنب قط، وسعت رحمة الله تعالى كل

١- سورة الفرقان، الآية: ٧٠.

٢- تفسير سورة الفرقان، الآية: ٧٠.

شيء، ورحمته دائماً مستعدة لإيواء المذنبين، فعلى المؤمن الصادق أن يخضع أمام ربه بقلب صادق ويغسل أدران الذنوب وأوساخها بالتوبة الصادقة والاستغفار؛ لأن الله غفور رحيم يعفو عن الذنوب ولو كانت كثيرة ويعطي أجراً عظيماً وهو أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين، فلذا يجب تحسين العلاقات معه وتصحيحها ظاهراً وباطناً.

(١١)- ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[١].

(i)- يُعرف من هذه الآية الكريمة أن التوبة ثروة عظيمة؛ بأن المؤمن التائب الصادق الذي يعيش في الأرض ترتفع منزلته إلى حد أن حملة العرش يدعون له، فيقولون ربنا اغفر للذين تابوا وأصلحوا أحوالهم واتبعوا سبيلك.

(ii)- فيجب الإيمان قبل التوبة، لأن الإنسان الطاغي عن دين الله وعدو دينه لا يستحق مغفرته وعفوه.

(iii)- تستغفر الملائكة للمؤمنين ويقولون ربنا ادخل التائبين جنات عدن التي وعدتّهم وأدخل معهم آباءهم وأجدادهم وأزواجهم وأولادهم الذين آمنوا الجنة.

١- سورة غافر، الآية: ٧-٨.

(١٢)- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾[١].

(i)- وضحت هذه الآية أن الله تعالى يحب الذين يتوبون إليه ولا يصرّون على الذنوب.

(ii)- حبُّ الله تعالى للإنسان فوز عظيم له، حينما يحب الله إنساناً فيأمر ملائكته أن تحبه وحينما تحبه ملائكته فيقلب الله تعالى قلوب الناس بحب هذا الشخص.

(iii)- الذين يحبون الله ويحبهم، فيخضع هواهم ويجعله تابعاً لرضاء الله تعالى ويريدون ما أراد الله ويفعلون ما يأمر الله تعالى بهم، ويجتنبون عما نهى الله تعالى، رضي الله عنهم ورضوا عنه وذلك هو الفوز العظيم. ولا يمكن هذا إلا بالتوفيق الإلهي.

(١٣)- ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

قيل لنا في هذه الآية أن التوبة والاستغفار نعمة عظمى. كلما ارتكب الإنسان ذنباً ثم تاب وأصلح نفسه فأن الله تعالى يغفره بفضله وكرمه، فبهذا تزول أوساخ الذنوب وأدرانها بالتوبة والعمل الصالح. تزول آثار الذنوب بالتوبة الصادقة من الأساس. فباب التوبة والاستغفار باب عظيم فتحه الله تعالى برحمته وفضله لعباده.

(١٤)- ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

١- سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

٢- سورة الأنعام، الآية: ٥٤.

٣- سورة النحل، الآية: ١١٩.

(i)- وضّحت الآية أن التوبة الصادقة وسيلة للفوز والفلاح، والذين تركوا الذنوب وعزموا على أن لا يرجعوا إليها وندموا على أخطائهم وأدوا حقوق الآخرين فتوبتهم توبة صادقة، وهم المستفيدون من ثمار التوبة الصادقة.

(ii)- رحمة الله تعالى عظيمة، وأن الله يغفر الذنوب بعد التوبة الصادقة، وأنه غفور رحيم فليس عنده حرمان ويأس لأحد. فالحاجة الملحة هي التوبة والإنابة إلى الله تعالى بنية صادقة لأن الله تعالى كريم وعنده عطاء.

(iii)- الإنسان لا يرتكب الذنوب إلا جهلاً وسهواً، وإلا فالذي يفكر في عواقب الذنوب ونتائجها لا يرتكبها. ولكنه لا يتأمل فيها لغلبة الهوى والشهوات. وضحت الآية أنه لا بأس بالخطأ والنسيان ولكن عليهم بالتوبة والإصلاح ليمكن حصول المغفرة والرحمة الربانية.

(١٥)- ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾[١].

اتضح من هذه الآية أن العفو للظالم على نفسه له شرطان:

(i)- التوبة من الخطأ

(ii)- وإصلاح أحواله

إذا قام الإنسان بهذين الشرطين تقبّل الله تعالى توبته؛ لأنه يعفو ويرحم على عباده.

(١٦)- ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[٢].

يخطئ الإنسان، فتكون له حالتان بعد الخطأ:

١- سورة المائدة، الآية: ٣٩.

٢- سورة الحجرات، الآية: ١١.

(i)- أن يقدم على خطيئتهِ ويتوب عنها ويُصلح نفسه، فيستحق رحمة ربه، وهذه سنة آدم عليه السلام؛ لأنه أحسّ بذنبه فوراً وقال ربّ ظلمت نفسي فاغفرلي فغفر له ورحم عليه.

(ii)- أن لا يحسّ بذنبه ولا يتوب ولا يُصلح نفسه، فهذا إنسان ظالم يتبع خطوات الشيطان لأنه عصى ولم يسلّم خطأه وأصرّ على ذنبه، فُطرد من رحمة الله تعالى.

(١٧)- ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

(i)- أمر الله تعالى أن يُطلب منه المغفرة وأن لا ييأس من الرحمة بل يتوب من الذنوب فوراً؛ لأن الله تعالى غفور رحيم.

(ii)- وضحت الآية علينا أن ندعو الله سبحانه وتعالى، فكلما صدر منّا ذنب أو خطأً فيجب علينا التوبة والرجوع إليه وأن لا تشك في رحمته وفضله ومغفرته لأنه غفور رحيم، فعلى الإنسان أن يستغفر ربه ويطلب رحمته.

(١٨)- ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[٢].

وضّحت الآية أن الله تعالى أرحم الراحمين على مخلوقه يرتكب الإنسان ذنوباً فيعفوها ربه بل يعلمّنا طريقة التوبة بنفسه وعلى الإنسان أن يستغفر ربه ويسترحمه لأن الله تعالى أرحم الراحمين، فعليه أن يؤمن بأن الله رحيم وغفور يغفر ذنوب عباده.

١- سورة البقرة، الآية: ١٩٩، وسورة النساء، الآية: ١٠٦.

٢- سورة المؤمنون، الآية: ١١٨.

(١٩)- ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[١].

(i)- بيّنت الآية أن آدم وحوّا عليهما السلام نسيا وارتكبا ذنباً، فبدءا يستغفران عن ذنبهما بكل تضرع وندامة، وقالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، حينما ندم آدم وحوّا واعتذرا عفاهما الله تعالى ورحم عليهما.

(ii)- قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ}[٢].

(iii)- علمنا من الآية بأن:

(أ) الله توّاب.

(ب) الله غفور.

(ت) الله رحمان.

(ث) الله يقبل توبة عباده.

(ج) الله غفور رحيم.

(ح) رحمة الله واسعة كل شيء.

(خ) اليأس من رحمة الله لا يجوز.

(د) الضالين هم اليائسون.

(ذ) يرحم الله المؤمنين رحمة عظيمة.

(ر) الرجوع إلى الله والتوبة من الذنوب أمر لا بد منه ليغفره الله برحمته.

١- سورة الأعراف، الآية: ٢٣.

٢- الجامع للإمام الترمذي، ج:٢، رقم الحديث: ٣٩٧.

(٢٠)- ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١].

يتضح من الآية الكريمة أن نبي الله تعالى يونس عليه السلام حينما أخطأ واستغفر الله واعترف بذنبه قبّل الله دعاءه فنجّاه من الغم، وكل من يستغفر الله يغفره.

٢- **التوبة في الأحاديث النبوية صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**

رغّب رسولنا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التوبة كثيراً، والأحاديث التالية توضح هذه الحقيقة:

(١)- عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ {قَالَ: خَسَفَتِ الشَّمْسُ فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَزِعًا يَخْشَى أَنْ تَكُونَ السَّاعَةُ، فَأَتَى المَسْجِدَ فَصَلَّى بِأَطْوَلِ قِيَامٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ رَأَيْتُهُ قَطُّ يَفْعَلُهُ وَقَالَ: "هَذِهِ الْآيَاتُ الَّتِي يُرْسِلُ اللهُ، لَا تَكُونُ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ}[٢].

(٢)- قَالَ شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {"سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، قَالَ: وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ}[٣].

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كل من يقرأ هذه الكلمات بإخلاص ومات قبل

١- سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

٢- الصحيح للإمام البخاري، ج: ١، رقم الحديث: ١٠١٧.

٣- المرجع السابق، ج:٣، رقم الحديث: ١٢٥٦.

المغرب فيدخل الجنة، وكل من يقرأ هذه الكلمات ليلاً بإخلاص فمات قبل الصبح فيدخل الجنة.

(٣)- قَالَ ثَوْبَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {أَن رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَام}[١].

(٤)- قَالَ الْوَلِيدُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقُلْتُ لِلأَوْزَاعِيِّ كَيْفَ الاسْتِغْفَارُ قَالَ: {"تَقُولُ أَسْتَغْفِرُ اللهَ أَسْتَغْفِرُ اللهَ}[٢].

(٥)- عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {سُئِلْتُ عَائِشَةَ: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَفْتَتِحُ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيَامَ اللَّيْلِ؟ فَقَالَتْ: لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ قَبْلَكَ، كَانَ إِذَا قَامَ كَبَّرَ عَشْرًا وَحَمِدَ اللهَ عَشْرًا وَسَبَّحَ عَشْرًا وَهَلَّلَ عَشْرًا وَاسْتَغْفَرَ عَشْرًا، وَقَالَ: "اللهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي، وَيَتَعَوَّذُ مِنْ ضِيقِ الْمَقَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}[٣].

(٦)- عَنْ شَرِيقٌ الْهَوْزَنِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ، فَسَأَلْتُهَا بِمَ كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ إِذَا هَبَّ مِنَ اللَّيْلِ؟، فَقَالَتْ: لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ قَبْلَكَ، كَانَ إِذَا هَبَّ مِنَ اللَّيْلِ كَبَّرَ عَشْرًا وَحَمَّدَ عَشْرًا، وَقَالَ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ عَشْرًا، وَقَالَ: سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ عَشْرًا، وَاسْتَغْفَرَ عَشْرًا، وَهَلَّلَ عَشْرًا، ثُمَّ قَالَ: "اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا، وَضِيقِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَشْرًا، ثُمَّ يَفْتَتِحُ الصَّلَاةَ}[٤].

١- السنن للإمام ابن ماجه، ج:١، رقم الحديث: ٩٢٨.

٢- الصحيح للإمام مسلم، ج:١، رقم الحديث: ١٣٢٩.

٣- السنن للإمام أبي داؤد، ج:١، رقم الحديث: ٧٦٣.

٤- السنن للإمام أبي داؤد، ج:٣، رقم الحديث: ١٦٧٥.

(٧)- قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: {سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "وَالله إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً} (١).

(٨)- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ، جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} (٢).

(٩)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ} (٣).

(١٠)- عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ وَلَوْ فَعَلَهُ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً} (٤).

(١١)- عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {كَانَ فِي لِسَانِي ذَرَبٌ عَلَى أَهْلِي وَكَانَ لَا يَعْدُوهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ؟ تَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً"} (٥).

(١٢)- عَبْدَ الله بْنَ بُسْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: {قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا"} (٦).

١- الصحيح للإمام البخاري، ج:٣، رقم الحديث: ١٢٥٧.

٢- السنن للإمام أبي داؤد، ج:١، رقم الحديث: ١٥١٤.

٣- الجامع للإمام الترمذي، ج:٢، رقم الحديث:١٢٨٥.

٤- الجامع للإمام الترمذي، ج:٢، رقم الحديث:١٥١٥.

٥- السنن للإمام ابن ماجه، ج:٣، رقم الحديث: ٦٩٧.

٦- السنن للإمام ابن ماجه، ج:٣، رقم الحديث: ٦٩٨.

(١٣)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَذِهِ، فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ"}[١].

(١٤)- عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {أَمَانَانِ كَانَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رُفِعَ أَحَدُهُمَا، وَبَقِيَ الْآخَرُ، "وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ، وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ"}[٢].

(١٥)- قَالَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا، وَرُبَّمَا قَالَ: أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ، وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَبْتُ، فَاغْفِرْ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ، أَذْنَبْتُ أَوْ أَصَبْتُ آخَرَ، فَاغْفِرْهُ، فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا، وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَابَ ذَنْبًا، قَالَ: قَالَ رَبِّ، أَصَبْتُ أَوْ قَالَ أَذْنَبْتُ آخَرَ: فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ"}[٣].

اتضح من الحديث السابق أن لا نهتم بانقطاع التوبة، فعلى الإنسان أن يجدّد توبته بعد انقطاعه فوراً بشرط أن تكون بإخلاص، أي: أن تكون التوبة بعزم صميم بأن لا يعود إلى الذنب، فإذا انقطعت التوبة بعد هذا ولو مائة مرة فلا بأس. فعليه أن يتوب كل مرة، ليكون من عباد الله الصالحين القانتين.

١- المسند للإمام أحمد، ج:٤، رقم الحديث: ٣٣٨١.

٢- المسند للإمام أحمد، ج:٨، رقم الحديث: ١٢٩٢.

٣- الصحيح للإمام البخاري، ج:٣، رقم الحديث: ٢٤٠٠.

(١٦)- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: {قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "التائب من الذنب كمن لا ذنب له"}(١).

(١٧)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، {قَالَ: "لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى تَبْلُغَ خَطَايَاكُمُ السَّمَاءَ، ثُمَّ تُبْتُمْ لَتَابَ عَلَيْكُمْ"}(٢).

(١٨)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ مِنْهُ بِضَالَّتِهِ، إِذَا وَجَدَهَا"}(٣).

(١٩)- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "للهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ أَضَلَّ رَاحِلَتَهُ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَالْتَمَسَهَا، حَتَّى إِذَا أَعْيَى تَسَجَّى بِثَوْبِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعَ وَجْبَةَ الرَّاحِلَةِ حَيْثُ فَقَدَهَا، فَكَشَفَ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ، فَإِذَا هُوَ بِرَاحِلَتِهِ"}(٤).

(٢٠)- عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، {قَالَ: "إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا"}(٥).

٤ – أقسام التوبة:

للتوبة ثلاثة أنواع (١) التوبة (٢) الإنابة (٣) الأوّاب.

(١)- التوبة: الذي يتوب خوفًا من عذاب الله هو صاحب التوبة، وهذا مقام ابتدائي

١- المشكاة المصابيح، ج:٢، رقم الحديث: ٨٩٥.

٢- السنن للإمام ابن ماجه، ج: ٣، رقم الحديث: ١١٢٨.

٣- السنن للإمام ابن ماجه، ج: ٣، رقم الحديث: ١١٢٧.

٤- السنن للإمام ابن ماجه، ج:٣، رقم الحديث: ١١٢٩.

٥- الصحيح للإمام مسلم، ج:٣، رقم الحديث: ٢٤٨٨.

للسالك وصفة المؤمنين قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

(٢)- الإنابة: الذي يتوب بنية الثواب هو صاحب الإنابة، والإنابة صفة الأولياء والمقربين قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾[2].

(٣)- الأوّاب: الذي يتوب إطاعة لربه فلا يتوب رغبة للثواب أو خوفاً من العقاب، وهذه صفة الأنبياء ا رسل عليهم السلام يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[3].

٥- **أركان التوبة:**

للتوبة ثلاثة أركان:

(i)- الندامة قلبياً

(ii)- الاعتذار باللسان

(iii)- ترك الذنوب ومرتكبيها.

٦- **الأعمال التي يجب التوبة عنها:**

(١)- التكبر في العبودية.

(٢)- الإحساس بالقلة/الصغر في الذنوب الاستخفاف بالذنوب.

(٣)- كفر الإحسان.

(١)- علامات التكبر في العبودية ثلاثة:

١- سورة النور، الآية: ٣١.

٢- سورة ص، الآية: ٢٤.

٣- سورة ص، الآية، ٣٠.

(i)- أن يظن الإنسان نفسه ناجياً بأعماله.

(ii)- تحقير مقصد العمل.

(iii)- الإغفال في بحث نفسه.

(٢)- ولتصغير الذنوب علامات ثلاثة:

(i)- أن يجعل نفسه مستحقاً للمغفرة.

(ii)- الاطمئنان بإيذاء الآخرين.

(iii)- صحبة الطا□□ (الفاسق□).

(٣)- وللكفر أيضاً ثلاث علامات:

(i)- الابتلاء بحب النفس.

(ii)- تقدير الأعمال أن يقدر أعماله الحسنة.

(iii)- التوقف عن الأعمال الصالحة بسبب الابتهاج بحب ا□.

٧- **أسباب التوبة:**

(١)- يأتي الإحساس بضرورة التوبة في قلب الإنسان حينما يستيقظ من نوم الغفلة ويكره حالته ا□وجودة.

(٢)- الإحساس بالتوبة يدل على أن الله تعالى يميل إلى الإنسان ويريد أن يكرمه ويوفقه للرجوع إلى ربه.

(٣)- هناك واعظ من الله تعالى يوجه الإنسان إلى التوبة، وفي الحديث: {وَاعِظُ ا□ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ}[1].

(٤)- الإحساس بالتوبة يأتي في قلب الإنسان وفكره أولاً، وفي الحديث: {أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ،

١- المسند للإمام أحمد، ج:٧، رقم ا□ديث: ٧٢٨.

أَلا َوهَيَ ٱلْقَلْبُ} [١].

(٥)- حينما يفكر الإنسان في قلبه عن قبح الذنوب وينظر إلى أعماله السيئة فتأتي في قلبه إرادة التوبة وأن الله يعينه حينما يريد هذا الإنسان الاجتناب عن الذنوب ويحقق إرادته ويوفقه للتوبة ويهيء له أسباب التوبة.

(٦)- ا يمر الإنسان بحادثة فتأتي تغيرًا مثبتًا أحيانًا، مرة خوفًا ومرة إحساسًا بنعم الله تعالى عليه أنه أنقذه من هذه المشكلة.

(٧)- يميل إلى الصلاح والكراهية من الذنوب بصحبة الصالحين، وما أحسن قول جلال الدين الرومي:

ت صالح ترا صالح كند
ت طالح ترا طالح كند

(صحبة الصالحين تجعلك صالحًا وصحبة الطالحين تجعلك طالحًا) [٢].

(٨)- ترك صحبة الطالحين ُيبعد الإنسان عن الذنوب؛ يرجع الإنسان إلى الفطرة السليمة ويستعد للتوبة بعد نبه عن البيئة الفاسدة.

٨- **شروط التوبة:**

(١)- تصدر الذنوب من الإنسان عمدًا أو خطأً ولذا ب التوبة، إذا كان الذنب في حقوق الله، وليس هناك ضياع لحقوق العباد فلمثل هذه التوبة ثلاثة شروط:

(i)- ترك الذنوب التي يتوب عنها.

(ii)- أن يخجل على ارتكاب الذنوب.

(iii)- أن يعتزم أن لا يرتكب الذنب مرة أخرى.

١- الصحيح للإمام البخاري، ج: ١، رقم الحديث: ٥١.

٢- مثنوي مولانا جلال الدين الرومي، ج:١، باب: ٣٥.

(٢)- إذا صدر من الإنسان ذنب له علاقة بحقوق العباد فيجب على التائب أن:

(i)- أن يبرئ نفسه من حق العبد الذي يتعلق الحق به، فمثلاً إذا كان الحق يتعلق بالمال فعلى التائب أن يؤدي حقوقه المالية أو يطلب العفو منه ثم يكمل الشروط البقية المذكورة.

(ii)- أن يترك الإنسان الذنب.

(iii)- أن يخجل على ارتكاب الذنب.

(iv)- **أن يعزم أن لا** يرتكب الذنب مرة أخرى.

(٣)- هذه هي الشروط العامة لقبول التوبة؛ ولكن إذا قُتل شخص سهواً بغير عمد فتكون شروط التوبة مختلفة يجب في قتل الخطأ أن يعتق عبداً مع الشروط المذكورة، وإذا لم يكن العبد موجوداً فعليه الصوم لشهرين متتابعين، وأن يؤدي الدية **لورثة المقتول،** وقد بيّن الله تعالى توبة قتل الخطأ بنفسه فيجب تكميل الشروط اللازمة للتوبة[1].

(٤)- إذا ارتد المؤمن فشروط التوبة هي: أن يتوب من الكفر وأن يصلح أعماله حسب الشريعة وأن يجدد إيمانه يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[2].

(٥)- وهذه شروط التوبة فإذا فقد أي شرط من الشروط المذكورة فلا تصلح التوبة، ولذا يجب الاهتمام بها لتقبل التوبة عند الله سبحانه وتعالى.

١- تفسير سورة النساء، الآية: **٩٢.**

٢- سورة الأعراف، الآية: ١٥٢-١٥٣.

٩- **عدم قبول التوبة:**

هناك أناس يرتكبون جريمة كبيرة بحيث لا يقبل الله توبتهم رغم كونه رحماناً ورحيماً:

(١)- الذين ينسون الله تعالى طول حياتهم ويصرّون على الذنوب إلى ظهور **علامات ا◻وت فيقومون** بالتوبة والاستغفار، فلا تقبل توبة هؤلاء.

(٢)- الذين ماتوا في حالة الكفر، لا يقبل الله تعالى يوم القيامة توبتهم **واستغفارهم البتة.**

(٣)- **الذين ارتدوا** بعد الإيمان، فماتوا كافرين، فلاتقبل توبتهم يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾[١].

١٠- **طريقة التوبة:**

تختلف طريقة التوبة باختلاف الذنوب. بعض الذنوب تحتاج إلى شروط قبل التوبة في حين أن بعضهالا تحتاج إلى شيء غير الندامة والخجل من الذنب والعزم القوي بعدم ارتكاب الذنب مرة أخرى.

التوبة عن الذنوب المعلنة تكون معلنة، فطريق التوبة كما يلي:

(١)- يصلي المذنب ركعتين بنية التوبة ويتوب، وهناك مصالح وفوائد لمثل هذه التوبة:

(i)- **ا◻سنات يذهبن السيئات**

(ii)- التوبة في الصلاة تكون بحضور القلب، وحضور القلب ضروري لقبول التوبة.

(iii)- تكره النفوس البشرية الصلاة، ولذا تخاف النفس عن ارتكارب الذنوب.

(iv)- **تغفر الذنوب بالتوبة وتنفع حسنات صلوة التوبة.**

١- سورة آل عمران، الآية: ٩٠.

(٢)- التوبة عن ترك الصلاة تكون بقضائها ثم يتوب إلى الله تعالى أن لا يترك الصلوة.

(٣)- التوبة عن ترك الصوم تكون بقضائها ثم يتوب إلى الله تعالى.

(٤)- إذا كان الذنب عن حقوق الله تعالى وليس فيه ضياع لحقوق البشر فيجب على التائب:

(i)- أن يترك الذنب الذي يتوب عنه.

(ii)- أن يخجل من الذنب.

(iii)- أن يعزم عزماً قوياً أن لا يتلوّث بالذنب مرة أخرى.

(٥)- إذا كان الذنب له علاقة بحقوق العباد فعلى التائب أن يؤدي حق هذا العبد أو يطلب الإعفاء عنه ثم يتوب إلى الله تعالى.

(٦)- إذا حدث القتل سهواً من الإنسان فعليه أن يعتق عبداً قبل التوبة، وإذا لم يكن العبد موجوداً فيصوم شهرين متتابعين، ويؤدي الدية لورثة المقتول[١].

(٧)- على التائب أن يذكر ذنوبه ويلح في التوبة.

(٨)- تقبل طبيعة الإنسان صحبة الصالحين والطالحين، فعلى الإنسان أن يختار صحبة الصالحين ويترك صحبة الطالحين.

(٩)- أن يتذكر الإنسان بالعقاب الذي ذكر للذنوب في القرآن والسنة.

(١٠)- علينا أن نفكر في نعم الآخرة التي يمكن حصولها بالاجتناب عن الذنوب والتوبة.

(١١)- ذكر الموت بكثرة يزيل لذات الذنوب ويجعل الإنسان مائلاً إلى التوبة، فعلينا أن نتذكر بالموت.

(١٢)- علينا أن نفكر في الموتى الذين ليس عندهم فرصة العمل الصالح والتوبة، وهذه الفرصة موجودة عندنا.

١- تفسير سورة النساء، الآية: ٩٢.

(١٣)- ذكر الذنوب **لا** يكون مقصوداً بالذات؛ لأن هذا يخيل أن الله تعالى ساخط عني، وهذا الخيال خطير.

(١٤)- علينا أن ننظر إلى ليالينا وأيامنا ونعيّن الأخطاء والذنوب فنتوب عنها وأن نعزم عزماً قوياً أن لا نرجع إلى الذنوب.

(١٥)- الندامة على الذنوب والتوبة عنها إجمالاً والعزم القوي بعدم **الارتكاب بالذنوب**.

(١٦)- علينا أن نعرف سبب كل ذنب ونسعى لإزالة أسباب الذنوب.

(١٧)- السعي لإزالة الذنوب على أساس الأسباب.

(١٨)- الشهوات النفسية تميل الإنسان إلى الذنوب فعلينا أن نربّي أنفسنا.

(١٩)- علينا أن لا نقنط من رحمة الله تعالى؛ لأنها أوسع من ذنوب **الناس** جميعاً.

(٢٠)- علينا أن نجعل الاستغفار والتوبة مقصداً لحياتنا، كما نجعل الوظيفة والتجارة والزواج قضية مهمة، وندبر لحلها ونسعى لحصولها رغم المشاكل والعراقيل.

(٢١)- علينا أن لا نحقّر الاستغفار؛ لأن بداية كل عمل بالقول كما يجب علينا أن **لا نكتفي بالاستغفار** اللساني فقط بل يجب علينا أن نجعل كل عضو **من أعضاء** الجسم شريكاً في التوبة، فبهذا لا يمكن للرجل أن تمشي في الذنوب والعين أن تنظر إلى المحرمات لارتكاب الذنوب، والذهن لا يفكر في المعصية.

١١- **كلام الصوفياء عن التوبة:**

هناك أقوال جميلة عن التوبة، فهي تستحق أن تكتب بماء الذهب.

(١)- يقول الجنيد البغدادي رحمة الله عليه أن للتوبة ثلاثة معانٍ[1]:

(i)- الندامة على الخطأ.

(ii)- ترك العادة عن الأعمال الممنوعة.

١- الرسالة القشيرية، للإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ١٥٢.

(iii)- السعي في أداء حقوق الآخرين.

(٢)- يقول الجنيد البغدادي رحمة الله عليه: ذهبت مرة إلى السيد سر سقطي رحمة الله عليه فكانت حالته متغيرة، فسألته ماذا حدث بك؟ فقال جاءني شاب وسأل عن التوبة، فقلت له: التوبة أن لا ُتنسى الذنوب، فقال لي قاطعاً كلامي أن التوبة هي نسيان الذنب، فقلت: إن التوبة في الحقيقة عندي أيضاً هي ما قال الشاب[١].

(٣)- يقول الجنيد البغدادي رحمة الله عليه: إن التوبة هي ترك الذنوب[٢].

(٤)- يقول سهل بن عبد ا رحمة الله عليه: التوبة هي ترك الإرجاء والتأخير[٣].

(٥)- يقول سهل بن عبد ا رحمة الله عليه: التوبة هي أن لا ُتنسى الذنوب[٤].

(٦)- يقول حارث رحمة الله عليه: لم أقل اللهم أسئلك توبة، بل أقول دائماً يا رب أسئلك رغبة في التوبة[٥].

(٧)- قال رويم رحمة الله عليه: عن التوبة هي التوبة عن التوبة[٦].

(٨)- يقول ذو النون المصري رحمة الله عليه: التوبة بدون الاجتناب عن الذنوب توبة الكاذب[٧].

(٩)- يقول ذو النون المصري رحمة الله عليه: توبة العامة عن الذنوب، وتوبة الخالصة عن الغفلة[٨].

١- المرجع السابق، ص: ١٥٢.

٢- المرجع السابق، ص: ١٥٢.

٣- المرجع السابق، ص: ١٥٢.

٤- المرجع السابق، ص: ١٥٢.

٥- المرجع السابق، ص: ١٥٢.

٦- المرجع السابق، ص: ١٥٢.

٧- اللمع في التصوف للشيخ أبي نصر سراج، ص: ٨٠.

٨- الرسالة القشيرية، للإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ١٥٢.

(١٠)- **يقول أبو ا□س□ النوري** رحمة الله عليه: التوبة هي التوبة عما سوى الله **(أي الرجوع إلى الله تعالى فقط)**[١].

(١١)- يقول عبد الله بن علي بن محمد التميمي رحمة الله عليه: **إن الذي يتوب عن** الذنوب، والذي يتوب عن الغفلة، والذي يتوب عن النظر إلى الحسنات فرق كبير[٢].

(١٢)- يقول الشيخ الواسطي رحمة الله عليه الذي يقوم بالتوبة النصوح لا يبقى عليه **آثار** الذنوب الظاهرة والباطنة، وصاحب توبة النصوح لا يبالي كيف يصبح وكيف يمسي[٣].

(١٣)- **سئل ابن يزدانيار** رحمة الله عليه[٤] إذا أراد الإنسان أن يفرّ إلى اله فبأي أسس يفر؟ **فقال أن يفر:**

- (i)- أن لا يعود إلى الذنب الذي خرج عنه.
- (ii)- أن لا يفكر عن غير الله تعالى.
- (iii)- أن يحافظ قلبه عن النظر إلى الشيء الذي كرهه[٥].

(١٤)- قال شخص لرابعة البصرية رحمة الله تعالى عليها إنني ارتكبت ذنوباً كثيرةً فهل تقبل توبتي؟ فأجابت الرابعة البصرية لا، أنت تتوب حينما يوفقك الله للتوبة[٦].

١- المرجع السابق، ص: ١٥٢.

٢- المرجع السابق، ص: ١٥٢.

٣- المرجع السابق، ص: ١٥٢.

٤- هو أبو بكر بن على بن يزدانيارارموي رحمة الله عليه.

٥- الرسالة القشيرية، للإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ١٥٢.

٦- المرجع السابق، ص: ١٥٤.

(١٥)- يقول الشيخ شنجي رحمة الله عليه[١] حينما يذكر الإنسان ذنباً فلم يرغب فيه فهذه التوبة الحقيقية[٢].

(١٦)- يقول الشيخ ابن عطار رحمة الله عليه للتوبة قسمان:

(i)- توبة الإنابة: وهي أن يتوب العبد خوفاً من عذاب الله تعالى.

(ii)- توبة الاستجابة: وهي أن يتوب العبد حياءً من الله تعالى[٣].

(١٧)- يقول الخواجه عبد الله الأنصاري الهروي رحمة الله عليه: التوبة هي الرجوع إلى الله تعالى[٤].

(١٨)- يقول الشيخ ضياء الدين السهروردي رحمة الله عليه: التوبة هي ندامة الإنسان بعد ارتكاب الذنوب والرجوع إليه بكثرة الاستغفار[٥].

(١٩)- يقول السيد على الهجويري رحمة الله عليه: التوبة هي الاجتناب عن البغي والاجتناب عنه والوعد بإخلاص بإكمال النقص في الماضي[٦].

(٢٠)- يقول الحسين المغازلي رحمة الله عليه التوبة هي:

(i)- الخوف من الله تعالى لأنه قادر علينا.

(ii)- الحياء من الله تعالى لأنه قريب إلينا[٧].

١- هو عبد الرحمان بن محمد داؤدي بوشنجي الخراساني.

٢- الرسالة القشيرية، للإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ١٥٣.

٣- المرجع السابق، ص: ١٥٣.

٤- صد ميدان للشيخ عبد الله الأنصاري، ص: ١٧.

٥- آداب المريد للشيخ ضياء الدين السهروردي، ص: ٣٦.

٦- المرجع السابق، ص: ١٥٣.

٧- التعرف لأبي بكر بن إسحاق محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلابازي، ص: ١٤١.

(٢١)- يقول الشيخ إبراهيم دقاق رحمة الله عليه: **التوبة، هي**: الإقبال إلى الله تعالى مثل الإدبار عنه في الماضي وأن لا يُدبر عنه مرة أخرى[١].

(٢٢)- يقول الشيخ الحسن البصري رحمة الله عليه: أن التوبة قائمة على أربعة أعمدة:

(i)- الاستغفار باللسان.

(ii)- الندامة بالقلب.

(iii)- ترك الذنوب بالأعضاء.

(iv)- العزم بعدم الرجوع إلى الذنب مرة أخرى.

والتوبة الخالصة أن لا يرتكب الذنب مرة أخرى[٢].

١٢- بعض الأحداث الواعظة عن التوبة:

(١)- خلق الله آدم وحوّا عليهما السلام وأمر هما أن يسكنا الجنة حيثما شاءا ويأكلا رغداً **وأن لا يقربا الشجرة**. مكث آدم مدة في الجنة ولم يقترب الشجرة، ولكن الشيطان أزله فأكل منها، ولما أكلا بدت لهما سوءاتهما فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة. كما أدرك آدم وحوّا عليهما السلام خطئهما فاستغفرا ربهما فوراً. ذكر القرآن كلمات هذا الدعاء بقوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٣].

حينما صدر من آدم وحوّا عليهما السلام ذنباً تابا واستغفرا ربهما بكل عجز وخجل من ذنبهما بقولهما ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفرلنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين. حينما قدم آدم وحوّا عليهما السلام عذرهما أمام الله تعالى قبل ربهما عذرهما وعفاهما ورحم عليهما. وقد كتب أبو حيان الأندلسي تحت هذه الآية وقال أن هناك خمسة

١- الرسالة القشيرية، للإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ١٥٣.

٢- غنية الطالب□ للشيخ عبد القادر الجيلاني، ص: ٣١٧.

٣- سورة الأعراف، الآية: ٢٣.

أشياء صارت سبباً لنجاته:

(i)- الاعتراف بذنبه.

(ii)- الندامة على الخطأ.

(iii)- ملامة النفس على الخطأ.

(iv)- التوبة.

(v)- الطمع والرجاء برحمة الله.

وخمسة أشياء صارت سبباً لهلاك الشيطان:

(i)- عدم الاعتراف بذنبه.

(ii)- عدم الندامة على الخطأ.

(iii)- عدم ملامة النفس على الخطأ.

(iv)- عدم التوبة.

(v)- اليأس من رحمة الله.

فعلى الإنسان أن يحس بخطاياه ويتوب إلى الله تعالى. **وعلينا أن نتبع خطوات آدم وأن لا نتبع خطوات الشيطان.**

(٢)- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: {أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب، فأتاه، فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسا يعبدون الله، فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت

فِيهِ مَلَائِكَةُ ٱلرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ ٱلْعَذَابِ، فَقَالَتْ: مَلَائِكَةُ ٱلرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى ٱللَّهِ، **وَقَالَتْ**: مَلَائِكَةُ ٱلْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ **فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ**: قِيسُوا مَا بَيْنَ ٱلْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ **فَوَجَدُوهُ أَدْنَى** إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ ٱلرَّحْمَةِ}[1].

(٣)- كان هناك رجل في زمن موسى **عليه السلام** لا يستقيم في توبته، فأوحى الله تعالى **موسى عليه السلام** أن يقول للشاب أن لا يقطع توبته، فإن رجع إلى الذنب مرة أخرى فأعاقبه ولا أقبل توبته، **فأوصل موسى عليه السلام** الرسالة، صبر الشاب أياماً ثم ارتكب ذنباً مرة أخرى.

أوحى الله تعالى موسى **عليه السلام** قل له أنني ساخط منه، فبلّغ موسى **عليه السلام** الرسالة، فخرج الرجل إلى الصحراء و**هو يقول: "اللهم ما هذه الرسالة** التي أرسلت إلى موسى عليه السلام؟ هل انتهت خزائن مغفرتك؟ يا مولاي أي ذنب أكبر من رحمتك، ولا يغفر، أنت قلت أنك **لن تغفر** لي. **اللهم كيف لا تغفر ذنبي، وصفة الكريم من صفاتك**. اللهم إن جعلت عبادك قانطين من رحمتك فإلى أي باب يذهبون؟ اللهم إن طردتهم فإلى أين يذهبون؟ اللهم إن انتهت رحمتك **فعذّبني**. اللهم ألق ذنوب جميع عبادك عليّ، اللهم أنا أفدى نفسي عنهم جميعاً، **عذبني واعف** عن الجميع".

أوحى الله تعالى موسى **عليه السلام بأن قل** للعبد لو ملأت ذنوبك السماء والأرض لعفوتك بعد هذا الدعاء؛ لأنك عرفت عفوي ورحمتي.

يقول أبو سعيد بن أبو الخير في رباعيته:

١- الصحيح للإمام مسلم، ج:٣، رقم الحديث: ٢٥٠٧.

باز آ باز آ، هر آنچه هستی باز آ
کاف . گبر و بت پرستی باز آ
این درگه ما درگه نومیدی نیست
بار اگر توبه شکستی، باز آ

(ارجع، ارجع أيا كنتَ كافراً أو مجوسياً أو عابدَ صنم، ارجع، هذه **زاويتنا ليست** زاوية اليأس. إن كسرت **التوبة مائة مرة فارجع إلينا)**[١].

(٤)- روى عبد الله بن **عمر** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: {سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوْا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمْ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنْ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَتَحَرَّجْتُ مِنْ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ

١- رباعيات لأبي سعيد فضل الله بن أبو الخير أحمد بن محمد بن إبراهيم، ص: ١٤.

كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي فَقُلْتُ لَهُ كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنْ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللهِ لَا تَسْتَهْزِئُ بِي فَقُلْتُ إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَانْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ} [١].

(٥)- كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذهب إلى غزوة، فقال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيلتقى بنا في السبيل رجل صمّم مخالفة الشيطان منذ ثلاثة أيام. فرأى الصحابة بعد مدة وجيزة من السفر شخصا قد اتصل لحمه بالعظام أي صار نحيفا جدا واختفت العيون في الحدق، واخضرت الشفة بسبب أكل عشب الغابة، فبرز الرجل وسأل عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فعرّف الصحابة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سأل الرجل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإسلام، فقال له الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصلوت الخمسة وصوم رمضان. فقال قبلت، وقال حج البيت على المستطيع وإيتاء الزكوة على الغني وغسل الجنابة، فقال الرجل قبلت. فتقدم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان الرجل أيضًا معه فتأخر إبله، فوقف الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبدأ الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين يبحثون فرأوا أن أرجل إبله قد خسفت في جحر الضب فسقط إبله فكسر عنق الإبل وصاحبه فماتا فأخبر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الحادثة.

١- الصحيح للإمام البخاري، ج: ١، رقم الحديث: ٢١٦٩.

عندما وصل الخبر فأمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوراً لإقامة الخيمة وكُفن الميت وخرج من الخيمة وقال للصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين إن هذا **البدوي ذهب** من الدنيا جائعا وقد تاب وآمن، ولم يظلم أحدا بعد إيمانه ولم **يرتكب** بذنب فاستقبلته حور الجنة بالورود وملأن فمه بالفواكه فتقول حور: **يا رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجعلني زوجته والثانية تقول: اجعلني زوجته[1].

(٦)- كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ قِصَّةِ تَبُوكَ قَالَ: {كَعْبٌ لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، **وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ حِينَ تَوَاثَقْنَا** عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا، كَانَ مِنْ خَبَرِي أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي **تِلْكَ الْغَزَاةِ وَاللَّهِ** مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ **الْغَزْوَةُ غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا وَعَدُوًّا كَثِيرًا فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ **وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرٌ وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ يُرِيدُ الدِّيوَانَ قَالَ كَعْبٌ فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ **وَحْيُ اللَّهِ وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتْ الثِّمَارُ وَالظِّلَالُ وَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ**

١- بحار الأنوار، ص: ٢٨٢.

أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئا فأقول في نفسي أنا قادر عليه فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئا فقلت أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض شيئا ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئا فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو وهممت أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت فلم يقدر لي ذلك فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه النفاق أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه ونظره في عطفه فقال معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كعب بن مالك فلما بلغني أنه توجه قافلا حضرني همي وطفقت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما زاح عني الباطل وعرفت أني لن أخرج منه أبدا بشيء فيه كذب فأجمعت صدقه وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك فقلت بلى إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن

سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ لَا وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ فَقُمْتُ وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي فَقَالُوا لِي وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُتَخَلِّفُونَ قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكَ فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي أَحَدٌ قَالُوا نَعَمْ رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ فَقُلْتُ مَنْ هُمَا قَالُوا مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسْوَةٌ فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الْأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ وَآتِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَأَقُولُ فِي نَفْسِي هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ،

فقلت: يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله، فسكت، فعدت له، فنشدته، فسكت، فعدت له، فنشدته، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار قال فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشأم ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك، فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءني دفع إلي كتابا من ملك غسان فإذا فيه أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك فقلت لما قرأتها وهذا أيضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته بها حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل قال لا بل اعتزلها ولا تقربها وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك فقلت لامرأتي الحقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر قال كعب فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه قال لا ولكن لا يقربك قالت إنه والله ما به حركة إلى شيء والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا فقال لي بعض أهلي لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه فقلت والله لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريني ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت

صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ قَالَ فَخَرَرْتُ سَاجِدًا وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ وَآذَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ فَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ يَقُولُونَ لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ قَالَ كَعْبٌ حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ وَلَا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ قَالَ كَعْبٌ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ قَالَ قُلْتُ أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قَالَ لَا بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِ اللَّهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ قُلْتُ فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِيَ الَّذِي بِخَيْبَرَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصِّدْقِ وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا

بقيت وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ إلى قوله ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد فقال تبارك وتعالى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ ﴾ إلى قوله ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ قال كعب وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه فبذلك قال الله: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾ وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه}[1].

(٧)- عن أبي لبابه رضي الله عنه: {روى أن النبي صلى الله عليه وسلم حاصر بني قريظة إحدى وعشرين ليلة، فسألوا الصلح كما صالح إخوانهم بني النضير على أن يسيروا إلى أذرعات وأريحا من أرض الشام، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلوا إلا على حكم سعد بن معاذ، فأبوا وقالوا أرسل إلينا أبا لبابة مروان بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم؛ لأن عياله وماله في أيديهم، فبعثه إليهم، فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد، فأشار إلى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله لأن الله أمر بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

١- الصحيح للإمام البخاري، ج:٢، رقم الحديث: ١٦٠٥.

ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ ﴾(١)، فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد، وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي، فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال: لا، والله لا أحلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه عليه السلام، فحله بيده، فقال: إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي، فقال عليه السلام: يجزيك أن تتصدق من مالك بالثلث} (٢).

(٨)- يقول أبو هريرة رضي الله عنه خرجت من المسجد بعد الصلاة مع النبي صلى الله عليه وسلم فسألتني امرأة قد ارتكبت ذنباً كبيراً هل أستطيع أن أتوب؟ فسألتها أي ذنب ارتكبت؟ فقالت ارتكبت الزنا وولدت بولد في نتيجة الزنا، فقتلته. يقول أبو هريرة رضي الله عنه، فقلت لها فقد هلكت، فليس لك توبة، فسقطت المرأة مغشية عليها بعد ما سمعت كلامي فوراً، فمشيت في الطريق. ثم فكرت لماذا قلت هذا الكلام بدون أن أسأل من الرسول صلى الله عليه وسلم فحضرت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وحكيت له القصة تماماً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد أسأت أما سمعت قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(٣).

يقول أبو هريرة رضي الله عنه فخرجت فوراً في البحث عن هذه المرأة بعد ما سمعت، وبدأت أسأل عنها عن كل شخص فاضطربت حالي حتى ظن الناس أني

١- سورة الأنفال، الآية: ٢٧.

٢- المشكاة المصابيح، ج:٣، رقم الحديث: ٦١١.

٣- سورة الفرقان، الآية: ٧٠.

مجنون. فوجدت أخيراً المرأة. حينما سمعتها الآية القرآنية المذكورة ففرحت فرحاً شديداً، فتصدقت بحديقتها لله ورسوله فرحاً بهذا الخبر[١].

(٩)- مّر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زقة من زقاق المدينة فرأى بغتة شاباً يمشي وقد أخفى زجاجة الخمر تحت لباسه، فسأل عمر رضي الله عنه الشاب ماذا في الزجاجة؟ فلم يستطع الشاب أن يقول إن في الزجاجة خمر، ولكنه تاب إلى الله تعالى في قلبه ودعاه بقوله: اللهم لا تفضحني أمام عمر رضي الله عنه واسترني عيبي، فلا أشرب الخمر بعد هذا. ثم أجاب الشاب بعد هذا لعمر رضي الله عنه وقال: يا أمير المؤمنين فيه خَلّ. فقال عمر له أرني حينما فُتحت الزجاجة فقد تغيّر الخمر إلى الخّل[٢].

(١٠)- كان الغلام عتبة مشهوراً بفواحشه. مرة حضر عند الحسن البصري رحمة الله عليه كان يفسر قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾[٣]، فسأل الغلام أيها الشيخ هل يتوب الرب الرحيم توبة هذا الشقي. فقال له نعم، فرفع رأسه ودعا بثلاث دعوات:

(i)- اللهم إن غفرت ذنوبي وقبلت توبتي فامنحني حافظة وذكاءً خارقاً أحفظ كل ما أسمع من القرآن الكريم والعلوم الدينية.

(ii)- اللهم اعطني صوتاً جميلاً يتأثر منه كل قلب قاسى بسماع قراءتي.

(iii)- اللهم اعطني رزقاً حلالاً من حيث لا أحتسب.

١- مكاشفة القلوب لأبي حامد الغزالي، ص: ٨٦- ٨٧.

٢- المرجع السابق، ص: ٨٦.

٣- سورة الحديد، الآية: ١٦.

تقبل الله تعالى الدعاء المذكور قبولاً حسنًا، فازداد فهمه وفراسته، وكان يتوب كل من يسمع قراءة القرآن من ذنوبه، ورزقه الله رزقًا حلالاً من الغيب[١].

(١١)- نُقل عن أبي سليمان داراني رحمة الله عليه أنه قال: كنت أحضر مجلس القاص، فأثّر كلامه على قلبي، حينما قمت لم يبق في قلبي شيءٌ، فجئته مرة ثانية، فأثّر عليّ كلام حتى رجعت إلى بيتي فكسّرت جميع آلات العصيان، واخترت طريق السلوك. قُصّت هذه القصة أمام يحي بن معاذ رحمة الله عليه فقال اصطاد العصفور مدّرب الطير[٢] وقال هذا عدة مرّات، وأراد من العصفور القاص وأراد من مدرب الطير السيد أبي سليمان داراني رحمة الله عليه[٣].

(١٢)- كان أبو عمرو نجيد رحمة الله عليه في مراحله الأولى يذهب إلى مجلس السيد أبي عثمان رحمة الله عليه، فأثّر كلامه، فتاب ثم كسل ولذا كان يفرّ من أبي عثمان كلما يراه ويبتعد عن مجلسه. جاء يوماً أمام أبي عثمان فاختار طريقًا آخر، فمشى أبو عثمان خلفه واستمر حتى وصل إليه فقال يا بُني إن الذي يحبك لعصمتك فلا تصحبه، وأبو عثمان ينفعك في هذه الحالة أيضاً، فتاب السيد أبو عمرو نجيد رحمة ا عليه واختار طريقه واستمر فيه[٤].

(١٣)- يقول الشيخ أبو علي الدقاق رحمة الله عليه تاب مريد، فحدث منه الكسل، فكان يفكر ماذا سيكون ا كم إذا تاب مرة ثانية، فهتفه هاتف يا فلان: أطعتنا فقبلنا ثم

١- مكاشفة القلوب لأبي حامد الغزالي، ص: ٨٩.

٢- طير معروف يسمى بمدرب الطير.

٣- الرسالة القشيرية للإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ١٥٠.

٤- المرجع السابق، ص: ١٥٠.

تركت فأمهلناك، إن رجعت إلينا فنقبلك. فعاد الشاب إلى إرادته واستمر فيه[١].

(١٤)- في العصور الأولى للأمة الإسلامية كان ناهب مشهور يصعد على جدار البيت لإرادة النهب والسرقة فكان مالك البيت يقرأ قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾[٢].

حينما سمع الناهب الآية المذكورة اهتز خوفاً وبدأ النداء بقوله يا رب جاء الوقت فنزل من الجدار باكياً فجلس في بيت خرب، واستمر في البكاء طول الليل حتى الصبح ثم تاب توبة صادقة وأراد أن يمكث بقية العمر في بيت الله الحرام لتوطيد التوبة. فبدأ يتعلّم علم الحديث حتى صار محدثاً كبيراً[٣].

(١٥)- يحكي الحافظ ابن القيم رحمة الله عليه قصة أنه كان يمر في زقاق ففتح الباب فرأى ولداً عمره حوالي ثماني سنوات تضربه أمه ساخطة عليه وتدّعه وتقول إنك عاصى فلا تسمع كلامي، ولا تطيعني فاخرج من هنا فدفعته بقوة فأخرجته من البيت.

أغلقت الأم الباب من الداخل "فوقفت هناك لأنظر ما سيحدث"؟ الولد يبكي لأنه ضُرب فقام الولد فبدأ يذهب متأملاً فوصل إلى معطف الزقاق، فقام متفكراً، ثم بدأ يرجع ماشياً حتى وصل إلى باب بيته، وكان متعباً ويبكي منذ مدة، فوضع رأسه عند الباب فجاء النوم فنام، بعد مدة طويلة فتحت والدته الباب فإذا هي □د ولدها ملقياً رأسه على الباب، ولم يخمد غضبها فتسخط عليه مرة أخرى، وتقول له: "اذهب وابتعد عني".

حينما زجرته مرة أخرى فقام الولد فسالت الدموع من عينيه ويقول: يا أمي أنت

١- المرجع السابق، ص: ١٥٠.

٢- سورة ا□ديد، الآية: ١٦.

٣- مكاشفة القلوب لأبي حامد الغزالي، ص: ٨٩.

أخرجتني من البيت ففكّرت أن أذهب إلى السوق فأتسوّل فأجد طعاماً للأكل. يا أمي إنني فكّرت إنني سأنظف الأحذية وأكون خادماً في بيت فأجد مكاناً للإيواء وطعاماً للأكل. أمي ذهبت إلى معطف الزقاق لهذا الغرض ولكن خطر في بالي أنني سأجد جميع النعم الدنيوية ولكنني لن أجد حب الأم في جميع العالم فرجعت بعد هذا التفكير. أمي سأبقى في هذا الباب سواء تّدعينني أو تضربينني فلا أذهب إلى مكان آخر.

حينما سمعت الأم هذا الكلام جاشت أمومتها فضمته بصدرها وقالت يا بني إذا كانت حالة قلبك هذا أن الحب الذي أعطيك لا يعطيه إياك أحد سواي فبابي مفتوح لك فغفرت ولدها واحتضنته في مهد الحب.

يقول الحافظ ابن القيم رحمة الله عليه حينما يأتي العبد المذنب بهذا الإحساس، ويعترف بذنوبه، ويستغفر ربه ويطمع برحمته، يتوب توبة صادقة فيغفر الرب عبده ويفتح له باب رحمته[١].

(١٦)- كان ذو النون المصري رحمة الله عليه يذهب في النيل راكباً في سفينة تلامذته فجاءته سفينة أخرى من الأمام فكان الراكبون يتغنون، وأنهم أحدثوا ضجة وشغباً فقال له تلامذته ادع عليهم أن يغرقهم الله وأن يصوننا من نحسهم، فقام ذو النون المصري ودعا الله تعالى لهم، اللهم فّرحهم في الآخرة كما فّرحتهم في الدنيا، فتحيروا بعد سماع هذا الدعاء، فدنت السفينة أثناء هذا، فندموا حينما رأوا ذا النون المصري أمامهم وألقو آلات الطرب واللهو في البحر وتابوا وصاروا من محبيه. قال لتلامذته هل رأيتم فقد تم مراد الجميع، فتم مرادكم وهم وصلوا إلى مرادهم[٢].

١- تُب من الذنوب لمولانا ذي الفقار أحمد النقشبندي، ص: ٧٩- ٨٠.

٢- المرجع السابق، ص: ٧٩- ٨٠.

(١٧)- يقول أبو على شفيق بن إبراهيم رحمة الله عليه جاءه عجوز مرة **يقول: إنني ارتكبت** ذنوبًا كثيرة وأريد أن أتوب، فقال له أيها الشيخ أنت جئت متأخرًا، فأجابه العجوز، لا، بل جئت عاجلاً، فسأله كيف جئت عاجلاً، فأجابه العجوز الذي يتوب قبل الموت فهو عاجل فلو تأخر كثيرًا[١].

***

١- المرجع السابق، ص: ٧٩- ٨٠.

٢

مقام التقوى[١]



١- **تعريف التقوى:**

(١)- للتقوى مقام عالٍ في السلوك. **ومقصوده هو البُعد عن الذنوب.** حينما ينزل نور الإيمان على قلب الإنسان فهو يجنّبه وُيبعده من المشتبهات، والتجنّب والبعد عن المشتبهات هو مقام التقوىٰ. ويسمى هذا الورع أيضاً.

(٢)- وقد ورد الحكم بالتقوىٰ في الآيات القرآنية بكثرة حيث لا يوجد بهذه الكثرة لشيء آخر، وهذا يدل على أهميته. وهذا معناه أن مقام التقوىٰ عال ومرتفع. وهناك معنيان للتقوى في القرآن الكريم، وهما: الخوف والتجنّب. ولا يخفى على المتأمل على أن المقصد الأصلي هو الاجتناب عن الذنوب بسبب الخوف من الله تعالى؛ وكلما يكون الخوف من شيء في القلب يُجتنب عنه.

٢- **المفهوم القرآني للتقوىٰ:**

وردت آيات كثيرة عن التقوىٰ في القرآن الكريم، ومنها:

(١)- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[1].

معنى هذه الآية اتق الله تعالى كما يليق بشأنه، ولكن ليس هذا المعنى مراد هنا؛ لأن الإنسان لا طاقة له به، والمعنى الثاني على الإنسان أن يتقي ربه حسب طاقته ويليق بشأن ربه، وهذا هو المراد هنا.

(٢)- ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾[2].

اتق الله حسب طاقتك، واتق فيه حتى تحصل حق التقوىٰ، وهذه الآية فسّرت الآية السابقة ووضحت أن التقوىٰ يكون حسب الاستطاعة.

١- سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

٢- سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٣)- ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[1].

بيّنت الآية مراد التقوىٰ إجمالاً، ويشمل التقوىٰ حسب هذه الآية على الأجزاء التالية:

(i)- الإيمان بالله.

(ii)- الإيمان بالقيامة.

(iii)- الإيمان بالملائكة.

(iv)- الإيمان بالكتب السماوية.

(v)- الإيمان بالأنبياء عليهم السلام (هذه كلها من المعتقدات).

(vi)- إنفاق المال في حب الله (هذا يتعلق بإصلاح القلب).

(vii)- إقامة الصلاة بالمواظبة (هذا يتعلق بالعبادة البدنية).

(viii)- أداء الزكاة (هذه عبادة مالية).

(ix)- الإيفاء بالعهود (هذا يتعلق بالمعاشرة).

(x)- الصبر (هذا يتعلق بالخُلق والسلوك).

(xi)- هذه العبادات الظاهرة لا تكفي، أي: أن الإتيان بهذه العبادة في الظاهر لا يكفي، بل لا بد أن تؤدي هذه العبادات بالصدق القلبي ولرضاء الله سبحانه وتعالى.

١- سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٤)- ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[١].

أساس التقوىٰ أن يخاف الإنسان مقام ربه يوم القيامة.

(٥)- ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٢].

الله يعلم كل شيء، وهو لا يعرف الأعمال الظاهرة فقط بل يعلم النّيات. وبما أن الله تعالى يرى كل شيء فيجب علينا الحياء منه.

(٦)- ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[٣].

(i)- كل عمل نقوم به يعلمه الله تعالى، لماذا نقوم به؟ فلذا علينا أن نحافظ على نياتنا، وتكون جميع الأعمال خالصةً لوجه الله تعالى. ولكن يمكن وقوع الخطأ من الإنسان، فعلينا أن نستغفر الله تعالى معتقدين أنه حليم يغفر السيئات.

(ii)- أساس التقوىٰ هو الشعور بذات الله تعالى، والخوف منه، والإحساس بالقيام أمامه. وعلينا أن نعلم إن قصّرنا فيه، وعصينا الله، وضيّعنا حقوقه، فإن العذاب في انتظارنا.

(٧)- ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[٤].

وفي الآية تنبيه شديد على الإنسان أن يتقي الله في كل حال وأن يجتنب من العصيان، ويعرف أن الله عزيز ذوانتقام، وأنه يتجاوز عن السيئات وهو غفور رحيم.

١- سورة البقرة، الآية: ٢٠٣.

٢- سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.

٣- سورة البقرة، الآية: ٢٣٥.

٤- سورة المائدة، الآية: ٢، وسورة الحشر، الآية: ٧.

(٨)- ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[١].

يمكن أن يؤخر في الإنصاف لحكمة بسبب كونه حليما رحيما.

(٩)- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢].

(i)- التقوىٰ مقتضى العقل، والعقل يسلم أن الله تعالى عظيم ورحيم وخالق ورب، **فينبغي الحياء منه.** ومن الحماقة الكبرى والجهل أن لا يشعر الإنسان بهذه الحقيقة، ويُسيء الأدب تجاهه، ويعصيه.

(ii)- ولا يمكن فلاح الإنسان إلا بإطاعة الله تعالى وحبه.

(١٠)- ﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٣].

بيّنت الآية علاقة الإيمان بالتقوىٰ، ومن مقتضيات الإيمان أن نشعر بذات الله تعالى دائماً، والإيمان بالله يعلّم الحياء، وهذا أصل التقوىٰ.

(١١)- ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[٤].

يقول الله تعالى بكل حب أنا ربكم، وأنا أرزقكم، ومن حقي أن تكون لكم علاقة معي، **وأن يكون هناك حب وإطاعة.**

(١٢)- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾[٥].

١- سورة المائدة، الآية: ٤.

٢- سورة المائدة، الآية: ١٠٠.

٣- سورة المائدة، الآية: ١١٢.

٤- سورة المؤمنون، الآية: ٥٢.

٥- سورة لقمٰن، الآية: ٣٣.

يأمر الله تعالى **الإنسان** في الآية المذكورة **ويقول** أيها الإنسان عليك أن تفكر لأنك ستعود إليّ يوماً، وتقوم يوم الحشر أمامي، وذلك يكون يوماً عسيراً، ولا ينفع حبّ ولا علاقة، حتى أن الوالد لا يجزي عن ولده ولا المولود **ينفع والده.**

(١٣)- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾[١].

الذين يتقون الله تعالى يعطيهم ربّهم رحمة مضاعفة، ويعطي نور الهداية ويعفو عن **السيئات، وهذه فوائد** التقوىٰ التي يمنحها الله تعالى إنعاماً.

(١٤)- ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[٢].

لا يقبل الأعمال إلا الله تعالى، وبيده قبول أعمال شخص ورد شخص آخر. **وأعلن** الله تعالى عن قبول أعمال المتقين بنفسه.

(١٥)- ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[٣].

من فوائد التقوىٰ هو حصول النصرة من جانب الله تعالى.

(١٦)- ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٤].

إن الله تعالى يحمي المطيعين والمتقين وينصرهم، ويقوّم أعمال الإنسان كلها، ونصرته دائمة ومفيدة في الدنيا وفي الآخرة كذلك.

١- سورة الحديد، الآية: ٢٨.

٢- سورة المائدة، الآية: ٢٧.

٣- سورة البقرة، الآية: ١٩٤، سورة التوبة، الآية: ٣٦، ١٢٣.

٤- سورة الجاثية، الآية: ١٩.

(١٧)- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[١].

وضّحت الآية أن التقوىٰ هو وسيلة أساسية ليكون الإنسان محبا أمام الله تعالى ومقبولاً عنده، كلما يتقدم الإنسان إلى الأمام في التقوىٰ ويرتقي يتقرب إلى الله تعالى ويتشرف برضائه.

(١٨)- ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٢].

لا يجوز الفخر بالنسل؛ لأن هذه الأشياء ليست في يد الإنسان، والشيء الذي لا يكون في اختياره لا يمكن أن يكون معياراً للفضيلة. ولذا جُعل التقوىٰ والخشية معيار الكرامة والفخر وهما في يد الإنسان. ويكون الإنسان محّبباً إلى الله ومعّززاً حسب تقواه.

(١٩)- ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾[٣].

(i)- الذي يتقي الله تعالى ويعتقد أن هناك ربه، وهو خالقه ومالكه، وهو منعم ووّهاب، فهو يراعي أن لا يسخط منه ربه وأن لا يصدر منه فعل خلاف رضائه، فمثل هذا الشخص رضي الله عنه ورضي عنه.

(ii)- رضاء الله تعالى من أعظم مقاصد الإنسان، يضعه الإنسان الصالح نصب عينيه، ويتمنّى كل مؤمن أن يتمتع برضاء خالقه ومالكه، ورضاء الرب هو المقصد الأصلي والضامن للسعادة في الدارين وكفيل للفلاح الحقيقي.

(iii)- تقوى الله وخشيته أساس متين للفلاح الحقيقي ولسعادة الدارين.

١- سورة التوبة، الآية: ٧.

٢- سورة ا□جرات، الآية: ١٣.

٣- سورة البينة، الآية: ٨.

(٢٠)- ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾[١].

تبين الآية أن الله تعالى يُسهل أمر المتقين، ويعلن عن تسهيل الأمور والتوسيع في الضيق والفوز في الصعاب للمتقين. **ولكن** للأسف الشديد إن الإنسان يجهل هذا الطريق السهل ويُحرم نفسه عن **بركاته.**

(٢١)- ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ﴾[٢].

إن الله تعالى يقرب الجنة للمتقين إكراماً واهتماماً لهم لتطمئن قلوبهم وليستفيدوا **من نعمها بكل سهولة.**

(٢٢)- ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ﴾[٣].

يعلن الله تعالى في هذه الآية أن المتقين هم المستحقون للجنة ويملكون حدائقها وعيونها.

(٢٣)- ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ﴾[٤].

ذكرت الآية عاقبة المتقين الذين قضوا حياتهم حسب أحكام ربهم خائفين منه، وسعوا طول حياتهم أن لا يسخط عليهم ربهم. ولذا سمعوا كلمة الحق، ووعوها بالقلب، وعملوا حسب استطاعتهم، فهم يدخلون الجنة العظيمة، و**يعيشون** في أنواع من النعم التي لا يتصور عنها في الدنيا، والعقل الإنساني عاجز عن تصورها.

(٢٤)- ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾[٥].

١- سورة الطلاق، الآية: ٤.

٢- سورة ق، الآية: ٣١.

٣- سورة الذاريات، الآية: ١٥.

٤- سورة الطور، الآية: ١٧.

٥- سورة النازعات، الآية: ٤٠-٤١.

وضّحت الآية أن الذي خاف الله تعالى متصوراً قيامه أمام ربه يوم القيامة وتجنّب من هوى النفس وضبط نفسه وأتبع أحكام ربه فله الجنة.

(٢٥)- ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾[١].

(i)- في الآية بشارة واضحة بينة وهي أن الذي يخاف الله تعالى فله جنتان، الأولى: الجنة القلبية والروحية، والثانية: الجنة المادية. إن الذي يحب الله تعالى حبا حقيقياً ويطيع أوامره ويجتنب عن نواهيه في الظاهر أيضاً يعطيه الله تعالى جنة للإتيان بأوامره وجنة لاجتنابه عن نواهيه.

(ii)- إذن التقوىٰ هو أساس أصلي للفلاح الحقيقي، والخوف من الله هو الشيء الوحيد الذي يعطي الإنسان الاستقامة على الحق والصبر على المصائب.

(٢٦)- ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٢].

أرشدت الآية الكريمة أن يتزود الإنسان بالتقوىٰ، في الحقيقة إن الإنسان مسافر لنوع من السفر.

(i)- السفر الدنيوي الذي هو عبارة عن الانتقال من مكان إلى آخر.

(ii)- السفر من الدنيا إلى الآخرة.

كما أن الزاد والأمتعة الأخرى ضرورية للسفر الدنيوي كذلك لا بد من الزاد للسفر الأخروى.والزاد الدنيوي يشتمل على الطعام والشراب والمركب والمال، ولكن زاد سفر الآخرة يشتمل على معرفة الله الحقيقية وحبه.

الزاد الأخروي ضروري جداً للأسباب التالية:

(i)- زاد الآخرة ينشيء الخوف في شغاف القلب من عقاب الله تعالى.

١- سورة الرحمٰن، الآية: ٤٦.

٢- سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(ii)- زاد السفر الدنيوي لإزالة الآلام والمصائب المؤقتة والنجاة منها، أما زاد السفر الأخروي فهو يصون من العذاب الأليم الأبدي.

(iii)- زاد سفر الآخرة زاد أبدي وينجي من جميع الأشياء الضارة.

(iv)- زاد سفر الآخرة يكون مع الإنسان دائماً ولا يتركه في حال من الأحوال.

(v)- سفر الآخرة يمكن أن يكون سبب الآلام والمصائب.

(vi)- فالتقوىٰ خير زاد للآخرة.

٣- التقوىٰ في الأحاديث النبوية:

(١)- عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا} (١).

(٢)- النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: {سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ} (٢).

١- الصحيح للإمام المسلم، ج:٣، رقم الحديث: ٢٤٠٨.

٢- المرجع السابق، ج:١، رقم الحديث: ٥١.

(٢)- عَنْ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْه، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: {"دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ"} [١].

(٣)- عَنْ عَطِيَّةَ السَّعْدِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْه، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا لِمَا بِهِ الْبَأْسُ} [٢].

(٤)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْه، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ} [٣].

(٥)- {لا يبلغ العبد حقيقة التقوىٰ، حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ، حَذَرًا مما بِهِ الْبَأْسُ} [٤].

(٦)- عن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْه، قال: {قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ} [٥].

(٧)- عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْه، {أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: ثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ، وَثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ، فَأَمَّا الْمُنْجِيَاتُ: فَتَقْوَى اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْقَوْلُ بِالْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالسَّخَطِ، وَالْقَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَأَمَّا الْمُهْلِكَاتُ: فَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ، وَهِيَ أَشَدُّهُنَّ} [٦].

(٨)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، قَالَ: التقوىٰ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ} [٧].

١- الجامع للإمام الترمذي، ج:٢، رقم الحديث: ٤١٨.

٢- المرجع السابق، ج:٢، رقم الحديث: ٣٤٩.

٣- السنن للإمام ابن ماجه، ج:٣، رقم الحديث: ٨٥٦.

٤- المشكاة المصابيح، ج:٤، رقم الحديث: ٩٩٥.

٥- المرجع السابق، ج:٤، رقم الحديث: ١٠١٢.

٦- المرجع السابق، ج:٤، رقم الحديث: ١٠٤٥.

٧- المرجع السابق، ج:٤، رقم الحديث: ٧٧٠.

(٩)- عن عائشة رضي الله عنها {كُنْتُ عَلَى بَعِيرٍ صَعْبٍ، فَجَعَلْتُ أَضْرِبُهُ، فقال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يا عَائِشَةُ عَلَيْكِ بِتَقْوَى الله عَزَّ وَجَلَّ وَالرِّفْقِ، فَإِنَّ الرِّفْقَ لَمْ يَكُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ، وَلَمْ يُنْزَعْ مِنْ شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا شَانَهُ} [1].

(١٠)- عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: {ذُكِرَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعِبَادَةٍ وَاجْتِهَادٍ وَذُكِرَ عِنْدَهُ آخَرُ بِرِعَةٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُعْدَلُ بِالرِّعَةِ} [2].

(١١)- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنه، أَنَّهَا قَالَتْ: {سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ: أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ مَنْ سَلَكَ مَسْلَكًا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، سَهَّلْتُ لَهُ طَرِيقَ الْجَنَّةِ، وَمَنْ سَلَبْتُ كَرِيمَتَيْهِ، أَثَبْتُهُ عَلَيْهِمَا الْجَنَّةَ، وَقَصْدٌ فِي عِلْمٍ خَيْرٌ مِنْ فَضْلٍ فِي عِبَادَةٍ، وَمَلَاكُ الدِّينِ الْوَرَعُ} [3].

(١٢)- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُرِيدُ سَفَرًا، فَزَوِّدْنِي، قَالَ: زَوَّدَكَ اللهُ التقوىٰ} [4].

(١٣)- عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {لَمَّا بَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ خَرَجَ مَعَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوصِيهِ وَمُعَاذٌ رَاكِبٌ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي تَحْتَ رَاحِلَتِهِ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: يَا مُعَاذُ إِنَّكَ عَسَى أَنْ لَا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا وَلَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَذَا، وَقَبْرِي. فَبَكَى مُعَاذٌ جَشَعًا لِفِرَاقِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ الْتَفَتَ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ: إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي الْمُتَّقُونَ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا} [5].

١- مشكاة المصابيح، ج:١، رقم الحديث: ٢٤٣.
٢- الجامع للإمام الترمذي، ج:٢، رقم الحديث: ٤١٩.
٣- مشكاة المصابيح، ج:١، رقم الحديث: ٢٤٣.
٤- المرجع السابق، ج:٢، رقم الحديث: ٩٦٨.
٥- المرجع السابق، ج:٤، رقم الحديث: ١١٥٢.

(١٤)- قَالَ أَبو كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ، قَالَ: "مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا". "وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ، قَالَ: إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ} (١).

(١٥)- عَنْ عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي إِبِلِهِ، فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ فَلَمَّا رَآهُ سَعْدٌ، قَالَ: "أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّاكِبِ فَنَزَلَ فَقَالَ لَهُ أَنَزَلْتَ فِي إِبِلِكَ وَغَنَمِكَ وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ، بَيْنَهُمْ فَضَرَبَ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ، فَقَالَ اسْكُتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ "إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ} (٢).

(١٦)- عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ، وَلَا وَرَعَ كَالْكَفِّ، وَلَا حَسَبَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ} (٣).

(١٧)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ

١- الجامع للإمام الترمذي، ج: ٢، رقم الحديث: ٢١١.

٢- الصحيح للإمام مسلم، ج:٣، رقم الحديث: ٢٩٣١.

٣- السنن للإمام ابن ماجه، ج: ٣، رقم الحديث: ١٠٩٨.

يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا إِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعَلِ الَّذِي يُدَهْدِهُ الْخِرَاءَ بِأَنْفِهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ}(١).

(١٨)- أَبَا أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: {سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَقَالَ: "اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ وَصُومُوا شَهْرَكُمْ وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ"}(٢).

(١٩)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: {قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ}(٣).

(٢٠)- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، {أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا مُحَمَّدُ يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا وَخَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَاكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ}(٤).

(٢١)- عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: {لَا يَكُونُ الْعَبْدُ تَقِيًّا حَتَّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ كَمَا يُحَاسِبُ شَرِيكَهُ مِنْ أَيْنَ مَطْعَمُهُ وَمَلْبَسُهُ}(٥).

١- الجامع للإمام الترمذي، ج: ٢، رقم الحديث: ١٩٢٩.

٢- المرجع السابق، ج: ١، رقم الحديث: ٥٩٨.

٣- المسند للإمام أحمد، ج:٤، رقم الحديث: ٥٨١.

٤- المرجع السابق، ج:٥، رقم الحديث: ١٥٣٤.

٥- الجامع للإمام الترمذي، ج:٢، رقم الحديث: ٣٥٧.

(٢٢)- عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {أَنَّهُ خَرَجَ يَوْمًا إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ قَاعِدًا عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْكِي، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: يُبْكِينِي شَيْءٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ، وَإِنَّ مَنْ عَادَى لِلَّهِ وَلِيًّا، فَقَدْ بَارَزَ اللهَ بِالْمُحَارَبَةِ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْأَبْرَارَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُدْعَوْا وَلَمْ يُعْرَفُوا قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ} [١].

(٢٣)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {يَقُولُ اللهُ تَعَالَى أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ذُخْرًا بَلْهَ مَا أُطْلِعْتُمْ عَلَيْهِ} [٢].

٤- **أقسام التقوىٰ:**

يقول يحى بن معاذ أن التقوىٰ قسمان:

(١)- التقوىٰ الظاهري بحيث تكون حركات جسم الإنسان لرضاء الله تعالى.

(٢)- التقوىٰ الباطني أن لا يدخل في قلب الإنسان ما سوى الله تعالى.

٥- **درجات التقوىٰ:**

هناك درجات عديدة للتقوىٰ:

(١)- الدرجة الأولى: أن يجتنب الإنسان عن الكفر والشرك، فالذي يتجنّب عن الكفر والشرك ينجي من العذاب الأبدي. قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ

١- السنن للإمام ابن ماجه، ج:٣، رقم الحديث: ٨٦٩.

٢- الصحيح للإمام البخاري، ج:٢، رقم الحديث: ١٩٦٨.

﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[١].

(٢)- **الدرجة الثانية:** أن يجتنب الإنسان من الذنوب الكبيرة والصغيرة، والآية التالية: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾[٢] فيها ذكر لهذه الدرجة.

(٣)- **الدرجة الثالثة:** أن يحتاط في كل شيء حتى يترك بعض الأشياء المباحة على سبيل الاحتياط والمصلحة، وأن لا يعلّق القلب بغير الله تعالى، وأن يحوّل الفكر والتوجه من غير الله تعالى سبحانه وتعالى. **ويلتزم بإتيان ما أمر ا** **ويجتنب** عما نهى الله تعالى. وبهذا يكون التقوىٰ حسب الأعمال في الكم و**الكيف، ويكتمل** التقوىٰ باكتمال الإيمان، حتى يصل إلى درجة الإحسان التي هي أعلى درجة للتقوىٰ. **وهذا هو المطلوب.** وجاء ذكر هذه الدرجة الثالثة بهذه الصورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[٣].

٦- **أنواع الأعمال:**

الأعمال البشرية باعتبار التقوىٰ **ثلاثة أقسام:**

(١)- أعمال تنفع في الدين **سواء كان فرضاً أو واجباً أو سنة أو مستحباً.**

(٢)- أعمال تضر في الدين يجب تركها سواء حرّمتها الشريعة أو جعلتها مكروهة.

(٣)- أعمال لا يوجد عنها أمر أو نهي، وهي مباحة، والأشياء المباحة لا تخلو من حالتين إما نافعة أو غير نافعة، إذا كانت نافعة يوجد فيها أجر، وإذا كانت غير نافعة فهي **من العبث، وترك العبث أنسب.**

١- سورة الفتح، الآية: ٢٦.

٢- سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

٣- سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

٧- **طبقات أهل التقوىٰ:**

هناك ثلاث طبقات لأهل التقوىٰ:

(١)- الطبقة الأولى: **هي التي تجتنب من المشتبهات**. والشبهات إما تتعلق بأحكام **واضحة للحلال والحرام أو مبهمة**. يقول الإمام ابن سيرين لا يوجد شيء أسهل من التقوىٰ، كلما أشك في شيء أتركه بلا تردد. **وهذا** تقوىٰ **عام**.

(٢)- **الطبقة الثانية: من أهل** التقوىٰ **هي التي** تجتنب من الأشياء التي لا يريد قلبها ولا يحب **القلب اختيارها، مثل ما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: "الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ"[١] **وهذا** تقوىٰ **خاص**.

(٣)- **الطبقة الثالثة:** هي طبقة العارفين، يقول أبو سليمان داراني عن كيفية تقواهم عندهم أن تكره كل ما يبعدك عن الله تعالى وهذا تقوىٰ أخص.

٨- ومن الملاحظ لكل شيء وعضو بشري تقوىٰ ، فتقوىٰ العين أن لا ُينظر بها شيء بنظرة فاسدة، وتقوىٰ **اللسان هو أن ُيتجنّب من الغيبة والكذب والسخرية**. **و**تقوىٰ اليد أن لا ُيظلم بها على أحد، ولا تلمس المحرمات بشهوة، وتقوىٰ **الرجل** أن لا يمشي بها إلى أماكن محرمة، وتقوىٰ الأذن أن لا يسمع بها الغيبة، وتقوىٰ الشكل أن لا يختار شكلاً غير شرعي، وتقوىٰ **الباطن أن لا يأكل الحرام.**

٨- **فوائد التقوىٰ:**

(١)- **حصول العزة عند الله**: يجد الإنسان عزةً عند الله تعالى.كلما يرتقي الإنسان على **سلّم** التقوىٰ ترتفع رتبته عند الله تعالى قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾[٢].

١- الصحيح للإمام المسلم، ج:٣، رقم الحديث: ٢٠١٥.

٢- سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٢)- **ولاية ا□**: من الفوائد العظيمة للتقوىٰ أن **الإنسان يكون** بـ□ **أولياء ا□** قال ا□ تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[١].

(٣)- ولاية الرسول صَلَّى ا□ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من الفوائد الجليلة للتقوىٰ أن ا□تق□ **يرتقون** إلى درجة ولاية الرسول العظيمة **عن معاذ بن جبل** رضي ا□ **عنه**: {**قَالَ رسول ا□** صَلَّى ا□ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِ□نَّ أَهْلَ بَيْتِي هَؤُلَاءِ يَرَوْنَ أَ□هُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِي (**وَلَيْسَ كَذَلِكَ**) إِ□نَّ أَوْلَى النَّاسِ بِيَ ا□**مُتَّقُونَ، مَنْ كَانُوا، وَحَيْثُ كَانُوا**}[٢].

(٤)- **حصول حب ا□**: ومن الثمار الغالية للتقوىٰ أن المتقي يكون محبوباً عند الله، وهذا واضح في آيات عديدة، يقول الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٣].

(٥)- نصرة الله: **من بركات** التقوىٰ هي نصرة الله مع المتقين، ومحافظة الله لهم، **ومساعد**ته لهم في تقويم شؤونهم يقول الله تعالى:

(i)- ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٤].

(ii)- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[٥].

(٦)- رحمة الله: **من صفات** التقوىٰ أن الله تعالى يخص للمتقين رحمته، قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[٦].

١- سورة الجاثية، الآية: ١٩.

٢- **كنز**العمال في سنن الأقوال والأفعال **للإمام** على متقى بن حسام الدين، ج: ٢، رقم ا□**ديث**: ٥٣٠.

٣- سورة التوبة، الآية: ٤.

٤- سورة البقرة، الآية: ١٩٤.

٥- سورة النحل، الآية: ١٢٨.

٦- سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٧)- المغفرة من الذنوب: إن الله تعالى يغفر للمتقين، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾[1].

(٨)- الأجر العظيم: إن الله تعالى يعطي أجراً عظيماً للمتقين، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[2].

(٩)- الحفاظ من شر العدو: **من بركات** التقوىٰ الثمينة أن الله سبحانه وتعالى يحفظ المتقين من شرور الأعداء، يقول الله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾[3].

(١٠)- اليسر في العسر: يسّهل الله تعالى عسر المتقين، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[4].

(١١)- اليسر في المعاملات: يسهل الله تعالى أمور المتقين، يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾[5].

(١٢)- إصلاح الأعمال: **من بركات** التقوىٰ العظيمة أن الله تعالى يصلح أعمال المتقين: **قال** الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[6].

١- سورة الطلاق، الآية: ٥.

٢- سورة آل عمران، الآية: ١٧٩.

٣- سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.

٤- سورة الطلاق، الآية: ٢.

٥- سورة الطلاق، الآية: ٤.

٦- سورة الأحزاب، الآية: ٧٠- ٧١.

(١٣)- **النجاة من نار جهنم: من البركات العظيمة للتقوى أن الله ينجي المتقين من نار جهنم:** ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[١].

(١٤)- الجنة دار المتقين: من ثمار التقوىٰ الثمينة أن الله يورث عباده المتقين الجنة، وبشّرهم بهذا في الآيات التالية:

(i)- ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾[٢].

(ii)- ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٣].

(iii)- ﴿لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾[٤].

(iv)- ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا﴾[٥].

(v)- ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾[٦].

(١٥)- حصول الرزق الغيبي: يرزق الله المتقين من حيث لا يحتسبون يقول الله تعالى:

١- سورة مريم، الآية: ٧١- ٧٢.

٢- سورة مريم، الآية: ٦٣.

٣- سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

٤- سورة آل عمران، الآية: ١٩٨.

٥- سورة الرعد، الآية: ٣٥.

٦- سورة ا□جر، الآية: ٤٥- ٤٦.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾[1].

(١٦)- حصول البركات: من فوائد التقوىٰ هو حصول البركات، يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[2].

(١٧)- كون المتقين تحت ظل العرش: لا يكون يوم القيامة ظلاً غير ظل عرش الله تعالى، ويكون المتقين من السعداء الذين يجدون مكاناً تحت ظل عرش الله، قال أبو سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَبْعَةٌ فِي ظِلِّ اللهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: حَكَمٌ عَدْلٌ، وَإِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسْجِدِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ، وَرَجُلَانِ اجْتَمَعَا عَلَى حُبِّ اللهِ وَتَفَرَّقَا عَلَى حُبِّهِ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَدْرِيَ شِمَالُهُ مَا تُخْفِي يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتَ حَسَبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ}[3].

٩- طرق حصول التقوىٰ:

يفهم من القرآن والسنة وأقوال الصحابة رضي الله تعالى عنهم أن هناك بعض الأحوال والمعاملات التي تساعد في حصول التقوىٰ وهي كالآتي:

(١)- الإيمان: الإيمان والتقوىٰ يتلازمان، فالذي يكون عنده إيمان فهو يختار التقوىٰ بدون شك، وقد ذكر الله تعالى علامات المتقين، والعلامة الأولى هي التقوىٰ، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾[4].

١- سورة الطلاق، الآية: ٢-٣.

٢- سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

٣- الجامع للإمام ترمذي، ج: ٢، رقم الحديث: ٢٨١.

٤- سورة البقرة، الآية: ٢-٣.

(٢)- إقامة الصلاة: الصلاة ركن أساسي بعد التوحيد، وهناك آيات عديدة تدل على أن الصلاة وسيلة لحصول التقوىٰ فمثلاً:

(i)- ﴿ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾[1].

(ii)- ﴿وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[2].

(٣)- الصوم: الصوم من العبادات الهامة، وقد جعل الله الصوم مقصد التقوىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[3].

(٤)- الإنفاق في سبيل الله: يصير الإنفاق في سبيل الله سبباً لحصول التقوىٰ وبيّن الله تعالى هذا بقوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[4].

(٥)- كون التقوىٰ فرضاً: هناك آيات عديدة يوجد فيها حكم التقوىٰ، وكذلك أهمية التقوىٰ واضحة في الأحاديث النبوية. وفهم أهمية التقوىٰ من القرآن الكريم والسنة النبوية وإدراكها يؤدي دوراً بارزاً في جعل الإنسان متقياً؛ لأن المؤمن لا مفر له بغير العمل بالقرآن والسنة، فله دخل كبير في جعل الإنسان مؤمناً.

(٦)- النظر في البركات الحاصلة من التقوىٰ: يحب الإنسان الأشياء المفيدة ويرغب في حصولها، كما يكره الأشياء الضارة، ويحاول أن يتجنّب عنها. وكم من البركات

١- سورة الأنعام، الآية: ٧٢.

٢- سورة الروم، الآية: ٣١.

٣- سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

٤- سورة التغابن، الآية: ١٦.

والفوائد الدنيوية والأخروية للتقوىٰ مثل حصول الشرف والتكرم عند الله، وحصول ولاية الله، وحبّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلّته، وكون المتقي محبباً عند الله، وكونه من الفائزين برحمة الله والمغفرة من الذنوب وغيرها. حينما تكون هذه الفوائد والثمرات أمام عين الإنسان يحاول كل عاقل أن يسلك طريق التقوىٰ.

(٧)- معرفة الله تعالى: معرفة الله أيضاً تكون سبباً لزيادة التقوىٰ. إذ به يعرف الإنسان كرمه وسخاءه وفضله وإحسانه وقدرته وجبروته وغضبه وعذابه الأليم. وكل هذه الأشياء تجبر الإنسان وتُغريه أن يطيع أحكام الله تعالى.

(٨)- اختيار طريق الخير: حينما يختار الإنسان طريق الخير يسهل له اختيار طريق التقوىٰ؛ لأن السنة الإلهية هي كل من يأتي في هذا الطريق فأن الله يعطيه مزيداً من الهداية ويُسهّل له العمل على الخير.

(٩)- عبادة الله تعالى: ترتفع درجات العبد بعبادة الله تعالى. وقد وُضح في القرآن الكريم عن الصلوة أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وجُعلت فريضة الصوم أيضاً سبباً لحصول التقوىٰ، والذي يعبد الله سبحانه وتعالى يكون متقياً حقيقياً، قال الله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[١].

(١٠)- العدل والإنصاف: بقدر جهد الإنسان للعدل وبقدر جدّه للعمل بالعدل والإنصاف يقترب قلبه إلى التقوىٰ. ومعنى هذا أن القيام بالعدل والإنصاف هو سبب لحصول التقوىٰ، يقول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[٢].

١- سورة البقرة، الآية: ٢١.

٢- سورة المائدة، الآية: ٨.

(١١)- **العفو والحلم**: من الأشياء التي تقرّب الإنسان إلى التقوىٰ العفو والحلم؛ لأن العفو إحسان وهو يكون سبب شرح الصدر.

(١٢)- **ترك المشتبهات**: من الأمور التي توصل الإنسان إلى التقوىٰ **هو ترك الأشياء المشتبهة**. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنْ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا لِمَا بِهِ الْبَأْسُ}(١).

(١٣)- **أكل الحلال**: يجب على الإنسان أكل الحلال لحصول التقوىٰ، قال الله تعالى: ﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴾(٢).

(١٤)- النظر إلى سير **أهل** التقوىٰ : تأتي **الرغبة الصادقة** والشوق إلى السير على طريق **أهل** التقوىٰ بالنظر إلى سيَرهم **وسلوكهم**.

(١٥)- **صحبة المتقين**: الصحبة الصالحة تأتي بآثار إيجابية وترغّب الإنسان لحياة ذات تقوى.

(١٦)- **الدعاء: لا بد من الدعاء بكثرة لحصول** التقوىٰ؛ لأن المؤمن يحصل بالدعاء ما لا يحصل بغيره.

(١٧)- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأشياء الباعثة لحصول** التقوىٰ؛ لأن من بركات الدعوة أن الله تعالى يوفق الداعي للأعمال الصالحة.

١٠- **أقوال الصوفياء عن التقوىٰ:**

هناك أقوال جميلة للعلماء والمشائخ عن التقوىٰ **والورع منها:**

(١)- **يقول إبراهيم بن أدهم** رحمة الله عليه: **الورع ترك كل شبهة، وترك ما لا يعنيك هو ترك الفَضَلات**(٣).

١- الجامع للإمام ترمذي، ج: ٢، رقم الحديث: ٣٤٩.

٢- سورة المائدة، الآية: ٨٨.

٣- الرسالة القشيرية، للإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ١٦٨.

(٢)- يقول **الإمام** القشيري رحمة الله عليه: التقوىٰ **هو ترك الـمشتبهات والعبث**[١].

(٣)- يقول أبو بكر الشبلي رحمة الله عليه: الورع أن تتورّع عن كلّ ما سوى الله تعالى[٢].

(٤)- قال إسحاق بن خلف رحمة الله عليه: الورع، المنطق: أشد منه في الذهب والفضة، والزهد في الرياسة كأشد منه في الذهب والفضة، لأنك تبدلهما في طلب الرئاسة[٣].

(٥)- وقال أبو سليمان الداراني رحمة الله عليه: الورع، أول الزهد، كما أن القناعة: **طرف من الرضاء**[٤].

(٦)- وقال أبو عثمان رحمة الله عليه: **ثواب الورع خفّة الـحساب**[٥].

(٧)- وقال يحى بن معاذ رحمة الله عليه: **الورع: الوقوف** على حدّ العلم من غير تأويل[٦].

(٨)- وقال يحى بن معاذ رحمة الله عليه: من لم ينظر في الدقيق من الورع لم يصل إلى الجليل من العطاء[٧].

(٩)- وقال ابن الجلاء رحمة الله عليه: من لم يصحبه التقي في فقره أكل الحرام النص[٨].

(١٠)- **وقال يونس بن عبيد** رحمة الله عليه: **الورع**: الخروج عن كل شبهة، ومحاسبة النفس في كل طرفة[٩].

١- المرجع السابق، ص: ١٦٨.

٢- المرجع السابق، ص: ١٦٨.

٣- المرجع السابق، ص: ١٦٨.

٤- المرجع السابق، ص: ١٦٨.

٥- المرجع السابق، ص: ١٦٨.

٦- المرجع السابق، ص: ١٦٨.

٧- المرجع السابق، ص: ١٦٨.

٨- المرجع السابق، ص: ١٦٨.

٩- المرجع السابق، ص: ١٦٨.

(١١)- وقال سفيان الثوري رحمة الله عليه: ما رأيت أسهل من الورع: ما حاك في نفسك تركته[١].

(١٢)- يقول أبو سعيد خرار رحمة الله عليه عن التقوىٰ: التقوىٰ هو أن لا ُيظلم أحد ولا يقول أحد عنك أنك ظالم[٢].

(١٣)- وقال سهل رحمة الله عليه: الحلال الصافي الذي لا ينسى الله تعالى فيه[٣].

(١٤)- يقول أبو عبد ا□ روذباري رحمة الله عليه: التقوىٰ هو البعد عن كل شيء ُيبعد الإنسان من ا□[٤].

(١٥)- يقول ذو النون المصري رحمة الله عليه: المتقي هو الذي لا يكدّر المعاملات الظاهرة بأمور تخالف الشريعة، والذي لا يلّوث باطنه بالذنوب، بل يوافق رضاء الله تعالى[٥].

(١٦)- يقول الشيخ أبو نجيب ضياء الدين السهروردي رحمة الله عليه: التقوىٰ هو ترك الأمور ا□شتبهة[٦].

(١٧)- يقول عبد ا□ الأنصاري رحمة الله عليه مفهوم الورع والتقوىٰ هو:

(i)- الاجتناب عن النواهي بثلاثة أمور.

(أ)- التجنب عن العيوب.

(ب)- حفظ الدين من النقص.

١- المرجع السابق، ص: ١٦٨.

٢- اللمع في التصوف للشخ أبي نصر السراج، ص: ٨١.

٣- الرسالة القشيرية، للإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ١٦٨.

٤- المرجع السابق، ص: ١٦٨.

٥- المرجع السابق، ص: ١٦٥.

٦- آداب المريد للشيخ ضياء الدين السهروردي، ص: ٣٦.

(ت)- البعد عن الحرص والهوىٰ واختيار الطريق المحبّب.

(ii)- التقوىٰ من التكاثر في الدنيا يكون بتصور ثلاثة أمور آتية:

(أ)- **خزي يوم الدين.**

(ب)- شماتة الأعداء.

(ت)- **خيانة الورثة.**

(iii)- التقوىٰ **من اضطراب القلب وانتشاره بأمور ثلاثة:**

(أ)- التدبر في القرآن الكريم.

(ب)- زيارة القبور.

(ت)- التفكر في حكمة الله تعالى[1].

(١٨)- يقول الشيخ شرف الدين يحى المنيري رحمة الله عليه: **إن أصل** التقوىٰ هو البراءة عن الكفر والدخول إلى الإيمان، **وفرع** التقوىٰ أن يُوتى بجميع الأوامر ويجتنب عن جميع النواهي[2].

١١- **بعض الأحداث للتقوىٰ:**

يُنقل بعض الأحداث والوقائع لتليين القلب وترقيقه:

(١)- **تقول السيدة عائشة** رضي الله تعالى عنها كان لأبي بكر رضي الله عنه **خادماً، وكان** يعطي بعض ما يكتسب لأبي بكر، وكان أبو بكر يستخدم الأشياء التي تأتي منه {عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ **يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ أَتَدْرِي مَا هَذَا** فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَمَا هُوَ قَالَ كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لِإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَمَا أُحْسِنُ الْكِهَانَةَ إِلَّا

١- صد ميدان للشيخ عبد الله الأنصاري، ص:٤٥-٤٦.

٢- معدن المعاني للشيخ شرف الدين يحى المنيري، ص: ٣١٣.

أني خدعته فلقيني فأعطاني بذلك فهذا الذي أكلت منه فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه}[١].

(٢)- جاءت أخت بشر الحافي رحمة الله عليه إلى أحمد بن حنبل رحمة الله عليه **وقالت**: **إنا** نغزل على سطوحنا، فتمر بنا مشاعل الظاهرية، ويقع الشعاع علينا، أفيجوز لنا الغزل في شعاعها؟

فقال أحمد: من أنت؟ عافاك الله تعالى.

فقالت: أخت بشر الحافي.

فبكى أحمد وقال: من بيتكم يخرج الورع الصادق، لا تغزلي في شعاعها[٢].

(٣)- وقال علي العطار رحمة الله عليه: مررت بالبصرة في بعض الشوارع، فإذا مشائخ **قعود وصبيان يلعبون، فقلت**: أما تستحون من هؤلاء المشائخ؟ فقال صبي من **بينهم**: هؤلاء المشائخ قّل **ورعهم فقّلت هيبتهم**[٣].

(٤)- **وقيل لإبراهيم بن أدهم** رحمة الله عليه: ألا تشرب من ماء زمزم؟ فقال لو كان دلو لشربت منه[٤].

(٥)- يقول أبو دقاق رحمة الله عليه: كان الحارث المحاسبي إذا مدّ يده إلى طعام فيه شبهة ضرب على رأس إصبعه عرق فيعلم إنه غير حلال[٥].

(٦)- **دخل** الحسن البصري رحمة الله عليه مكة، فرأى غلاماً من أولاد علي بن طالب

١- **الصحيح للإمام البخاري، ج:٢، رقم الحديث:١٠٧٥.**

٢- الرسالة القشيرية، للإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيري، ص: **١٦٩.**

٣- المرجع السابق، ص: **٢٢٧.**

٤- المرجع السابق، ص: **٢٢٨.**

٥- المرجع السابق، ص: **٢٢٨.**

رضي الله تعالى عنه قد أسند ظهره إلى الكعبة يعظ الناس، فوثب عليه الحسن وقال له: ما ملاك الدين؟ فقال: الورع، فقال له: فما آفة الدين؟ فقال الطمع. فتعجب ا□سن منه[١].

(٧)- وقيل: حمل عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه مسك من الغنائم، فنبض على مشامه وقال إنما ينتفع من هذا بريحه، وأنا أكره أن أجد ريحه دون المسلمين[٢].

(٨)- وقال كهمس رحمة الله عليه: أذنبتُ ذنباً أبكي عليه منذ أربعين سنة؛ وذلك: أنه زارني أخ لي؛ فاشتريت لأجله سمكة مشوية، فلما أخذت قطعة ط□ من جدار جار لي حتى غسل بها يده ولم أستحله[٣].

(٩)- رهن أحمد بن حنبل رحمة الله عليه سطلاً له عند بقال بمكة، حرسها الله تعالى، فلما أراد فكاكه أخرج البقال إليه سطل□، وقال: خذ أيهما هو لك. فقال أحمد أشكل عليّ سطلي، فهو لك، والدراهم لك. فقال البقال: سطلك هذا، وأنا أردت أن أجريك. فقال: لا آخذه. ومضى، وترك السطل عنده[٤].

(١٠)- وقيل: سيب ابن ا□بارك رحمة الله عليه دابة قيمتها كثيرة، وصلى صلاة الظهر، فرتعت الدابة في زرع قرية سلطانية، فترك ابن المبارك الدابة ولم يركبها[٥].

(١١)- وقيل: رجع ابن ا□بارك رحمة الله عليه دابة من مرو (تركستان) إلى الشام في قلم استعاره فلم يرده على صاحبه[٦].

١- المرجع السابق، ص: ٢٢٩.

٢- المرجع السابق، ص: ٢٢٩.

٣- المرجع السابق، ص: ٢٣٠.

٤- المرجع السابق، ص: ٢٣٠.

٥- المرجع السابق، ص: ٢٣٠.

٦- المرجع السابق، ص: ٢٣١.

(١٢)- وقيل: **خاطت رابعة العدوية** رحمة الله عليه شقاً في قميصها في ضوء مشعلة **سلطان، ففقدت قلبها** زماناً، حتى تذكرت، فشقت قميصها، فوجدت قلبها[١].

(١٣)- **لقي سفيان الثوري** رحمة الله عليه في المنام، وله جناحان يطير بهما في الجنة من شجرة إلى شجرة.**فسُئل**: بم نلت هذا؟ فقال: **بالورع**[٢].

(١٤)- **كان للإمام أبو حنيفة** رحمة الله عليه قرضاً على شخص. **مات أحد من الناس من** منطقة المقروض، حينما وصل الإمام إلى هذا المكان كان الجو حاراً جداً. **ولكن كان** هناك ظلاًّ عند جدار الغريم قال الناس للإمام تعال إلى الظل، فقال الإمام إن صاحب البيت هو مقروض لي، فلا يجوز لي أن استفيد من ظل بيته؛ لأن في **ا□ديث كل نفع انجّر بالقرض فهو رباً**[٣].

(١٥)- **كان الإمام أبو حنيفة** رحمة الله عليه يمر من السوق **و**تلطّخ الثوب بقدر ظفر من **الط□**، فغسل الإمام الثوب جيدا بماء البحر ونظّفه، سأله الناس أن النجاسة بهذا القدر جائز عندك، فلماذا تحمّلت بهذا القدر من المشقة؟ فقال إن هذا القدر من النجاسة تجوز، ولكن التقوىٰ **يتطلب أن تغسل هذا القدر أيضاً**[٤].

(١٦)- **ذهب السيد أبو العباس السياري** رحمة الله عليه لشراء الجوز، فقال التاجر لعامله عليك أن تعطي الشيخ جوزاً جيداً، فسأله هل تحسن معاملتك مع جميع المشترين؟ **فأجابه التاجر بقوله**: لا يا شيخ، أفعل هذا لشرف علمك، فقال له أنا لا أبيع فضل

١- المرجع السابق، ص: **٢٣١**.

٢- المرجع السابق، ص: **٢٣١**.

٣- **التصوف والتصورات للصوفي□** لأستاذ الدكتور ظهير أحمد صديقي، ص: **٣٥٢**.

٤- المرجع السابق، ص: **٣٥٢**.

العلم بمقابل جوز قليل فرجع بدون أن يشتري الجوز[١].

(١٧)- **وقيل: إن أبا يزيد** رحمة الله **عليه** غسل ثوبه في الصحراء مع صاحب له. **فقال له صاحبه:** تعلق الثوب في جدار الكرم. فقال لا، لا تغرز الوتد في جدار الناس، **فقال:** نعلقه في الشجر، فقال لا، إنه يكسر الأغصان، فقال نبسطه على الأذخر، **فقال:** لا، إنه علق الدواب، لا نستره عنها، قولي: ظهره إلى الشمس والقميص على ظهره، حتى جف جانب، ثم قلبه حتى جف الجانب الآخر[٢].

(١٨)- **وقال إبراهيم بن أدهم** رحمة الله عليه: بت ليلة تحت الصخرة ببيت المقدس؛ فلما كان بعض الليل نزل ملكان، فقال أحدهما لصاحبه: من ههنا؟ فقال الآخر: إبراهيم بن أدهم. **فقال: ذاك الذي حط بالله سبحانه درجة من درجاته.** فقال لم؟ **قال:** لأنه اشترى بالبصرة تمراً، فوقعت تمرة على تمرة من تمر البقال، فلم يردها على **صاحبها. قال إبراهيم:** فمضيت إلى البصرة، واشتريت التمر من ذلك الرجل، وأوقعت تمرة على تمرة، ورجعت إلى بيت المقدس، وبت في الصخرة، فلما كان بعض الليل، إذ أنا بملكين نزلا من السماء، فقال أحدهما لصاحبه: من ههنا؟ فقال **الآخر: إبراهيم بن أدهم، فقال: ذلك الذي رد الله مكانه، ورفعت درجته**[٣].

(١٩)- **عن عبد الله بن عمر** رضي الله عنه: {**سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ، أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ، فَادْعُوا اللهَ بِهَا لَعَلَّهُ يُفَرِّجُهَا عَنْكُمْ، قَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ**

١- المرجع السابق، ص: ٣٥٣.

٢- الرسالة القشيرية، للإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ٢٢١.

٣- المرجع السابق، ص: ٢٢٣.

كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ كُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَإِنِّي اسْتَأْخَرْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ، فَوَجَدْتُهُمَا نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللَّهُ، فَرَأَوْا السَّمَاءَ. وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّهَا كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، فَطَلَبْتُ مِنْهَا فَأَبَتْ عَلَيَّ حَتَّى أَتَيْتُهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَبَغَيْتُ حَتَّى جَمَعْتُهَا، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً، فَفَرَجَ. وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ، قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ، فَرَغِبَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيَهَا، فَجَاءَنِي، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ، فَقُلْتُ: اذْهَبْ إِلَى ذَلِكَ الْبَقَرِ وَرُعَاتِهَا فَخُذْ، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ فَخُذْ، فَأَخَذَهُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ مَا بَقِيَ، فَفَرَجَ اللَّهُ"}(١).

(٢٠)- قال عبد الله بن دينار رحمة الله عليه كنت أذهب مع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى مكة، فرأينا راعياً ينزل من زلق الجبل فقال عمر للراعي أيها الراعي بعني شاة من هذه الأغنام فأجابه الراعي أن الأغنام ليس لي، بل أنا خادم فليس لي اختيار البيع.

فقال عمر للراعي لا بأس بعني ثم قل لصاحبها إن الشاة قد أكلها الذئب. فأجابه الراعي أيها السيد فأين الله؟ فبكى عمر بعد ما سمع كلام الراعي، فاشترى عمر

١- الصحيح للإمام البخاري، ج:١، رقم الحديث: ٢٢٣٥.

هذا العبد واعتقه لتقواه. وقال للعبد إن تقواك قد اعتقك من العبودية الدنيوية فأرجو أن ينجيك هذا التقوىٰ من عذاب جهنم.

(٢١)- يروى عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه كان يتجول ليلاً في المدينة المنورة ليعرف أحوال الناس. وكانت تأتي أصوت من بيت فأخذ عمر يستمع بكل اهتمام، وسمع الأم وهي تقول لبنتها إن النوق قد أقّلت اللبن فلذا اخلط بعض الماء في اللبن ليجد المشترون/ الزبائن اللبن سوياًّ، أجابت البنت يا أمي إن أمير المؤمنين أمر أن لا يخلط الماء في اللبن. فقالت الأم أين أمير المؤمنين الذي يراك في هذا الليل المظلم؟ فأجابت البنت إذا كان عمر لا يرى فالرب يشاهدنا، فلذا لن أقوم بهذه الجريمة.

حينما سمع عمر كلام البنت بكى، جمع المعلومات عن البنت في اليوم التالي، فعلم أن البنت غير متزوجة، فجمع أبناءه وقال يابني أنني سمعت هذا الكلام لبنت تقية، وا لو كنت شابا لأتيت بها كزوجة، ولكنني صرت عجوزاً ووهن العظم مني فليس لي طاقة أن أتزوج بباكرة ولا أريد أن أضيّعها، فأنا أريد أن تأتي إلى بيتي ككنّة (زوجة لابني).

قال عاصم بن عمر بعد ما سمع كلام عمر، يا أبتي أنا سأتزوج بها، فقام عمر بنكاحها بابنه، فولدت البنت منها، فتزوج بها عبد العزيز، فولد منها عمر بن عبد العزيز، وهو الخليفة الخامس عند جميع الأمة، وقدّم نموذجاً مثالياً للخلافة على نهج سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه خلال خلافته دة سنت ونصف تقريباً[١].

(٢٢)- ُيعد الإمام محمد بن سرين رحمة الله عليه من الصلحاء وسيد التابع. وكان يشتغل بتجارة زيت الزيتون. اشترى مرة زيتاً لثمانين ألف درهم حينما فتح قّلة من الزيت فرأى فيها فأرة ميتة. فاشتبه به أن الفارة يمكن أنها ماتت في خزينة الزيت

١- عيون الحكايات للإمام عبد الرحمن بن الجوزي، رقم الحكاية: ١٠، ص: ٢٦.

بعد سقوطها فأملي الزيت من هذه الخزينة، فلم يبع الزيت بسبب هذه الشبه، فأمر عباده أن يُهرق الزيت جميعاً.

أريق الزيت جميعاً ولكنه لم يستطع أداء الدين في الوقت المعين للذي اشترى منه الزيت. فاشتكى إلى الحاكم فسُجن حتى أداء الدين. قال له ا□ارس أنا أعرف أنك بريء فقد أذنت لك أن تذهب كل ليل إلى البيت وترجع صباحاً إلى السجن، فقال له أنا لا أستطيع أن أكون معك في خيانتك. فماذا أجيب غداً يوم القيامة أمام ا□ تعالى، فتحمل مشقات السجن، وقبل أن يقوم أمام القاضي مثل المجرمين ولكنه لم يرض أن ينتفع من مال فيه شبهة.

(٢٣)- قدّم شخص لسيدنا عمر رضي الله عنه لبناً فشربه فأحبه، سأل عمر الشخص الذي قدم له اللبن من أين أخذت اللبن؟ فقال له كنت في سفر، فنزلت في مكان الماء، فجاء نوق من نوق السلطان لشرب الماء فأخرج رعاتها اللبن فحفظته في القلة وهذا اللبن منه، فأدخل عمر إصبعه في فمه وقام بقيء. ومن الملاحظ أن لبن نوق السلطان كان جائزاً للمسافر وهديته لعمر رضي الله تعالى عنه كان صحيحاً، ولم يكن فيه قبحاً شرعياً أو خلقياً، ولكن هذا غاية الاحتياط[1].

(٢٤)- ذهب عبد الله وعبيد الله ابنا عمر مع الجيش إلى العراق، فذهبا من هنا إلى أبي موسى الأشعري والي البصرة ففرح برؤيتهما فرحاً جداً وخدمهما خدمة جميلةً، ثم قال لو كان في يدي شيئاً ينفعكما لفعلته، ثم قال بعد هذا نعم عندي بعض الدنانير من بيت المال للإرسال إلى أمير المؤمنين ويمكن لكما الانتفاع به.

أعطى أبو موسى الأشعري رضى ا□ عنه الدنانير وكتب لعمر الفاروق أن يستلمها منهما. فاشترى عبد الله وعبيد الله من هذا المال بعض الأشياء وباعاها بعد

١- كشف المحجوب للسيد على الهجويري، ص: ١١٩.

وصولهما، فربحا فيه، حينما قدّما دنانير بيت المال إلى عمر الفاروق فسألهما هل أعطي جميع أفراد الجيش مثل هذه الفلوس فأجابا بالنفي. فقال لهما عمر أنتما أبناء أمير المؤمنين، فلذا أُحسن إليكما. فأتيا المال والنفع معاً، واجمعا في بيت المال. سكت عبد الله ولكن عبيد الله أصرّ على رأيه، فرأى الصحابة الموجودون عند عمر رضي الله عنه أن هذه القضية قضية الشراكة. فقبل عمر صورة الشراكة وأخذ نصف الربح من الولَدين وجمع في بيت المال وأخذ عبد الله وعبيد الله نصفه. تظهر من هذه القصة الاحتياط الشديد للخليفة آنذاك[1].

***

١- المرجع السابق، ص: ١٢١ - ١٢٠.

٣

مقام الزهد



١ - **مفهوم الزهد:**

(١)- الزهد لغة هو عدم الرغبة وترك الإنسان الأهواء الدنيوية، وفراغه لعبادة ربه يطلق عليه بالزهد. والمعنى اللغوي للزهد هو ترك شيء واختيار شيء، وكل شيءٍ يُرغب عنه فقيمته تنخفض عنده.

(٢)- الزهد هي حالة فكرية وقلبية. وهذه الكيفية هي عبارة عن زوال قيمة شيء له ثمن، فمثلاً إذا كان أمامنا كم هائل من التراب، والرغبة عنه ليس زهداً، بل الزهد هو لو كان أمامنا كم هائل من الذهب فانخفض قيمته أمام أعيننا، فهذا زهد.

(٣)- الزهد هو مفتاح الآخرة وسبب للنجاة من نار جهنم. والزهد هو ترك جميع الأشياء التي تُغفل عن ذكر الله بدون أن:

(i)- يشعر بالحسرة على ترك هذا الشيء.

(ii)- ينتظر رجوع هذا الشيء.

(iii)- يتملق لفعله وعمله.

(iv)- يطلب أجر عمله.

الذي يكون صادقاً في زهده تسرع إليه الدنيا بحذافيرها، ولذا يقال حينما تسقط قلنسوة من السماء فهي تقع على رأس شخص لا يتمناها لنفسه.

(٤)- الزاهد هو الذي يُفضّل الآخرة على الدنيا، والذلة على العزة، والمشقة على الراحة، والجوع عن الشبع، وسلامة الآخرة عن سلامة الدنيا، والالتفات واليقظة على الغفلة، وهو الذي تكون نفسه في الدنيا وقلبه في الآخرة.

(٥)- الزهد الأحسن هو إخفاؤه، والزاهد الحقيقي هو الذي يُخفي زهده ولا يتظاهر به في كل مكان. والذين لا يخفون الزهد وابُتلوا بمرض التشهير، ويعلنون زهدهم، ويستخدمون الآخرين ليقال لهم أنهم زهاد، وينفقون أموالًا باهضة لهذا الغرض،

فمثل هؤلاء ليسوا زهاداً بل هم مراؤون، وصاروا مرضى بحب الشهرة والجاه، وهم مبتلون بمرض الكبر والرياء أيضاً. هؤلاء ليسوا زهاد، بل **هم متزاهدون،** زّينوا أنفسهم بلباس الزهد.

(٦)- الزهد الحقيقي هو عبارة عن النعمة الحاصلة بسبب جهود على حقائق إيمانية. **وهذه كيفية قلبية، وليس له علاقة بغنى الرجل أو بفقره أصلاً. ويمكن للرجل أن يكون** زاهداً وطالباً للآخرة مع كونه غنياً جداً كما يمكن له أن يكون محب الدنيا وغافلاً عن الآخرة مع كونه فقيراً جداً؛ لأن الزهد ليس له علاقة باليد أو بالجيب وإنما علاقته بقلب الإنسان ومقصد حياته.

(٧)- الذين عندهم أطماع قليلة في الحياة هم أكثر زهداً من الدنيا ولا **يقلقون** للمستقبل؛ **لأن المستقبل عندهم فانٍ**. والذين يرغبون في الدنيا عندهم أطماع طويلة؛ وتكون رغبتهم كثيرة جداً، ويزداد في الحرص لأطماعهم الطويلة في الحياة. **يقول العلامة** محمد إقبال عن شأنهم أن أطماعهم قليلة ومقاصدهم جليلة.

٢- الزهد في ضوء القرآن الكريم:

إن الله سبحانه وتعالى جعل النعم الدنيوية متاعاً قليلاً وابتلاءً وزينة الدنيا فقط. ولذا على الإنسان أن يضع أمام أعينه الآيات التي ترغب في الزهد أو إلى الآيات التي تجعل أسباب الدنيا متاعاً مؤقتاً، ومنها ما يلي:

(١)- ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[١].

وّضحت الآية أن الوسائل التجارية ووفرة الأموال وسعة المعاملات وانتشارها

١- سورة آل عمران، الآية: ١٩٦- ١٩٧.

متاع قليل ومؤقت. فعلى المؤمنين أن لا ينخدعوا بها، بل عليهم أن ينظروا إلى **الآخرة.**

الدنيا وما فيها هي مؤقتة وزائلة وسريعة الفناء. والإنسان الجاهل يغتر بزينة الدنيا ويفتقد الهدف الأصلي للحياة. متاع الدنيا وزينتها وجمالها يخلب الأعين ويخدع العقل، والإنسان ينسى الحياة السرمدية والنعم الأبدية وراء هذه الزينة والجمال المؤقت، ويجعل المستقبل الدائمي مظلما ويشتري جهنم. ولا يقضي المؤمن حياته بهذه الطريقة.

وقد حذّرت الآية المؤمنين عن المستقبل المظلم وشدة عذاب جهنم، ووضّحت أن **متاع الدنيا قليل.** ولذا على المؤمنين أن لا يغفلهم كر الكفار وفرهم، ورونق الحياة الدنيوية، ولا يظن المؤمنون أن الله راض عن الكفار، ولذا منحوا بالرقي والنمو في **ا□ياة الدنيا.**

(٢)- ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٠ أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ﴾[1].

بّينت الآيات مكانة المؤمنين الصادقين وعظمتهم. الدنيا دار امتحان، وأن الله تعالى يبتلي بعضهم بكثرة الرزق وبعضهم بقلّة الرزق. وأن النعم الدنيوية كلها مؤقتة، ولا تُعطى بالجهد بل لمجرد الابتلاء، ولذا جُهّزت النعم الأخروية للمؤمنين وأعظمها نعمة الجنة. وهذه النعم ما لا رأت الأعين، ووعد الله تعالى المؤمنين بمُلك لا يُبلى.

١- سورة القصص، الآية: ٦٠ - ٦١.

فالإنسان الذي يشتغل بالنعم الزائلة وينسى ربه، والذي يُفضّل الزهد على النعم الدنيوية رغم الغنى، **لا يستويان باعتبار أجر الآخرة.**

(٣)- ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[١].

نصحت الآية للتذكر بالموت والاستعداد للآخرة. والجمال الدنيوي وجلاله ينتهي عاجلاً أو آجلاً، والحياة الدنيوية خداع محض.فعلى الإنسان أن لا ينخدع بلمعانه وبريقه وفوائده ولذاته المؤقتة، وأن يذكر منزله الأصلي وفلاحه الحقيقي. **تتضح النقاط** الآتية بالتأمل في هذه الآية:

(i)- **كل نفس ذائقة الموت.**

(ii)- **الدنيا دار خداع.**

(iii)- يُجزى كل شخص أعماله.

(iv)- فمن زُحزح عن النار وأُدخل الجنة فقد فاز.

(v)- **إن الله لا يضيع أجر** المؤمنين.

(vi)- **إن الله لا يضيع أجر المحسنين.**

(٤)- ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾[٢].

وضّحت الآية الحقيقة أن المال والأولاد زينة **الحياة الدنيا، إذا كان القصد الدنيا** فقط، وإذا جُعلت هذه النِّعم وسيلة للآخرة فهي لا تكون دنياً بل هي دين، **وتكتسب** الحسنات الأخروية التي لا يمكن حصولها إلا بها. **ولذا فإن الأموال**

١- سورة آل عمران، الآية: ١٥٨.

٢- سورة الكهف، الآية: ٤٦.

والأولاد مثل سيف ذي حدين، إذا تم اكتسابها بأسباب مباحة وتم إنفاقها أيضاً على الحلال فهي نعمة وخير، وإلا فهي عذاب.

ولذا علينا أن لا ننسى الهدف والآخرة بالانهماك في الأموال والأولاد والمتاع الدنيوي؛ لأن كل هذه الأشياء متاع قليل والأصل هو الآخرة والسعي لها، ونجعلها مقصداً أصلياً، والأعمال الصالحة هي الباقية.

(٥)- ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾[1].

وضّحت الآية أن الأموال الدنيوية والأولاد تُعطى الإنسان ليبلو فمنهم ينسى عاقبته وآخرته حبّاً لها، ومنهم يستقيم في الصراط المستقيم رغم الإغراءات. وتغليب حب الأموال والأولاد على الله وعلى دينه هو دليل الفشل. وإذا جعلنا هذه الأشياء تابعة لحب الله وجعلناها وسيلة لرضاء الله نجحنا في الابتلاء.

قد جعل الله تعالى بُشرى لهؤلاء المطيعين أن لهم أجراً عظيماً بحيث لا تُغطي الكلمات ولا تحيط بها. علينا أن لا نحرم أنفسنا من هذا الأجر العظيم بالاشتغال بالأهل والمال ونجعل أجر الآخرة نصب أعيننا.

الدنيا وما فيها فانية وأجر الآخرة هو الأجر الحقيقي والثواب والفلاح الأصلي. والذي يقدّم الإطاعة على حب المال والأولاد فله أجر عظيم.

(٦)- ﴿ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴾[2].

الآيتان السابقتان توضحان أن الأموال التي تعطى الإنسان في الدنيا ليست نعمة ربانية وإنما هي ابتلاء، وكثرة المال في الدنيا لا تدل على رضاء الله تعالى، بل الحقيقة عند الله تعالى.

١- سورة التغابن، الآية: ١٥.

٢- سورة المؤمنون، الآية: ٥٥ - ٥٦.

يمكن استنتاج النقاط التالية من الآيت□ ا□ذكورت□:

(i)- كثرة الأموال والأولاد ليست علامة رضاء الله تعالى.

(ii)- الأموال والنعم ابتلاء وليست إنعاما.

(iii)- إن الناس الصالحين يزيدون في درجاتهم بأموالهم وأولادهم.

(iv)- إن الأموال والأولاد تكون سبباً للإثم للكفّار.

(v)- إن أموال بعض الناس تسببّ الشر مكان الخير.

(vi)- إن العصاة محرومون من الشعور الحقيقي.

(٧)- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾(١).

ينصح الله تعالى في هذه الآية أن متاع الدنيا قليل. إن ا□تاع الدنيوي وا□ال الذي يُسعى إليه بوسائل مباحة وغير مباحة لا تعدل عند الله تعالى جناح بعوضة.

إذا كانت هذه حقيقة الدنيا بحذافيرها عند الله تعالى فما أهمية حياتنا الدنيوية. والذين ينسون الآخرة ويعيشون في الحياة الدنيوية ويموتون لها هم تعساء ومحرومون وجهلاء؛ لأن الدنيا ومتاعها المؤقتة لا قدرلها عند الله. والآخرة ونعمها السرمدية هي لهؤلاء السُعداء الذين يفوزون بنعمة الخوف والخشية والتقوىٰ والطهارة.

لا شك أن الفلاح الأخروي أحسن من الفوز الدنيوي. فعلى الإنسان أن يخاف من عصيان ربه وأن يرضى بربه على كل حال، ويخاف منه ويشكره ويطيعه؛ لأن التقوىٰ هي الوسيلة الأساسية للنجاة والفلاح.

١- سورة النساء، الآية: ٧٧.

إن الله تعالى يعامل الإنسان يوم القيامة بالإنصاف والفضل ولا يظلم أحد، ولا تضيع حسنات شخص، ولا توضع ذنوب الآخرين عليه، ويُعطي أجر ا□سنات مضاعفة.

(٨)- ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[1].

توضح الآية الكريمة السابقة أن الحياة الدنيوية ومتاعها لا حقيقة لها ولا قيمة لها مقابل الآخرة. والذين يقدّمون الدنيا على الآخرة ويغفلون عن الآخرة وعن مقتضياتها بسبب لذات فانية هم في خسارة مهيبة. ويعرفون حقيقتها يوم القيامة ح□ لا تكون صورة لتداركه وكفارته، ولاُتقبل في ذلك اليوم حسنات لأنه يوم الدين.

علينا أن لا ننسى ربنا متعلق□ بالنعم الدنيوية، وينبغي علينا أن ننظر إلى قيمتها كما يجب علينا أن نتبع أوامر الله تعالى ليمكن نيل الفلاح الأخروي.

(٩)- ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ﴾[2].

تنصح الآية أن الأموال والأولاد نعم الله العظيمة يعطيها من يشاء، وبها يمكن تحسين الأحوال الدنيوية والأخروية، ولكن يمكن هذا إذا كان الإنسان مليئاً بالصدق والإخلاص والإيمان واليقين، وعلى الإنسان أن يعمل وفق الأحكام الإلهية.

وإذا عصى الإنسان ربه فهذه الأشياء تكون قيد الأياد وطوق الأعناق، ويتّورط

١- سورة التوبة، الآية: ٣٨.

٢- سورة التوبة، الآية: ٥٥.

الإنسان في شبكة حصول الأموال الدنيوية ومتاعها وتكاثرها، ويُبتلى في أنواع من الآلام والمصائب. وتكون الحياة الدنيوية معقدة رغم وجود الأسباب الظاهرة والوسائل، ويكون مثل هؤلاء في خسارة أبدية بعد ضياع عمرهم المحدود القليل، ولا تكون مخرجاً من هذا. ولذا علينا أن نستخدم النعم كليهما (المال والأولاد) حسب أوامر الله تعالى.

(١٠)- ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[1].

وضّحت الآية السابقة أنها حياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر وغرور وتكاثر في الأموال والأولاد، مثل غيث يقع على الأرض، فينبت الزرع ثم يهيج، ويفرح الزارع بحيث أن الزرع ينبت أمامه ويتلوّن ثم يصفر ثم يكون حطاماً. وهذا مثال الذي يحب الدنيا أنه يكسب طول حياته ولكن لا يبقى عند الموت إلا الحسرة، ويودّع الدنيا خالي اليد بحسرات وويلات. يُعذّب هذا الشخص بعد موته فوراً. وفي مقابله أن الذي يقضي حياته في طاعة الله ورسوله مكان الإنهماك في الدنيا ولذاتها فله الأجر والرضا من جانب الله.

يوضّح الله تعالى أن متاع الدنيا لهو ولعب لقضاء الوقت والالتهاء.

ولا يكون اللعب واللهو مهما حسن دائمياً ومستقلاً. ولا يمكن قضاء الحياة بأكملها في اللعب ولو كان جيداً. وهذه هي حقيقة الدنيا ومتاعها تكون حياة الإنسان عبثاً إذا كانت بغير إطاعة الله وإطاعة رسوله.

١- سورة الحديد، الآية: ٢٠.

ويمكن استنباط النقاط التالية من الآية المذكورة:

(i)- حياة الدنيا لهو ولعب وزينة وتفاخر وغرور وتكاثر في الأموال والأولاد.

(ii)- حياة الدنيا مثل النباتات التي تنبت بعد الغيث ولكنها تكون حطاماً بعد وقت قليل.

(iii)- أن لا نتفاخر على المال والأولاد.

(iv)- حياة الدنيا أقل وأرخص مقابل الآخرة.

(v)- الدنيا مؤقتة والآخرة أبدية.

(vi)- المال والبنون زينة الحياة الدنيا.

(vii)- المال والبنون ابتلاء لنا.

(viii)- عذاب عظيم للمتفاخرين بالمال والأولاد.

(ix)- حياة الدنيا خداع.

(x)- الذي لم ينخدع من الدنيا يغفر له الله تعالى ويرضى عنه.

٣- **الزهد في الأحاديث النبوية:**

رغّب الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته مراراً وتكراراً في اختيار الزهد. وهذه الأحاديث التالية دالة على هذا.

(١)- عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَيْسَ الزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ وَلَا فِي إِضَاعَةِ الْمَالِ وَلَكِنْ الزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَا تَكُونَ بِمَا فِي يَدَيْكَ أَوْثَقَ مِنْكَ بِمَا فِي يَدِ اللهِ}[١].

(٢)- عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَيْسَ لِابْنِ آدَمَ

١- السنن للإمام ابن ماجه، ج: ٣، رقم الحديث: ٩٨٠.

حَقٌّ فِي سِوَى هَذِهِ الخِصَالِ، بَيْتٌ يَسْكُنُهُ وَثَوْبٌ يُوَارِي عَوْرَتَهُ وَجِلْفُ الْخُبْزِ وَالْمَاءِ} (١).

(٣)- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ} (٢).

(٤)- عَنْ أَبِي خَلَّادٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِيَ زُهْدًا فِي الدُّنْيَا، وَقِلَّةَ مَنْطِقٍ، فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ، فَإِنَّهُ يُلَقَّى الْحِكْمَةَ} (٣).

(٥)- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْخَنْدَقِ، وَهُمْ يَحْفِرُونَ وَنَحْنُ نَنْقُلُ التُّرَابَ عَلَى أَكْتَادِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ} (٤).

(٦)- عَنْ سَهْلِ بن سعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: {سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا} (٥).

(٧)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ} (٦).

١- الجامع للإمام الترمذي، ج: ٢، رقم الحديث: ٢٢٧.

٢- السنن للإمام ابن ماجه، ج: ٣، رقم الحديث: ٩٨٢.

٣- المرجع السابق، ج: ٣، رقم الحديث: ٩٨١.

٤- الصحيح للإمام البخاري، ج: ٢، رقم الحديث: ١٣٢١.

٥- المرجع السابق، ج: ٣، رقم الحديث: ١٣٦٤.

٦- الصحيح للإمام مسلم، ج: ٣، رقم الحديث: ٢٩١٦. (المراد منه يجب على الإنسان أن يقضي حياته تحت أوامر الله سبحانه وتعالى وليست عنده حرية مطلقة).

(٨)- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ {أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: "أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟ فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: "أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟ قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ لِأَنَّهُ أَسَكُّ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: "فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ} (١).

(٩)- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ، فَإِذَا هُوَ بِشَاةٍ مَيِّتَةٍ شَائِلَةٍ بِرِجْلِهَا، فَقَالَ: "أَتُرَوْنَ هَذِهِ هَيِّنَةً عَلَى صَاحِبِهَا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى صَاحِبِهَا، وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا قَطْرَةً أَبَدًا} (٢).

(١٠)- عَنِ الْمُسْتَوْرِدِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: {سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "مَا مَثَلُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ، إِلَّا مَثَلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ} (٣).

(١١)- عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {اضْطَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَصِيرٍ فَأَثَّرَ فِي جِلْدِهِ، فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ كُنْتَ آذَنْتَنَا فَفَرَشْنَا لَكَ عَلَيْهِ شَيْئًا يَقِيكَ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا أَنَا وَالدُّنْيَا، إِنَّمَا أَنَا وَالدُّنْيَا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا} (٤).

١- الصحيح للإمام مسلم، ج: ٣، رقم الحديث: ٢٩١٧.

٢- السنن للإمام ابن ماجه، ج: ٣، رقم الحديث: ٩٩٠. (إذا قضي الإنسان حياته حسب هواه تكون الدنيا حراما (ميتة) وأما إذا قُضيت الحياة حسب أوامر الله سبحانه وتعالى تكون سببا لرحمة الله ومغفرته).

٣- السنن للإمام ابن ماجه، ج: ٣، رقم الحديث: ٩٨٨.

٤- المرجع السابق، ج: ٣، رقم الحديث: ٩٨٩.

(١٢)- عَنْ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: {سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ، إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ"}(١).

(١٣)- عَنْ أَبَا أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ إِنْ تَبْذُلِ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَإِنْ تُمْسِكْهُ شَرٌّ لَكَ، وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى"}(٢).

(١٤)- قَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: {كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرَّةِ الْمَدِينَةِ، فَاسْتَقْبَلَنَا أُحُدٌ، فَقَالَ: "يَا أَبَا ذَرٍّ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هَذَا ذَهَبًا تَمْضِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلَّا شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، وَمِنْ خَلْفِهِ، ثُمَّ مَشَى، فَقَالَ: إِنَّ الْأَكْثَرِينَ هُمُ الْأَقَلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ قَالَ: هَكَذَا وَهَكَذَا عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، وَمِنْ خَلْفِهِ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ"}(٣).

(١٥)- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {اشْتَكَى سَلْمَانُ، فَعَادَهُ سَعْدٌ فَرَآهُ يَبْكِي، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا يُبْكِيكَ يَا أَخِي، أَلَيْسَ قَدْ صَحِبْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أَلَيْسَ أَلَيْسَ، قَالَ سَلْمَانُ: مَا أَبْكِي وَاحِدَةً مِنَ اثْنَتَيْنِ، مَا أَبْكِي ضِنًّا لِلدُّنْيَا، وَلَا كَرَاهِيَةً لِلْآخِرَةِ، وَلَكِنْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهِدَ إِلَيَّ عَهْدًا فَمَا أُرَانِي إِلَّا قَدْ تَعَدَّيْتُ، قَالَ: وَمَا عَهِدَ إِلَيْكَ؟ قَالَ: "عَهِدَ إِلَيَّ أَنَّهُ يَكْفِي أَحَدَكُمْ مِثْلُ زَادِ الرَّاكِبِ}(٤).

١- الصحيح للإمام البخاري، ج: ٣، رقم الحديث: ١٣٨٤.

٢- الجامع للإمام الترمذي، ج: ٢، رقم الحديث: ٢٢٩.

٣- الصحيح للإمام البخاري، ج: ٣، رقم الحديث: ١٣٩١.

٤- السنن للإمام ابن ماجه، ج: ٣، رقم الحديث: ٩٨٤.

(١٦)- قَالَ عَبْدُ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ الْمَعَادِ، كَفَاهُ اللهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا، لَمْ يُبَالِ اللهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهِ هَلَكَ} (١).

(١٧)- عَنْ أَبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقُولُ: "الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللهِ، وَمَا وَالَاهُ أَوْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا} (٢).

(١٨)- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: "وَيْلٌ لِلْمُكْثِرِينَ، إِلَّا مَنْ قَالَ: بِالْمَالِ هَكَذَا وَهَكَذَا، وَهَكَذَا وَهَكَذَا" أَرْبَعٌ عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، وَمِنْ قُدَّامِهِ، وَمِنْ وَرَائِهِ} (٣).

(١٩)- عَنْ خَبَّابٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ: {هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُرِيدُ وَجْهَ اللهِ، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللهِ، فَمِنَّا مَنْ مَضَى لَمْ يَأْخُذْ مِنْ أَجْرِهِ مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ نَمِرَةً، فَإِذَا غَطَّيْنَا رَأْسَهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ بَدَا رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ وَنَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الْإِذْخِرِ، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِبُهَا"} (٤).

(٢٠)- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {لَمْ يَأْكُلِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خِوَانٍ حَتَّى مَاتَ، وَمَا أَكَلَ خُبْزًا مُرَقَّقًا حَتَّى مَاتَ} (٥).

(٢١)- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: {لَقَدْ تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا فِي رَفِّي

١- السنن للإمام ابن ماجه، ج: ٣، رقم الحديث: ٩٨٦.
٢- المرجع السابق، ج: ٣، رقم الحديث: ٩٩٢.
٣- المرجع السابق، ج: ٣، رقم الحديث: ١٠٠٩.
٤- الصحيح للإمام البخاري، ج: ٣، رقم الحديث: ١٣٩٥.
٥- المرجع السابق، ج: ٣، رقم الحديث: ١٣٩٧.

مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ، حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ} (١).

(٢٢)- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، {أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ ابْنَ أُخْتِي: "إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَارٌ"، فَقُلْتُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: "الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَبْيَاتِهِمْ فَيَسْقِينَاهُ"} (٢).

(٢٣)- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: {مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ بُرٍّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا حَتَّى قُبِضَ"} (٣).

(٢٤)- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: {كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَدَمٍ وَحَشْوُهُ مِنْ لِيفٍ"} (٤).

(٢٥)- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: {كَانَ يَأْتِي عَلَيْنَا الشَّهْرُ مَا نُوقِدُ فِيهِ نَارًا، إِنَّمَا هُوَ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنْ نُؤْتَى بِاللُّحَيْمِ"} (٥).

(٢٦)- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الْأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا"} (٦).

١- الصحيح للإمام البخاري، ج: ٣، رقم الحديث: ١٣٩٨.

٢- المرجع السابق، ج: ٣، رقم الحديث: ١٤٠٦.

٣- المرجع السابق، ج: ٣، رقم الحديث: ١٤٠١.

٤- المرجع السابق، ج: ٣، رقم الحديث: ١٤٠٣.

٥- المرجع السابق، ج: ٣، رقم الحديث: ١٤٠٥.

٦- الصحيح للإمام مسلم، ج: ٣، رقم الحديث: ٢٩٦٢.

(٢٧) - عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: {مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ: هَذَا وَاللهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا"} (١).

(٢٨) - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ"} (٢).

(٢٩) - عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَلَا أُخْبِرُكَ عَنْ مُلُوكِ الْجَنَّةِ؟"، قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: "رَجُلٌ ضَعِيفٌ مُسْتَضْعَفٌ ذُو طِمْرَيْنِ، لَا يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ"} (٣).

(٣٠) - عَنْ حَارِثَةَ بْنَ وَهْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ، كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ، كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ} (٤).

(٣١) - عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْحَارِثِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْبَذَاذَةُ مِنَ الْإِيمَانِ"} (٥).

١- الصحيح للإمام البخاري، ج: ٣، رقم الحديث: ١٣٩٤.

٢- المرجع السابق، ج: ٣، رقم الحديث: ١٠٠٢.

٣- المرجع السابق، ج: ٣، رقم الحديث: ٩٩٥.

٤- المرجع السابق، ج: ٣، رقم الحديث: ٩٩٦.

٥- المرجع السابق، ج: ٣، رقم الحديث: ٩٩٨.

(٣٢)- عَنِ ابْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ ا□ عَنْهُ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ ا□ صَلَّى ا□ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ} (١).

٤- أنواع الزهد والزهاد:

(١)- للزهد ثلاث صور:

هناك صور عديدة للزهد مثل:

(i)- ترك المحرمات لرضاء الله تعالى. وهذا زهد عامة الناس، واختيار مثل هذا الزهد فرض كل على ا□سلم.

(ii)- ترك الزائد من ا□لال. وهذا زهد الخواص، ويقال زهد النفل.

(iii)- ترك الأشياء ا□لال التي تُغفل العبد من الرب. وهذه صورة ثالثة للزهد، وهذا زهد العارفين ويقال له زهد السلامة.

(٢)- درجات الزهد:

هناك درجات عديدة للزهد، والدرجات الثلاثة الآتية مهمة:

(i)- الدرجة الأولى من الزهد هو أن يرغب عن الدنيا متكلفا، ويتركه رغم هواه والذي يختاره هو متزهد، وهذه الدرجة بداية الزهد في حق من يصل إلى الزهد بالكسب والاجتهاد. والمتزهد دائماً في خطر، أحياناً تغلب عليه نفسه ويرغّبه الهوى إلى جانبه ويرجع هذا الشخص إلى الدنيا للراحة.

(ii)- الدرجة الثانية أن يرغب الإنسان عن الدنيا طوعاً ويحقّره مقابل الآخرة هو يترك الحقير بمقابل الشيء الثمين. هذا زهد، ولكن فيه خطر الخسران، والزاهد فيه يعرف زهده وهو متوجه إليه، يمكن أن يأتي العجب

١- الجامع للإمام الترمذي، ج: ٢، رقم ا□ديث: ٢٦٤.

(الكبر) على الزاهد.

(iii)- الدرجة الثالثة للزهد وأعلاه هو أن يختار الإنسان الزهد بنفسه طوعاً ويبالغ في زهده ويزهد في زهده فلا يرى زهده، إذ لا يرى أنه ترك شيئًا؛ لأنه يعرف لا قيمة للدنيا. ومثال هذا الرجل كمن ترك ا□جر وأخذ اللؤلؤ والدر، وأنه لا يظن الثاني بديلاً للأول. بل لا قيمة للدنيا عنده على الآخرة.

(٣)- درجات الزهاد:

كما أن للزهد ثلاث درجات كذلك للزهاد أيضاً ثلاث درجات تالية:

(i)- بعضهم في الدرجة الابتدائية هم الذين ليس عندهم شيءٌ. سُئل جنيد رحمة الله عليه عن الزهد، فقال: خلو الأيادي من ا□لك وخلو القلوب من الطمع زهد. وحينما سُئل سرسقطي رحمة الله عليه عنه فقال: الزهد خلو القلب من الأشياء التي تكون يد الزاهد خالية[١].

(ii)- الطبقة الثانية من الزهاد هؤلاء الذين تحقق زهدهم، وصفتهم كما بيّن رويم أحمد رحمة الله عليه حينما سُئل عن الزهد فقال: الزهد ترك طلب الأشياء الموجودة في الدنيا جميعاً. والزهد عن الدنيا توجد فيها فرحة النفس، ولذا يوجد في الزاهد الراحة والمدح والشهرة وطلب الجاه عن الناس، ولذا الذي يحّرر نفسه من الهوى يكون زاهداً حقيقياً[٢].

(iii)- الطبقة الثالثة هي التي أدركت هذه ا□قيقة وأيقنت لو ملكت الدنيا بحذافيرها حقًا، ولم تحاسب عليها في الآخرة، ولم تقلّل في النعم الموجودة

١- اللمع في التصوف، للشيخ أبي النصر السراج، ص: ٨٤.

٢- المرجع السابق، ص: ٨٤.

له عند الله تعالى مع هذا يرغب عن الدنيا لله سبحانه وتعالى. حينما تصل هذه الطبقة إلى المرحلة المرتفعة هم يزهدون عن زهدهم ويتوبون من زهدهم، كما سُئل الشيخ شبلي رحمة الله عليه **عن الزهد فقال: الزهد** عبارة عن الغفلة؛ لأن الدنيا لا شيء، والزهد عن لا شيء غفلة[١].

٥- علاقة الزهد بالدنيا:

(١)- حُصر مفهوم الزهد على الفقر والمسكنة والرغبة عن الدنيا والملابس البالية الممزّقة. وليس هذا مراد الزهد في الإسلام. يمكن الجمع بين الزهد والمال، كما يمكن جمعه **بالفقر**. يستطيع أن يكون الغني زاهداً إن لم يتكبر، ويمكن للفقير أن يكون زاهداً إن لم يحزن من الحرمان عن الدنيا.

(٢)- إذا نظرنا إلى حياة سيد المرسلين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنجد أنها عبارة عن الزهد رغم فوزه بالمقام المحمود والمكانة العليا في جنة الفردوس في الآخرة، وكونه أعظم إنسان في تاريخ البشرية نراه يرقع لباسه البالي الممزق بنفسه ويلبسه شاكراً ربه، ويُصلح حذاءه، ويحلب شاته، ولم يملأ بطنه بخبز الشعير طول حياته. **يمر شهر ثم يمر شهر آخر ثم يطلع القمر الثالث لا يوقد القدر** (ولا يطبخ الطعام) في بيته. يأكل الرطب ويشرب جرعات من ماء، فيشتغل في حمد الله **والقيام والسجود** الطويلة والجهاد. يخرج اتباعه في غزوة خندق وهو أيضاً يشتغل في قطع الحجر ولكنه لا يحزن أبداً بل يشكر الله تعالى على كل حال.

(٣)- يموت الصحابي الجليل سيدنا معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه في مرحلة الشباب فتجري على لسانه الكلمات التالية: اللهم أنت تعلم أن حبي لهذه الدنيا لم يكن للبقاء عليها وعمران أرض وحفر نهر، إنما كانت رغبتي في الدنيا لأستلذ بعطش

١- المرجع السابق، ص: ٨٧.

الصوم في اليوم الحار جداً، وأجتهد للعبادة في الخلوة، واشترك في مجالس العلم والذكر في الصف الأول.

(٤)- تحريم الحلال والطيب على النفس ليس زهداً، و**الرغبة عن كسب ا□لال وعدم** إسهام في الأمور الدنيوية تصور خاطئ جداً لمفهوم الزهد، بل الزهد هو السعي لكسب الحلال والبحث عن الرزق الحلال من الصباح حتى المساء وأداء حقوق الوالدين والأهل، كما أنه عبارة عن تقوية الجهود الدينية لتكون كلمة الله هي العليا وبذل الجهود لترقية الأمة الإسلامية بالسلوك الجماعي لئلا يكون المجتمع **الإسلامي** مجتمعا معطلا وغير منتج، ويكون مجتمع المسلمين مجتمعاً يعيش بكل عزّ ووقار ومكتفيا بذاته وغير محتاج لأحد، وهذا هو المفهوم الصحيح للزهد الحقيقي.

(٥)- ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم نوع□ **من الناس، نوع يطلب الدنيا فقط** ونوع آخر يطلب الدنيا والآخرة وذكر هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[1].

(٦)- عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ ا□ُ عَنْهُ قَالَ: {بَعَثَ □إِلَيَّ رَسُولُ الله صَ□لى ا□ُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ ذَاتِ □السَّلَاسِلِ، فَقَالَ: خُذْ عَلَيْكَ ثِيَابَكَ وَسِلَاحَكَ □ثُمَّ ائْتِنِي فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ يَتَو□ضَّأُ فَصَ□عَّدَ □فِيَّ النَّظَرَ □ثُمَّ طَأْطَأَهُ □ثُمَّ قَالَ: يَا عَمْرُو، □إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ فَيُ□سَلِّمَكَ ا□ُ وَيُغْنِمَكَ، وَأَرْغَبُ لَكَ مِنْ ا□الِ رَغْبَةً صَا□ِحَةً، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، □إِنِّي مَا أَسْلَمْتُ مِنْ أَجْلِ ا□الِ، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، وَأَنْ أَكُونَ مَعَ رَسُولِ ا□ِ

١- سورة البقرة، الآية: ٢٠٠ - ٢٠٢.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا عَمْرُو نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ}[1].

(٧)- ليس الزهد هو ترك الدنيا إنما هو إنكار عن إدخال حب الدنيا في القلب، وإلا نحن نعرف من أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكون أزهد الناس في عصره. كان لإبراهيم خليل الله مواشي تملأ الوادي بأكمله، وكان بيته مليئًا بالضيوف حتى لُقب بأبي الضيفان. سيدنا سليمان كان ملكًا وكان عنده أموالاً كثيرة.

(٨)- هل يمكن أن يكون أحد أزهد من خاتم المرسلين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكنه عمّر بيوتًا عديدة وكانت عنده مائة من الغنم، وقد ذُكر في كتب السيرة أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يذبح الشاة حينما يزداد عددها من المائة.

وخُصصت له قطعة من المزرعة لتسديد احتياجاته. وأما عدم الطبخ لأيام عديدة فلم يكن بسبب الفقر بل لعظمة قلبه؛ لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبي الله تعالى وكان تفكيره عن أمته أكثر من تفكيره بنفسه وأهله، ولذا كان ينفق أمواله في سبيل الله ولا يترك لنفسه شيئًا.

(٩)- نعرف أن هناك من أصحاب الرسول من لا يملك إلا لبستين ولم تكن لهم حيوية ونشاطات في أمور الحياة. وكانت حياتهم محدودة في المسجد وحصول العلم والجهاد وغيرها ويعيشون على الصدقات. ولكن في مقابل هذا نجد أن هناك أصحابًا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يملكون أموالاً كثيرةً ولهم حيوية ونشاطات في الحياة، بل أن أصحاب الأموال الهائلة أكثر درجات من الصحابة الفقراء. فالعشرة المبشرة بالجنة كلهم تقريبًا كانوا أصحاب الثروة والأموال. وهناك عدد كبير من أصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من يشتغلون بالتجارة، وعندهم وفرة في الأموال مثل عبد الرحمن بن عوف وزبير بن العوام

١- المسند للإمام أحمد، ج:٧، رقم: ٨٨٩.

وعثمان بن عفان وسعد بن أبي وقاص وخديجة بنت خويلد، وأبو بكر الصديق وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وغيرهم رضي الله تعالى عنهم **ولكن ا□** تعالى في قلوبهم وذكر الآخرة على ألسنتهم.

(١٠)- **عَبْد ا□ْ**بن عُتْبَةَ رَضِيَ ا□ُ **عَنْهُ قَالَ:** {كَانَ لِعُثْمَانَ بن عَفَّانَ عِنْدَ خَازِنِهِ يَوْمَ قُتِلَ ثَلاثُونَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَخَمْسُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَخَمْسُونَ وَمِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ فَانْتُهِبَتْ وَذَهَبَتْ، وَتَرَكَ أَلْفَ بَعِيرٍ بِا□لرَّبَذَةِ، وَتَرَكَ صَدَقَاتٍ كَانَ تَصَ□دَّقَ بِهَا بِبَرَادِيسَ وَخَيْبَرَ وَوَادِي الْقُرَى، قِيمَةَ مِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ}[1]. وكان ثُمن ميراث زبير رضي الله تعالى **عنه** خمسين ألف دينار ومعناه أن جميع ما تركه من المال قدره أربعمائة ألف دينار. **وترك عمرو بن العاص** رضي الله تعالى عنه ثلاثمائة ألف دينار. **وكان غنى عبد** الرحمن عوف مشهوراً إلى حد لا يحتاج إلى بيان. الخلاصة أن الدنيا كانت في أياديهم ولم تدخل في قلوبهم. عندما لم يجدوها صبروا، وحينما وجدوها شكروا. وإن الله ابتلا هم بالفقر في البداية حتى وصلت أنوارهم إلى الكمال.

(١١)- بيّن رومى رحمة الله عليه **علاقة الأشياء ا□**ادية بالزهد بأسلوبه الجميل قائلاً:

چيست دنيا از خدا غافل بدن
نى قماش ونقده، ميزان و زن

(ما الدنيا؟ الدنيا هي الغفلة عن الله تعالى، **وليس الل**باس الجيد
والذهب والفضة، والأولاد والأسرة).

(١٢)- كانت الدنيا في أيدي الصحابة رضي الله تعالى عنهم لا في قلوبهم. **وكانوا يبتعدون** عن الدنيا ويؤثرون الآخرين على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة حتى جاءت إلى الصحابي هدية لحم الرأس فقال: إن الفلان هو أحوج مني، فأشار هذا الشخص

١- ا□شكاة ا□صابيح، ج:٤، رقم ا□ديث: ١١٥٢.

شخصاً آخر وهكذا دارت الهدية بينهم حتى وصلت إلى الصحابي الأول. **هكذا** أنفق سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه في غزوة تبوك نصف ماله في سبيل الله تعالى وأنفق أبو بكر رضي الله تعالى عنه جميع ماله، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى **عنه** أنفق سبعمائة بعير مع ما حُمّل عليه في سبيل الله وكذلك قدّم سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه مالاً كثيراً جداً.

(١٣)- الزهد هو أن يكون المال في يد الرجل لا في قلبه ولو كان يملك الملايين **من الدينار**، وهذا لا يمكن إلا إذا رسخت في قلبه حقيقة نبيلة وعالية ولا يكون مكاناً في قلبه **للدنيا ومتاعها**. ويكون المال في يده لا في قلبه. **وقد وضّح مولانا رومي** رحمة الله **عليه هذه الصورة بقوله:**

ب در کشتی، هلاک کشتی ست
ب اندر زیر کشتی، پشتی است

(إذا دخل الماء في السفينة تغرق السفينة وإذا كان الماء تحتها فتجري السفينة)

(١٤)- الزهد حقيقة عالية ويترسخ في القلب حينما يتعلّم الإنسان عظمة الله تعالى، **ويعرف شأنه** ويدرك المالك الأصلي للموت والحياة **ويؤمن بالآخرة**.

(١٥)- **يتقلّل** شأن الدنيا عند الزاهد ولو كان كثيراً جداً، وتخرج الدنيا من القلب رغم وفرتها وكثرتها وتصغير شيء وتقليل شأنه لا يمكن إلا إذا حصل على شيء آخر أعظم مرتبه منه. وهذا هو مقتضى لعظمة الله تعالى وعلاقة العبد بربه.

(١٦)- **الزهد حالة** نفسية **وروحية وعلاقته بالآخرة، ولذا** ليس له رغبة كثيرة بالماديات والأشياء الظاهرة. وعدم الرغبة لا يكون في تصور الزاهد وفكره وعواطفه وميلانه القلبي فقط، إنما يسلك الزاهد مسلك القناعة وعدم التكلف في حياته العملية يتقي الزاهد من التجميل ولذات الدنيا وينفق ما له على الآخرين، ولو

أنفق على نفسه يملؤة إحساس الشكر والعرفان.

(١٧)- الزهد ليس عبارة عن الكآبة والحرمان، بل هو عمل عظيم يسعى لجعل الحياة الإنسانية والبشرية في تيّار الآخرة. فالزهد ليس ترك الدنيا والتنفر منها والفرار عنها، والتنازل عنها بل هو في الحقيقة استخدام الدنيا للآخرة.

٦- الزهد والرهبانية:

(١)- الزهد ظاهرة هادفة وعبارة عن العمل والإيثار، وليس المراد منه تخلف باسم الله تعالى وجبن وكسل، كما أنه ليس عبارة عن طبقة دينية لإيجاد طبقة الكسالى والمكتئبين. إذا كان الأمر كذلك فهو ليس زهدا، بل رهبانية مخالفة لروح الإسلام.

(٢)- الزهد الإسلامي ليس له علاقة بالرهبانية، بل الزهد الإسلامي والرهبانية سلوكان مختلفان. الرهبانية عبارة عن قطع العلاقات والاهتمام بالعبادة فقط. ولذا تعتمد الرهبانية على الخروج ضد الاجتماعية، كما أنها عبارة عن البعد عن الخلق والعزلة عنه، وقطع العلاقات بالناس والفرار عن المسؤلية. ولكن الزهد الإسلامي هو اختيار الحياة البسيطة والاجتناب عن اللذات. ولكن لا يكون فيه العزلة عن الدنيا. والزاهد الكامل لا يعيش إلا في الدنيا، بل يفتحها ولكن لا يحبها.

(٣)- {قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا خزام ولا زمام ولا سياحة، ولا تبتل ولا ترهب في الإسلام}[1].

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، {أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ، فَجَاءَهُ، فَقَالَ: "يَا عُثْمَانُ، أَرَغِبْتَ عَنْ سُنَّتِي؟ "قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَكِنْ سُنَّتَكَ أَطْلُبُ، قَالَ: "فَإِنِّي أَنَامُ، وَأُصَلِّي، وَأَصُومُ، وَأُفْطِرُ، وَأَنْكِحُ النِّسَاءَ، فَاتَّقِ اللهَ يَا عُثْمَانُ فَإِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ

١- كنزالعمال في سنن الأقوال و الأفعال للإمام على متقى بن حسام الدين، ج: ١، رقم الحديث: ١١٠٨.

عَلَيْكَ حَقًا، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَصَلِّ وَنَمْ}[١]. لا اعتبار لعبادة ولا لرياضة إلا إذا كانت موافقة للسنة النبوية. والمبالغة تكون رهبانية فلا وجود لها في الإسلام.

٧- **علامات الزهد:**

السؤال الذي يطرح نفسه ما هي علامات الزهد؟ يُتخيّل أحياناً أن تارك المال زاهد. يُرى بعض الرهبان أنهم عوّدوا أنفسهم بشيء قليل من الغذاء وحبسوا أنفسهم في المعابد، ولا يمكن الخروج منها، ويعيشون لاعتمادهم على اللحظات السعيدة التي تمر عليهم حينما يأتون إليهم الزوار حبّاً لهم ويمدحونهم ويتملقون بهم. ولذا ليس ترك ا□ال دليلا للزهد قطعاً. يجب الزهد من المال والجاه. ومعرفة الزهد أمر صعب، ولذا تذكر بعض علامات الزهد:

(١)- العلامة الأولى أن لا يجنّ فرحاً لما أعطاه الله تعالى من رحمته، وأن لا يحزن على ما حُرم. وهذه علامة الزهد في المال الذي يقول الله عنه: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾[٢].

(٢)- الزهد أن لا يفرح على الموجود وأن لا يتحسر على المفقود[٣].

(٣)- العلامة الثانية أن يستوى عنده ذامه ومادحه، وأن يستوى الذي يمدحنا والذي يذمنا في نظرنا. وهذا زهد في الجاه والمقام.

(٤)- العلامة الثالثة أن يكون أُنسه بالله وتغلب عليه حلاوة طاعة الله تعالى؛ إذ لا يخلو القلب من ا□ب إما حب الدنيا أو حب ا□. والذي يأنس با□ هو يشتغل به، ولا يمكن أن يشتغل بغيره.

١- السنن للإمام أبي داؤد، ج:١، رقم ا□ديث: ١٣٦٥.

٢- سورة ا□ديد، الآية: ٢٣.

٣- نهج البلاغة للسيد على بن طالب رضي الله تعالى عنه، رقم قصار: ٤٣٩.

(٥)- من الأشياء الهامة كم نحب الله تعالى؟ كم نستلذ من ساعات الخلوة مع الله تعالى؟ كم نحس بالحلاوة من العبادة والطاعة؟ وكم نرتاح من المشي نحو الآخرة؟

٨- **حوائج الحياة والزهد:**

الحاجات الأساسة ستة: الطعام واللباس، والسكن، ومتاع البيت، والأهل والأولاد.

(١)- الطعام أول حاجة من الحاجات البشرية، ومقتضى الزهد أن يأكل الإنسان بقدر الضرورة لاستمرار حياته، وأن يهتم اهتماماً بالغاً أن لايضاع الطعام.

أما إدّخار الطعام والشراب **ففيه ثلاث درجات باعتبار الزهد.**

(i)- الدرجة الأولى أن يدخر ليوم وليلة.

(ii)- **الدرجة الثانية أن يدخر لأربعين يوماً.**

(iii)- **الدرجة الثالثة أن يدخر لسنة.**

إن لم يكن عند أحد دخلا مستقلا ولا يرغب في التسوّل، فيمكن له أن يدّخر **لأكثر من سنة.** ورث الشيخ داؤد الطائي عشرين ديناراً فحفظه واستخدمه بعد عشرين سنة، ولم يكن هذا خلاف الزهد. **فثبت من هذا أن الادخار ليس خلاف** الزهد، ولكن ينبغي أن تكون وجهة القلب إلى الله سبحانه وتعالى.

(٢)- والحاجة الثانية اللباس، والزهد في اللباس أن يكتفي بلباس يحفظه من الحر والبرد، وأن يكون جميلاً **ومتوسط القيمة، وأن لا يكون ثميناً جدًا، ويكون عدده حسب** الضرورة، وأن **يكون اللباس** أكثر من اللازم **من أن يلبس مرةً واحدةً ثم لا** يستخدمه، ويملأ أدراجه باللباس الفاخر خلاف الزهد. **ولا تكون حالة** اللباس سبباً للكبر وفي الحديث:

(i)- عَنْ عَبْدِ اللهِ بن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْه، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا، أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَة، ثُمَّ أَلْهَبَ فِيهِ نَارًا} [1].

١- السنن للإمام ابن ماجه، ج:٣، رقم الحديث: ٤٨٧.

(ii)- عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْه {عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ، أَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ حَتَّى يَضَعَهُ مَتَى وَضَعَهُ}[1].

(iii)- وفي القرآن الكريم أمر بلبس اللباس الجميل، قال الله تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[2].

(٣)- والضرورة الثالثة هي ضرورة **السكن:**

الدرجة الأدني للزهد في السكن أن يحصل بيتاً حسب الضرورة، ولكن يجب الاهتمام بألا يكون البيت أكثر من الزيادة وأن لا يختار بالتصنع والتكلف في **التجميل والتزيين**، ويجوز أن يُبنى بيت جيد بشرط أن يميل القلب إلى الآخرة.

(٤)- الضرورة الرابعة للإنسان ضرورة أثاث البيت. **وفيه درجات عديدة للزهد:**

(i)- **كان عيسى عليه السلام** عنده مشط وكوز. رأى يوماً رجلاً يمشط لحيته بأصابعه، فتصدق المشط، ورأى رجلا يشرب الماء بكفيه فتصدق الكوز[3]، **ومثل هذا النوع من الزهد لا مثال له، ولا يمكن لنا أن نعمل به.**

(ii)- وهناك درجة أخرى هي أن يكون أثاث البيت بقدر الحاجة، ولكن ينبغي أن تستعمل الآلة الواحدة في مقاصد عديدة، كالذي معه قصعة يمكن أن يأكل فيها ويشرب فيها ويحفظ المتاع فيها.

(iii)- ودرجة أخرى في أثاث البيت أن يكون لكل حاجة أثاثاً مستقلاً ولكن لا **يكون ثميناً جداً.**

١- السنن للإمام ابن ماجه، ج:٣، رقم الحديث: ٤٨٨.

٢- سورة الأعراف، الآية: ٣١.

٣- إحياء العلوم للإمام الغزالي، ج:٤، ص: ٣٥٧.

(٥)- الضرورة الخامسة النكاح والزواج، والنكاح ليس خلاف الزهد؛ لأن رئيس الزهاد سيد المرسلين محمداً رسول الله أحب النكاح.

(i)- يقول أبو سليمان داراني رحمة الله عليه كل شيء ألهاك عن الله تعالى فهو سيئة وخلاف الزهد، سواءً كان زوجاً أو مالاً أو أولاداً، فالزهد في النكاح هو أن يتزوج بامرأة لا تلهيه من ذكر ا بل تقرّبه إليه.

(ii)- الذي لا يتزوج رغم الاستطاعة فهو في الحقيقة رهبانية، وليس في الإسلام رهبانية.

(iii)- يقول الشيخ أبو سليمان داراني على الرجل أن لا يُجبر أهله على الزهد، بل عليه أن يرغبهم بالنصح والإرشاد، فإن قبلوا فبها ونعم، وإلا عليه أن لا يزعجهم، فهو يستطيع أن يفعل لنفسه ما يشاء.

٩- **طرق حصول الزهد:**

هناك بعض الأشياء التي تساعد في اختيار الزهد:

(١)- يجب التأمل والتفكر عن حقيقة الدنيا كل يوم، بأنها تغيب بسرعة، وزوالها قريب جداً، وهي فانية، وناقصة، وفاسدة، وخسيسة وحقيرة، والمسابقة العمياء فيها لا تأتي إلا بالحسرة.

(٢)- يجب أن نجعل التأمل عن الآخرة عادة مستمرة، وما مقدار حيوة تصورها الأبدي؟ وكيفية اقتراب الآخرة يوماً فيوماً، وحتمية وقوعها، وحيوية تصورها الأبدي، وجمال أبديتها، وسعتها، وكيفية لذة نعمها وعلو صحبتها، كل هذه الأسئلة يجب التأمل فيها مراراً وتكراراً بل يجب أن نستمر في التأمل.

(٣)- يجب ذكر الموت بكثرة؛ لأن ذكر الموت يكدّر لذات الدنيا كما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وما أحسن ما قال العلامة محمد إقبال:

موت کے آئینے میں تجھ کو دکھا کر رخ دوست
زندگی تیرے لئے اور بھی دشوار کرے

(يصعّب لك الحياة مزيداً بإراءة وجه الحبيب في مرآة الموت)

(٤)- علينا أن نفكر ونتأمل بكل دقة في الجنازة، بحيث أن الفرصة التي عندنا ليست عنده، فهو يدفن في القبر، ويتمنى أن يُرجع إلى الدنيا مرة أخرى **ليتوب توبة نصوحاً. ولكنه لا يستطيع وعندنا فرصة.** ونستطيع أن نقوم بالأعمال الصالحة، **التي لا يستطيعها الميت.** وأن نتوب بقلب صادق ونجدد علاقتنا بربنا، ونراجع أهداف حياتنا ورغباتنا كما يجب علينا مراجعة علاقتنا بالدنيا والآخرة.

(٥)- حينما نكون في بيوتنا وفي بيوت أصدقائنا علينا أن نفكر ونتصور هؤلاء الذين كانوا يسكنون في هذه البيوت ولكنهم لا يوجدون الآن. **علينا أن نفكر عن آبائنا وأجدادنا الذين سكنوا فيها، والآن بقيت** ذكرياتهم فقط، ولم يستطيعوا أن يذهبوا بشيء من هنا، سوى الأشياء التي جُهّزت لهذا الغرض، وبقي كل شيء هنا. **وأي** شيء لا يحبونه؟ ولكن الحق أنهم ذهبوا بالشيء المحبّب إليهم.

(٦)- ما في أيدينا له زوال ولو كان غالياً وثميناً. **علينا أن نجدّد تصور هذه الحقيقة صباحاً ومساءً.** ولا شك أننا نعيش في قصر ونستخدم سيارة فخمة، ولكن يجب علينا أن نتذكر أن مصاحبة القصر بساكنه مؤقت، ثم يكون القصر بيد رجل آخر وهذا السيارة الجميلة وصاحبها لا تصحبان دائماً.

(٧)- علينا أن ننظر إلى الذين هم أقل منا مالاً وأن لا ننظر إلى **من هم أكثر منا مالا**[1].

١- **الصحيح للإمام البخاري، ج: ٣، رقم الحديث: ١٤٣٧.** (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ").

١٠- **أقوال الصوفياء عن الزهد:**

هناك أقوال عديدة تنسب إلى أولياء الله تعالى:

(١)- للزهد أربعة جوانب عند علي رضي الله تعالى عنه.

(i)- الإيثار: تفضيل الآخرين على النفس، وتحمل المشقة للآخرين، وأن نجعل أنفسنا على مستوى الفقراء والمساكين لئلا يحسّ الفقراء بالحرمان.

(ii)- المواساة: المشاركة في هموم الآخرين وأحزانهم.

(iii)- الحرية: الحرية من الهوى النفسية والمادية وأن لا يعبد سوى الله تعالى، لأن الله تعالى خلق الإنسان حرّاً[١].

(iv)- الاعتدال: كلام القائم بالرياضة النفسية يكون سديداً ولباسهم معتدلاً ومشيهم عبارة عن التواضع والعجز[٢].

(٢)- يقول سيدنا على رضي الله تعالى عنه إن الزهد بأكمله اجتمع في هاتين الجملة يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ والذين لا ييأسون على ما فاتهم، ولا يتكبرون على ما آتاهم، أي لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود. هم أخذوا مفهوم الزهد بأكمله[٣].

(٣)- وقال ابن جلاء رحمة الله عليه: الزهد: هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال، لتصغر في عينك فيسهل عليك الإعراض عنها[٤].

١- نهج البلاغة للسيد على بن طالب رضي الله تعالى عنه، ص: ٢٠٢.

٢- المرجع السابق، ص: ٢٠٢.

٣- المرجع السابق، قصار: ٤٣٩.

٤- الرسالة القشيرية، للإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ٢٠٣.

(٤)- وقال أبو عثمان رحمة الله عليه: **الزهد**: أن تترك الدنيا ثم لا تبالي من أخذها[١].

(٥)- وقال جنيد رحمة الله عليه: الزهد خلو القلب عمّا خلت منه اليد[٢].

(٦)- قال السري السقطي رحمة الله عليه: **خلو القلب عن الأشياء التي تكون اليد خالية عنها**[٣].

(٧)- وقال أبو سليمان الداراني رحمة الله عليه: الصوف علم من أعلام الزهد؛ فلا ينبغي للزاهد أن يلبس صوفًا بثلاثة دراهم، وفي قلبه خمسة دراهم[٤].

(٨)- وقال أبو سليمان الداراني رحمة الله عليه: **الزهد: ترك ما يُشغل عن الله سبحانه** وتعالى[٥].

(٩)- وسئل الشبلي رحمة الله عليه عن الزهد، فقال: أن نزهد عما سوى الله تعالى[٦].

(١٠)- قال الإمام الغزالي رحمة الله عليه أن الزهد هو الإعراض عن الدنيا والإقبال إلى **الآخرة**[٧].

(١١)- وقال يحيى بن معاذ رحمة الله عليه: **الدنيا كالعروس المجلوة، ومن يطلبها ما** شطتها، والزاهد فيها يسخم وجهها، وينتف شعرها، ويحرق ثوبها، والعارف مشتغل بالله تعالى، لا يلتفت إليها[٨].

١- المرجع السابق، ص: ٢٠٣.

٢- المرجع السابق، ص: ٢٣٤.

٣- اللمع في التصوف للشيخ أبي نصر سراج، ص: ٨٣.

٤- المرجع السابق، ص: ٨٣.

٥- المرجع السابق، ص: ٨٣.

٦- الرسالة القشرية، للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشري، ص: ٢٠٣.

٧- المرجع السابق، ص: ٢٣٦.

٨- المرجع السابق، ص: ٢٣٦.

(١٢)- قال سفيان الثوري رحمة الله عليه: الزهد في الدنيا: قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ، ولا بلبس العباء[١].

(١٣)- وقال ابن خفيف رحمة الله عليه: **علامة الزهد**: وجود الراحة في الخروج عن الملك[٢].

(١٤)- وقال عبد الواحد بن زيد رحمة الله عليه: **الزهد: ترك ما يشغل عن الله سبحانه** وتعالى[٣].

(١٥)- وقال بشر الحافي رحمة الله عليه: **الزهد**: ملك لا يسكن إلا في قلب مخلي[٤].

(١٦)- قال الفضيل بن عياض رحمة الله عليه: **جعل** الله الشر كله في بيت، وجعل مفتاحه حب الدنيا، وجعل الخير كله في بيت، وجعل مفتاحه الزهد[٥].

(١٧)- قال الشيخ ضياء الدين السهروردي رحمة الله عليه الزهد هو ترك حلال الدنيا والبعد عن شهواتها[٦].

(١٨)- يقول السيد على الهجويري رحمة الله عليه عن الزهد:

(i)- البراءة عن كل باغ وطاغ من الله (البغض في الله).

(ii)- جعل جميع أنواع الولاء تابعاً لولاء الله تعالى. (الحب في الله) [٧].

١- المقامات للسلوك، للشيخ د. محمد عبد الرحمن عميره المصري، ص: ٦٨.

٢- الرسالة القشرية، للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشري، ص: ٢٣٤.

٣- المرجع السابق، ص: ٢٠٣.

٤- المرجع السابق، ص: ٢٣٤.

٥- المرجع السابق، ص: ٢٠٣.

٦- آداب المريد للشيخ ضياء الدين السهروردي، ص: ٣٦.

٧- كشف المحجوب للسيد على الهجويري، ص: ١٤٣.

(١٩)- يقول السيد على الهجويري رحمة الله عليه إن الزهد: **ليس ترك متاع الدنيا والبعد عنها، بل خلو القلب عن حبها والإعراض عنها، والزاهد هو الذي يستغني عن** متاع الدنيا سواء لم يكن معه شيئا من متاعها أو عنده كل شيء منها، ولا يأتي خلل ما في حياته بوجود المتاع الدنيوي أو عدم وجوده، بحيث لا يحزن من حرمان المتاع الدنيوي ولا يحس بالغنى **بوجود النعم الدنيوية فوجود متاع الدنيا وعدمه سواء عنده**[١].

(٢٠)- **يقول** الشيخ عبد الله الأنصاري رحمة الله عليه أن الزهد يكون في ثلاثة أشياء[٢]:

(i)- الزهد في الدنيا: الذي ينفق عن مال الدنيا ومتاعها حتى على الأعداء فهو زاهد. **وله ثلاثة علامات**:

(أ) **ذكر ا□وت.**

(ب) القناعة في الرزق.

(ت) **حب الزهاد.**

(ii)- الزهد في الخلق: **أن لا يمنع** حقوق المخلوق عن حقوق الله فهو زاهد في الخلق. **وله علامات ثلاثة**:

(أ) رعاية أوامر الله تعالى.

(ب) الاستقامة على الطاعة.

(ت) رعاية عجز المخلوق.

(iii)- الزهد في الذات: هو الذي لا ينظر إلى نفسه حبا لها فهو زاهد في ذاته. والزهد في **الذات** عبارة عن:

١- آداب المريد للشيخ ضياء الدين **السهروردي، ص**: ٣٦.

٢- صد ميدان للشيخ عبد الله الأنصاري، ص: ٤١-٤٢.

(أ) إدراك مكر الشيطان ودسائسه.

(ب) **معرفة ضعف نفسه.**

(ت) معرفة ظلمة الاستدراج.

(٢١)- يقول الشيخ أبو نجيب ضياء الدين السهروردي رحمة الله عليه: **الزهد هو ترك** حلال الدنيا والبعد عن شهواتها[١].

١١- قصص أهل الزهد ووقائعهم:

تُذكر بعض أحداث الزاهدين للنصح:

(١)- **عَنْ عَبْدِ ا□ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ا□ عَنْهُ، قَالَ:** {**اضْطَجَعَ ال□بِيُّ صَ□لَى ا□ عَلَيْهِ وَسَ□لَمَ** عَلَى حَصِيرٍ، فَأَ□رَ فِي جِلْدِهِ، فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُ□مِّي يَا رَسُولَ ا□، **لَوْ كُنْتَ آذَنْتَنَا فَفَرَشْنَا لَكَ شَيْئًا يَقِيكَ مِنْهُ. فَقَالَ رَسُولُ ا□ صَ□لَى ا□ عَلَيْهِ وَسَ□لَمَ:** "مَا أَنَا وَال□دُّنْيَا، إِ□نَمَا أَنَا وَال□دُّنْيَا كَرَاكِبٍ اسْتَظَ□لَ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُ□مَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا} [٢].

(٢)- {**قدم رسول ا□ صَ□لَى ا□ عَلَيْهِ وَسَ□لَمَ** من سفرة فدخل عَلَى فاطِمَة فرأى عَلَى باب منزلها ستر وفي يديها قلبين من فضة فرجع، فدخل عَلَيْهَا أَبو رافع وهي تبكي، فأخبرته برجوع رَسُول الله صَ□لَى الله عَلَيْهِ وسلم، فسأله أَبو رافع فقال: **من أجل** التستر والسوارين، فأرسلت بهما بلالًا إِلَى رَسُول الله صَ□لَى الله عَلَيْهِ وسلم، وقالت: قد تصدقت بهما فضعهما حَيْثُ ترى، فقال: اذهب فبعه وادفعه إِلَى أهل الصّفة، فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق بهما عَلَيْهِم، فدخل عَلَيْهَا صَ□لَى الله عَلَيْهِ **وسلم فقال:** بأبي أنت قد **أحسنت**} [٣].

١- آداب المريد للشيخ ضياء الدين السهروردي، ص:٣٦.

٢- السنن للإمام ابن ماجه، ج: ٣، رقم ا□ديث: ٩٨٩.

٣- السنن للإمام ابن ماجه، ج: ٣، رقم ا□ديث: ٨٢١.

(٣)- ذكر سيدنا علي بن المرتضى رضي الله تعالى عنه زهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الدنيا وبعده عنها أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُحقّر الدنيا ويصغّرها، وأدرك أن الله سبحانه وتعالى جعل الدنيا مفصولاً عنه، وجعلها فرشاً للآخرين. ولذا زهد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الدنيا وابتعد عنها، وأخرج الدنيا عن قلبه، وأحب أن تغيب زينة الدنيا عن ذهنه، وذهب من الدنيا جائعاً، ولكنه حفظ الآخرة سالمًا، ولم يبن بيتًا، ولم يضع حجراً على حجر، وودّع الدنيا ولبّي دعوة ربه. وقد أحسن الله تعالى علينا إحساناً عظيماً حيث جعله قائداً يتبع خطواته.

رغب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الدنيا حتى "أخرج ذكرها عن قلبه وكان يريد أن تخفي زينتها وجمالها عنه لئلا يلبس لباساً فاخراً، ولم يجعلها منزلاً له، ولم يطمع للبقاء فيه. وقد أخرج الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تصور الدنيا عن نفسه وأزاله عن قلبه وأبعد عن عينيه[1].

(٤)- يقول عمران بن حسين كان لي منزلة رفيعة عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرة، نحن نحترمك، فهل تذهب معي لعيادة فاطمة بنت محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقلت: نعم، فداك أبي وأمي يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذهبت معه إلى أن وصلنا باب بيت فاطمة، فدق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الباب وسلّم عليها واستأذن للدخول، فقالت فاطمة: تفضل، فسأل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هل ندخل أنا ومن معي؟

فسألت فاطمة من معك يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فأجابها معي عمران، فقالت فاطمة أقسم بربك الذي أرسلك بالحق ليس لي إلا رداء في يدي، فأشار

١- نهج البلاغة للسيد على بن طالب رضي الله تعالى عنه، رقم الخطبة: ١٦٠.

رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده أن تغطّي بدنها به، فقالت فاطمة غطيت جسمي، ولكن كيف أغطى رأسي، فكان عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إزاراً قديماً فألقاه إليها قائلاً تغطي رأسك به، فأذنت فاطمة للدخول.

فدخل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسأل حالها. فقالت فاطمة رضي الله تعالى عنها: والله إنني جائعة وليس لي ما آكل، أزعجني الجوع. فحزن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما سمع كلامها، وقال! بنتي لا تحزن والله أنني ما أكلت منذ ثلاثة أيام رغم أنني مكرم عند الله تعالى. ولو سألت الله طعاماً لأطعمني، ولكني فضّلت الآخرة عن الدنيا، ثم وضع يده على كتف فاطمة رضي الله تعالى عنها: وقال هنيئا لك أنك سيدة نساء أهل الجنة.

فسألت فاطمة ما درجه امرأة فرعون آسية عليها السلام وبنت عمران مريم عليهما السلام. فقال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تكون آسية سيدة نساء زمانه ومريم سيدة نساء زمانه، وتسكنين في جنة مصنوعة من ياقوت لا أذى فيها ولا لغو فيها[1].

(٥)- يقول رافع بن أبي رافع مبيناً زهد أبي بكر رضي الله تعالى عنه أن عنده لباساً من غنائم فدك، وقد ألصق أطرافه فيما بينها بأشواك، وكان يستعمل هذا اللباس، حينما حضر الموت قال لبنته عائشة رضي الله تعالى عنها اغسَلي هذا الثوب بعد موتي واجعلي ردائين آخرين معه كفناً لي، فقالت عائشة يكون هذا الرداء البالي كفناً لك؟ فأجاب أبو بكر رضي الله تعالى عنه إن الأحياء أحق للباس الجديد من الأموات[2].

(٦)- كانت حالة زهد سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه حينما انهزم جيش المسيحيين فاشترطوا أن يحضر خليفة المسلمين بنفسه للصلح، فقبل عمر الشرط، ولما وصل

١- إحياء العلوم للإمام الغزالي، ج: ٤، ص: ٣٠١.

٢- إزالة الخفاء للشاه ولي الله الدهلوي، ج:٣، ص: ٨٣.

إلى قلعة جيوش المسلمين، وقد لبس قميصاً فيه رقاع عديدة، فطلب قائد جيش ا□سلم□ أن **لا يدخل** بيت المقدس بهذا اللباس البالي؛ لأن هذا حدث تاريخي، وأن يحسّن هيئة المركب أيضاً، لوجود أناس كبار. **قال عمر: اسمعوا نحن كنا أذل قوم** في الدنيا فأعزّنا الله بالإسلام فلا نطلب العز إلا في الإسلام(١).

(٧)- من مظاهر الزهد عند عمر رضي الله تعالى عنه **أنه كان يلبس الصوف** بعد الخلافة **وفيه رقاع**. وكان يجمع الخيوط ونواة التمور ويلقيها إلى بيوت الناس ليستفيدوا **منها**(٢).

(٨)- **كان عمر** رضي الله تعالى عنه يختار البساطة في طعامه. **يقول عبد ا□ بن عمر** رضي الله تعالى عنه، {**قَالَ**: دَخَلَ عَلَيْهِ عُمَرُ وَهُوَ عَلَى مَائِدَتِهِ، **فَأَوْسَعَ لَهُ عَنْ صَدْرِ ا□جْلِسِ، فَقَالَ**: **بِسْمِ ا□**، ثُ□مَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ فَلَقِمَ لُقْمَةً، ثُمَّ ثَنَّى بِأُخْرَى، **ثُمَّ قَالَ**: إ□نِّي **لَأَجِدُ طَعْمَ دَسِمٍ مَا هُوَ بِدَسَمِ اللَّحْمِ، فَقَالَ عَبْدُ ا□**: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إ□نِّي خَرَجْتُ إِلَى ال□سُّوقِ أَطْلُبُ ال□سَّمِينَ لِأَشْتَرِيَهُ فَوَجَدْتُهُ غَالِيًا، فَاشْتَرَيْتُ بِدِرْهَمٍ مِنَ **الْمَهْزُولِ** وَحَمَلْتُ عَلَيْهِ بِدِرْهَمٍ سَمْنًا، فَأَرَدْتُ أَنْ يَتَرَ□دَّدَ عِيَالِي عَظْمًا عَظْمًا، **فَقَالَ عُمَرُ**: "**مَا اجْتَمَعَا عِنْدَ رَسُولِ ا□ صَلَّى ا□ُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطُّ**، إ□لَّا أَكَلَ أَحَدَهُمَا، وَتَصَ□دَّقَ **بِالْآخَرِ**"، **قَالَ عَبْدُ ا□**: خُذْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَنْ يَجْتَمِعَا عِنْدِي، إ□**لَّا فَعَلْتُ ذَلِكَ، قَالَ**: "**مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ**"}(٣).

(٩)- **يقول خباب بن أرت** رضي الله تعالى عنه **هاجرنا مع النبي** صلى الله تعالى عليه **وسلم لرضاء ا□** تعالى فأجرنا على الله، فمنا من مات بدون أن يأخذ أجره، وكان

١- تاريخ ابن خلدون للعلامة عبد الرحمن بن خلدون، ج:٢، ص: ٢٧٠- ٢٧١.

٢- إزالة الخفاء للشاه ولي الله الدهلوي، ج:٤، ص: ٦٥.

٣- السنن للإمام ابن ماجه، ج: ٣، رقم ا□ديث: ٢٤٢.

مصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه من هؤلاء. استشهد في غزوة أحد، وترك رداًء إذا غطّينا رأسه تظهر رجليه وإذا غطينا رجليه يظهر رأسه، **فأمر رسول ا** صلى الله تعالى عليه وسلم أن نغطي رأسه فنضع في رجله الإزخر[1].

(١٠)- حضر حاكم حمص عمير بن سعد إلى عمر رضي الله تعالى عنه **سأله عمر ماذا** عندك من الدنيا؟ أجاب عمير بن سعد عندي **العصا التي أتوكأ عليها، وإن رأيت** الحية فأقتل بها، وعندي إناء من **جلد أضع فيه الطعام، وعندي كوب آكل فيه** وأشرب به وأغسل رأسي وثيابي به، وعندي قلة ماء للشرب والوضوء فقال عمر رضي الله تعالى عنه صدقت يرحمك الله[2].

(١١)- كتب عمر لأهل الحمص أن يكتبوا أسماء المساكين فأرسلوا بعض الأسماء في رسالة وفيهم اسم عمير بن سعد، سأل عمر من عمير؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين هو **حاكمنا**. فسأل هل هو فقير؟ أجاب أهل حمص ليس فينا من هو أفقر من عمير، سأل ماذا يفعل براتبه؟ قيل له أنه ينفق كلها في سبيل الله، ولا يترك شيئًا لأهله.

(١٢)- **أرسل سيدنا عمر** رضي الله تعالى عنه أربعمائة ديناراً له وقال هذا أنفقها على نفسك وعلى أهلك. حينما وصل المال إليه ذهب إلى زوجته باكيًا فسألته زوجته ماذا حدث؟ هل توفي الخليفة؟ **فقال**: لا بل المصيبة أعظم منها؟ جاء إليّ متاع الدنيا **وال**ال. أخيرا خرج من البيت بعد المشورة بزوجته فوجد جيش المسلمين ذاهباً إلى الجهاد فوزّع بينهم سوّياً ورجع إلى بيته ولم يترك لأهل بيته شيئاً[3].

(١٣)- قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي

١- إزالة الخفاء للشاه ولي الله الدهلوي، ج:٤، ص: ٦٥.

٢- المرجع السابق، ج:٤، ص: ٦٥.

٣- قوت القلوب لأبي طالب محمد بن عطية حارثي المكي، ج: ١، ص: ٩٢٧.

قارو هو يخصف نعله، فقال لي: ما قيمه هذا النعل؟ فقلت: لا قيمه له. فقال عليه السلام: و الله لهي احب الي من امرتكم، الا ان اقيم حقا، او ادفع باطلا(١).

{يقول سيدنا علي رضي الله تعالى عنه إن الدنيا لا تساوي عندي قدر ورقة في فم الجراد وهي تمضغها. وما علاقة علي رضي الله تعالى عنه بنعم زائلة ولذات فانية}(٢).

(١٤)- أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ يَقُولُ: {اللَّهِ الذي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو القَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا هِرٍّ قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الحَقْ وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ، فَدَخَلَ، فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلَ، فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟ قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلاَنٌ أَوْ فُلاَنَةُ، قَالَ: "أَبَا هِرٍّ" قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الإِسْلاَمِ، لاَ يَأْوُونَ إِلَى أَهْلٍ وَلاَ مَالٍ وَلاَ عَلَى أَحَدٍ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فَسَاءَنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ، كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذَا جَاءَ أَمَرَنِي، فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ

١- نهج البلاغة للسيد على بن طالب رضي الله تعالى عنه، رقم الخطبة: ٣٣.

٢- المرجع السابق، رقم الخطبة: ٢٢١.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا، فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ البَيْتِ، قَالَ: **يَا أَبَا هِرٍّ قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: خُذْ فَأَعْطِهِمْ قَالَ**: فَأَخَذْتُ القَدَحَ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ رَوِيَ القَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ القَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ، فَقَالَ: **أَبَا هِرٍّ قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: اقْعُدْ** فَاشْرَبْ فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: اشْرَبْ فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: اشْرَبْ حَتَّى قُلْتُ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا، قَالَ: **فَأَرِنِي** فَأَعْطَيْتُهُ القَدَحَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَسَمَّى وَشَرِبَ الفَضْلَةَ}(1).

***

١- الصحيح للإمام البخاري، ج: ٣، رقم الحديث: ١٣٩٩.

٤

مقام الصبر



١ - **مفهوم الصبر:**

(١)- الصبر لغة المنع والامتناع. وفي الاصطلاح هو جعل النفس تابعاً للحدود الشرعية. فالصبر هو ضبط النفس بإطاعة الله تعالى وصدها عن محرمات الشرع.

(٢)- وللصبر مفهومان: **الأول**: هو الصبر على المشاكل بدون اليأس والقنوط وبدون الجزع والفزع. والثاني: القيام بالقسط. فباعتبار المعنى الأول هو جزء من المواقف الدينية، وباعتبار المعنى الثاني هو عبارة عن الجهد للقيام على الدين.

(٣)- يُستعمل الصبر مقابل مفهوم الشكر. وهما وجهان لعملة واحدة. الشكر هو الاستمرار على الأعمال الصالحة، والابتعاد عن الكبر وغيره في الرخاء. والصبر هو الاستقامة على الحق والتجنب عن اليأس وسوء الظن في الشدائد.

(٤)- الصبر هو عبارة عن الاستقامة على المشاكل، ولكن يجب الصبر على الصعوبات كما يجب الصبر على النعم؛ لأن النعم أحياناً تكون سبباً للغفلة والطغيان والكبر، مثلما تكون الصعوبات والمشاكل سبباً للابتعاد عن الحق. قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[1].

(٥)- هناك قوتان في البشر إحداهما تحثه على الدين والأعمال الصالحة، والأخرى تزّين له الأهواء النفسية. والصبر هو تغليب القوات المرغبة إلى الخيرات على القوات المغْرية على الشر. وقد ثبت من التجربة أن الإنسان يحس بالقلق أثناء العبادة مثلما يكون قلقاً أثناء المصيبة. فظهر من هذا أن علاقة الصبر بالمصيبة والعبادة سواء.

١- سورة هود، الآية: ٩ - ١١.

فالصبر في المصيبة أن لا يُجزع، والصبر في العبادة هو أن لا يهتم بالقلق النفسي ويستمر في العبادة.

(٦)- الجزء الكبير من الدين قائم على الصبر. إن لم توجد في الإنسان هذه الصفة يمكن أن ين□حيه طمع ما أو ترغيب ما أو ابتلاء عن الحق، ويُخضعه أمام الباطل. الذي يريد أن يسلك في طريق الصدق، ويريد الاستقامة عليه فعليه أن يتصف بالصبر؛ لأنه سيواجه المخالفة في كل لحظة وفي كل خطوة. والسلاح ا□قيقي □واجهة هذه العراقيل هو الصبر. حسب فلسفة الدين أن الدين عبارة عن شيئ□: نصفه شكر والنصف الآخر صبر. ولكن الذي ليس عنده صبر فلا يؤدي حق الشكر.

(٧)- ليس الدعاء والتضرع إلى الله منافٍ للصبر، بل هو أمر طبيعي وغير اختياري، ولا مؤاخذة عليه. الجزع والفزع والبكاء والعويل في المصيبة من أعمال الجاهلية الممنوعة في الإسلام. والحزن ليس خلاف الصبر بل هو فطرة بشرية.

(i)- ابيّضت عينَي يعقوب عليه السلام في الدعاء والتضرع من حزن فراق يوسف عليه السلام، وقال: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

(ii)- أطلق الله تعالى على أيوب عليه السلام "صابر" مع أنه دعا للشفاء من ا□رض.

(iii)- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ ا□ رَضِيَ ا□ عَنْهُ، قَالَ: {أَخَذَ النَّبِي صَلَى ا□ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ فَوَجَدَهُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَأَخَذَهُ النَّبِي صَلَى ا□ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَهُ فِي حِجْرِهِ فَبَكَى، فَقَالَ

١- سورة يوسف، الآية: ٥٦.

لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَتَبْكِي، أَوَلَمْ تَكُنْ نَهَيْتَ عَنِ الْبُكَاءِ، قَالَ: "لا، وَلَكِنْ نَهَيْتُ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ فَاجِرَيْنِ: صَوْتٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ، خَمْشِ وُجُوهٍ، وَشَقِّ جُيُوبٍ، وَرَنَّةِ شَيْطَانٍ} [1].

(iv)- كان سلطان العارفين السيد سخي سلطان باهو رحمة الله عليه يبكي جوعًا، فسأله الناس لماذا تبكي؟ فأجابهم أن الله جعلني جوعانًا لأبكى، وقال أن الكيفيات الطارئة على جسم الإنسان التي ليست في اختياره لا تنافي الصبر[2].

(٨)- من معاني الصبر الاستقامة والصمود. على الإنسان أن يصبر في فكره وعلمه رغم قساوة الأحوال، وأن لا يتزعزع إيمانه وأعماله، وأن لا يترك مقامه وإن كانت الرياح تجري ضدّه، وفي حالة السراء والضراء، وفي العسر واليسر، وأن يتمسك بعقيدته وفكره باستقامة ورضاء. وهذا مقام أعلى من التحمل. والمراد من التحمل هو قبول العسر، ولكن الاستقامة هي الصمود في مكان، وإذا تحوّل من مقامه فهو يتحوّل للتقدم إلى الأمام، وإلا هو قائم في مكانه مثل جبل شامخ، وهذا أيضاً مقام الصبر.

٢- **الصبر في ضوء القرآن الكريم:**

ذكر الله تعالى الصبر في القرآن الكريم عدة مرات، وفيما يلي تُذكر بعض تلك الآيات التي أمر الله تعالى فيها بالصبر أو ذكر درجات الصابرين:

(١)- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[3].

أخبرت الآية الكريمة عن الحقائق الآتية:

١- الجامع للإمام الترمذي، ج: ١، رقم الحديث: ١٠٠١.

٢- التصوف والتصورات للصوفياء للأستاذ الدكتور أحمد صديقي، ص: ٣٦٨.

٣- سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

(i)- أن الصبر لازم للمؤمنين.

(ii)- ستأتي المشاكل والعسر أثناء السير في سبيل الله، يجب مواجهة المشاكل بالصبر بدون اليأس والقنوط.

(iii)- يجب الاستمرار في السعي للحق بكل استقامة وصمود بدون الجزع والفزع.

(iv)- يجب الصبر خالصاً لوجهه تعالى وُيطلب رضاؤه في الصبر كما يجب الدعاء لتوفيق الصبر وقبول الصبر.

(v)- عاقبة الصبر هي الفوز في الدنيا والآخرة.

(٢)- ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[١].

يقول الله تعالى في هذه الآية أن:

(i)- يأمر الله تعالى بالصبر والاستقامة على الطاعة وأن لا يفزع من المشاكل.

(ii)- واعلموا أن الله مع الصابرين، ُيعينهم ويكشف ضرهم، ويوفقهم لمزيد من الصبر.

(٣)- ﴿وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[٢].

أمرت الآية بالصبر ووّضحت أن الصبر حسنة، ولكل حسنة أجر، وأنه يجزي على الصبر أيضاً، وأجر الصبر هو نصر الله والفلاح في الدارين.

(٤)- ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾[٣].

١- سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

٢- سورة هود، الآية: ١١٥.

٣- سورة النحل، الآية: ١٢٧.

في هذه الآية أربعة أصول:

(i)- لا بد من الصبر في سعي الحياة والجد في الدين.

(ii)- الصبر منحة ربانية، وهذا يكون بتوفيق الله، ولذا ينبغي الدعاء للصبر كما ينبغي الشكر حينما يُعطي الصبر.

(iii)- علينا أن لا نحزن على المصائب التي أتت في الماضي وأن نشكر على ما أعطانا الله وأن لا نيأس على ما فات.

(iv)- ينبغي أن لا نتضايق على مكر الماكرين، بل يجب أن نواجهه بالحكمة والصبر، وأن ندعو الله تعالى للنصر.

(5)- ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴾[1].

توجد في الآية المباركة النقاط التالية:

(i)- علينا أن نتحمل مشاكل الحياة وإيذاء الأعداء لا سيما الكلام العبث بالصبر والهمة.

(ii)- يجب الشكر لله دائمًا؛ لأن الصبر أيضًا من الله ولذا يجب الشكر له، وبالشكر تُزاد النعم.

(iii)- الشكر طريقة من طُرق التسبيح، وليس هناك وقت معين للتسبيح، وجميع الأوقات لله فينبغي التسبيح والشكر له قبل طلوع الفجر وقبل غروبها كما ينبغي الشكر في نهاية النهار بأنه مضى بخير كذلك في الليل يشكر له ويسبح له. ما أحسن قول الشاعر:

١- سورة طه، الآية: ١٣٠.

ں لمحے کا کیا حساب دوں
گزر گیا

(كيف أعطي حساب وقت مضى بدونك)

يقول سلطان باهو رحمة الله عليه في هذا الصدد:

جو دم غافل، سو دم کافر سانوں مرشد ایہہ پڑھایا ہو
سنیاں سخن گئیاں کھل اکھیں اساں چت مولے ول لایا ہو
ن جان حوالے رب دے اساں ایساں عشق کمایا ہو
رن کھیں مر گئے لگے (حضرت باہو) اساں تاں مطلب پایا ہو(١)

(يقول سلطان باهو رحمة الله عليه أن مرشدنا الأزلي محمداً رسول الله علّمنا أن كل نَفس إنسان يخرج بغير ذكر الله تعالى في الغفلة فهو يكون كافراً في تلك الساعة، حينما سمعنا كلام مربينا وتفتّحت عين الغفلة وجعلنا وجهنا اه ربنا في الذكر، وبذلنا جهوداً مضنية حتى فدينا أنفسنا، أوصلنا ذكْرنا إلى الكمال ووصلنا بالذكر إلى مرتبة الفناء، ومتنا قبل الموت، حصلنا هدفنا ووصلنا إلى مقصودنا سا).

(iv)- إذا صبرنا ثم سبّحنا الله سبحانه وتعالى شكرًا له فنحصل على مقام الرضا. أنت راضٍ عن الله وهو يرضى عنك، فتفرح على الصبر والشكر، ود نفساً مطمئنة، وهي التي يقال لها ح الوت: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾(٢).

١- أنوار سلطاني، للشيخ سلطان باهو، ص: ٤٣.

٢- سورة الفجر، الآية: ٢٧ - ٣٠.

(٦)- ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾[١].

في هذه الآية ثلاثة أمور واضحة:

(i)- يجب الصبر وهو أسوة الأنبياء.

(ii)- وعد الله تعالى على الصبر بالأجر العظيم ووعده حق وتحققه حتمي.

(iii)- ينتهي ضعف الحياة بالصبر، وبه تأتي قوة واستقامة، تغلب طاقة الصبر على الأعداء ويزداد الرعب عليهم.

(٧)- ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾[٢].

في هذه الآية نصح لقمان **عليه السلام** ابنه **بثلاثة أشياء:**

(i)- يجب أن نقيم الصلوة ونأمر بها الآخرين.

(ii)- يجب الأمر بالمعروف والنهي عن **المنكر**.

(iii)- يجب الصبر على المصائب والمشاكل.

(iv)- ووضحت أن هذه الأمور الثلاثة عظيمة، وهي من عزم الأمور، **وكل** من يريد سلوك طريق العظمة، فعليه أن يقوم بها، وهي لب الحياة **المثالية**.

(٨)- ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾[٣].

١- سورة الروم، الآية: ٦٠.

٢- سورة لقمٰن، الآية: ١٧.

٣- سورة الغافر، الآية: ٥٥.

اتضح من الآية أن:

(i)- الصبر حكم الله تعالى.

(ii)- وعد الله على الصبر حق، وبالصبر يأتي نصر الله والفلاح والعظمة.

(iii)- الندامة والاستغفار على التقصير واجب على الإنسان مع الصبر.

(iv)- الحمد والتسبيح أيضاً واجب مع اليقين على الوعد بالصبر والاستغفار على ما وفقه للصبر وأعطاه النعم ووفقه للاستغفار، فيجب الشكر والتسبيح له على هذه النعم.

(٩)- ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرًا جَمِيلًا﴾[١].

إن الله تعالى أمر في هذه الآية بالصبر، ولكن ما نوع الصبر؟ على الإنسان أن يصبر صبراً جميلاً، منّزها عن النقص، يكون فيه حسناً وجمالاً ووجاهة. على الإنسان أن لا يتعب من الصبر، وأن لا يفزع وأن لا يشكو.

(١٠)- ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾[٢].

أجابت الآية عن سؤال لماذا الصبر؟ لازدياد المال؟ للمدح الدنيوي أو للتفاخر؟ إنما الصبر يكون لرضاء الرب فقط. وكل عمل يكون للرياء فهو غير مقبول عند الله. والشرط الأول لقبول الأعمال هو الإخلاص.

(١١)- ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾[٣].

١- سورة المعارج، الآية: ٥.

٢- سورة المدثر، الآية: ٧.

٣- سورة الرعد، الآية: ٢٢.

بيّنت الآية أربع صفات لأصحاب الجنة:

(i)- إنهم يصبرون فقط لرضاء الله تعالى.

(ii)- إنهم يقيمون الصلاة بأنفسهم ويأمرون الآخرين بالصلوة.

(iii)- إنهم ينفقون أموالهم لله على المستحقين سرّاً وعلانيةً.

(iv)- إنهم لا يردون السيئة بالسيئة بل يردون السيئة بالحسنة، وأنهم يعطون من حرموا، ويوصلون من قطعوا، وأنهم على خُلق عظيم.

(v)- يستحق هؤلاء الذين يصبرون وينفقون في سبيل الله ويقيمون الصلوة ويدرأون بالحسنة السيئة أولئك يسكنون الجنة أبداً، ولا تسلب عنهم نعمة الجنة بل هي جزاء هذه الأعمال الحسنة، والخصال الأربعة.

(١٢)- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾[١].

أجر الصبر عظيم جداً، وثوابه الجنة وغرفها، ليست الجنة فقط بل تتصافح الملائكة بهم ويدعون لهم ويقدّمون السلام عليهم وأنهم يسكنون فيها أبداً.

(١٣)- ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا﴾[٢].

جزاء الصبر عظيم. الذين تركوا الطمع في الدنيا وأنفقوا في سبيل الله، وصبروا على الفقر واستقاموا على البر، يجزيهم الله تعالى في الحياة الأخروية، ويعطيهم حياة طيبة ويمنحهم قصورا وجنات ولباسا حريريا.

(١٤)- ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[٣].

١- سورة الفرقان، الآية: ٧٥ - ٧٦.

٢- سورة الدهر، الآية: ١٢.

٣- سورة الزمر، الآية: ١٠.

جزاء الصبر في الدنيا والآخرة هو الأجر والثواب بغير حساب.

(١٥)- ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾[١].

بيّن الله تعالى في هذه الآية أموراً منها:

(i)- هناك وسيلتان أساسياتان لحصول نصرة الله هما: الصبر والصلوة.

(ii)- علينا أن نستعين الله تعالى بالصبر والصلوة.

(iii)- إن الله ينصر الصابرين.

(iv)- علينا أن ندعو الله تعالى في العسر.

(v)- لا يمكن الصبر إلا بتوفيق الله.

(vi)- خير وسيلة للتوفيق هي الصلاة.

(vii)- الصبر على المصائب والصلاة كبيرة وصعبة إلا على الخاشعين.

(١٦)- ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٢].

وضّحت الآية المذكورة النقاط التالية عند ذكر البلايا والامتحان:

(i)- إن الله يبتلي المؤمنين

(ii)- الإيمان شرط للابتلاء

(iii)- الابتلاء ضروري لحصول الجنة

(iv)- الابتلاء قد يكون بنقص في المال وموت الأحبة ونقص في الرزق وغيرها.

(v)- للصابرين بشارة من الله تعالى.

١- سورة البقرة، الآية: ٤٥.

٢- سورة البقرة، الآية: ١٥٥.

(vi)- النصرة من الله تعالى يقينية بعد الاستقامة في الابتلاء.

(vii)- ينبغي أن نقول عند المصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون.

(viii)- إن المصائب لا تكون عذاباً بل هي ابتلاء.

(ix)- ابتلاء المؤمن لا يكون لتذليله بل هي لإيقاظ كفاءاته الخفية ولإثارة استعداده النائم.

(x)- الصبر على المصائب والابتلاء يكون سبباً لزيادة الدرجات في الآخرة.

(xi)- علينا أن نتحمل المصائب بالصبر للفوز في الدنيا والآخرة.

(١٧)- ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[1].

النقص في المال والأنفس يكون سبباً للتوتر والاضطراب. قدّمت الآية نصيحة للمؤمنين ولقّنت بالصبر وصرّحت بأن:

(i)- لا بد من ابتلاء المسلمين في المال والأنفس.

(ii)- يتحمل المسلمون صعوبات ومشاكل كبيرة.

(iii)- لا بد من أذى الكفار رغم تضحية المسلمين بالمال والأنفس.

(iv)- الصبر على المصائب والتجنب من الذنوب من عزم الأمور.

(v)- يُبتلى المؤمنون لتكون حياتهم أسوة للآخرين.

(vi)- مقصود الابتلاء هو أن يقدم المؤمن التضحية لإعلاء الدين ونصيحة الناس.

(vii)- الصبر والتقوىٰ من عزائم الأمور.

١- سورة آل عمران، الآية: ١٨٦.

(viii)- أصحاب العزيمة والصابرون هم المفلحون في الدنيا والآخرة.

(١٨)- ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[١].

صرّحت الآية أن الله يحب الذين يستقيمون ويصبرون على المصائب، وحب الله تعالى فلاح عظيم ينبغي أن نسعى لحصوله.

(١٩)- ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾[٢].

قدّمت الآية درسا من الخُلق النبيلة ووضّحت أن الدنيا دار خير وشر، ويمكن **مواجهة الصا□□ للطا□□، إذا واجه الصا□ون الاساء من قبل ا□فسدين فلا** ينتقمون بل يصبرون ويعفون، وإن لم يكونوا في هذه المرتبة العليا من الأخلاق فعليهم أن لا يظلموا أحداً.

(٢٠)- ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[٣].

بيّنت الآية أن هناك مرحلة شاقة تأتي في طريق المؤمنين أنهم يواجهون السخرية أثناء أدائهم الفرائض الدينية وتمسكهم بالدين والإيمان من قبل الجهلاء أو يُظلمون، فبعضهم يتركون الصبر وييأسون. لكن المحظوظين والسعداء منهم يتحملون المصائب بالصبر، فيجزيهم الله تعالى جزاءً حسناً، ويرزقهم الفلاح. علاوة على ذلك أن الله يجزي الصابرين بهذا الجزاء، أي يرضى الله عنهم ويكون لهم الفوز والفلاح.

٣- **الصبر في الأحاديث النبوية:**

بُيّنت أهمية الصبر في الأحاديث النبوية بهذا الطريق:

١- سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

٢- سورة النحل، الآية: ١٢٦.

٣- سورة المؤمنون، الآية: ١١١.

(١)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، {أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: "مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ، إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ، إِلَّا الْجَنَّةُ"} (١).

(٢)- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، {أَنَّ أُنَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَسْأَلْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا أَعْطَاهُ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ نَفِدَ كُلُّ شَيْءٍ: "أَنْفَقَ بِيَدَيْهِ مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ لَا أَدَّخِرْهُ عَنْكُمْ، وَإِنَّهُ مَنْ يَسْتَعِفَّ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَلَنْ تُعْطَوْا عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ"} (٢).

(٣)- عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ} (٣).

(٤)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، {رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "مَنْ أَذْهَبْتُ حَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ لَمْ أَرْضَ لَهُ ثَوَابًا دُونَ الْجَنَّةِ"} (٤).

(٥)- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، {أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ} (٥).

١- الصحيح للإمام البخاري، ج: ٣، رقم الحديث: ١٣٧٢.

٢- المرجع السابق، ج: ٣، رقم الحديث: ١٤١٧.

٣- الصحيح للإمام مسلم، ج: ٣، رقم الحديث: ٢٩٩٩.

٤- الجامع للإمام الترمذي، ج: ٢، رقم الحديث: ٢٩٤.

٥- السنن للإمام ابن ماجه، ج: ٣، رقم الحديث: ١٠٦٦.

(٦)- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ} (١).

(٧)- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟، قَالَ: الصَّبْرُ وَالسَّمَاحَةُ} (٢).

(٨)- {سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الإِيمَانِ، قَالَ: الصَّبْرُ وَالسَّمَاحَةُ} (٣).

(٩)- عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّم، فَقُلْتُ: وَمَا الإِسْلَامُ؟، قَالَ: طِيبُ الْكَلَامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ قَالَ: قُلْتُ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: الصَّبْرُ وَالسَّمَاحَةُ} (٤).

(١٠)- {عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: "مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِامْرَأَةٍ عِنْدَ قَبْرٍ وَهِيَ تَبْكِي، فَقَالَ: اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي"} (٥).

(١١)- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى"} (٦).

(١٢)- عَنْ أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: {قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْأَنْصَارِ: "إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي، وَمَوْعِدُكُمُ الْحَوْضُ"} (٧).

١- السنن للإمام ابن ماجه، ج: ٣، رقم الحديث: ٩١٢.
٢- مجمع الزوائد، رقم الحديث: ١٩٨.
٣- كنزالعمال في سنن الأقوال و الأفعال للإمام على متقى بن حسام الدين، ج: ١، رقم الحديث: ١٣٨٩.
٤- المشكاة المصابيح، ج:١، رقم الحديث: ٤٢.
٥- الصحيح للإمام البخاري، ج:١، رقم الحديث: ١١٩٩.
٦- السنن للإمام النسائي، ج:١، رقم الحديث: ١٨٤٧.
٧- الصحيح للإمام البخاري، ج:٢، رقم الحديث: ١٠٢٩.

(١٣)- عَنْ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ "أَلا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟، قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ لِي، قَالَ: إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ، فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي أَنْ لا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا"}[1].

(١٤)- عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ أَوْ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَالصَّلاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا"}[2].

(١٥)- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ: ابْنَ آدَمَ إِنْ صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى، لَمْ أَرْضَ لَكَ ثَوَابًا دُونَ الْجَنَّةِ"}[3].

(١٦)- عَنْ أَبِي النَّضْرِ السَّلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "لا يَمُوتُ لأَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ثَلاثَةٌ مِنْ الْوَلَدِ فَيَحْتَسِبُهُمْ إِلا كَانُوا لَهُ جُنَّةً مِنَ النَّارِ". فَقَالَتْ امْرَأَةٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا رَسُولَ اللهِ أَوْ اثْنَانِ؟ قَالَ: "أَوْ اثْنَانِ"}[4].

١- الصحيح للإمام البخاري، ج:٣، رقم الحديث: ٦٢٩.

٢- الصحيح للإمام مسلم، ج:١، رقم الحديث: ٥٣٤.

٣- السنن للإمام ابن ماجه، ج:١، رقم الحديث: ١٥٩٧.

٤- المؤطأ للإمام مالك، ج:١، رقم الحديث:٤٩٦.

(١٧)- عَنْ خَبَّاب بْن الْأَرَتّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا: لَهُ أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا، قَالَ: "كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ} (١).

(١٨)- عَنْ أُسَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ جَاءَهُ رَسُولُ إِحْدَى بَنَاتِهِ، وَعِنْدَهُ سَعْدٌ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَمُعَاذٌ: أَنَّ ابْنَهَا يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا: "لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلِلَّهِ مَا أَعْطَى كُلٌّ بِأَجَلٍ، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ} (٢).

(١٩)- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً} (٣).

(٢٠)- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللهَ لَا يَرْضَى لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ إِذَا ذَهَبَ بِصَفِيِّهِ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ، وَقَالَ: مَا أُمِرَ بِهِ بِثَوَابٍ دُونَ الْجَنَّةِ"} (٤).

(٢١)- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنِ ابْتُلِيَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَنَاتِ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ} (٥).

(٢٢)- عَنْ أَبُو كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: {ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ، قَالَ: "مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ

١- الصحيح للإمام البخاري، ج: ٢، رقم الحديث: ٨٦٣.
٢- المرجع السابق، ج:٣، رقم الحديث: ١٥٤١.
٣- المرجع السابق، ج:٣، رقم الحديث: ١٩٧٦.
٤- السنن للإمام النسائي، ج:١، رقم الحديث: ١٨٧٦.
٥- الجامع للإمام الترمذي، ج:١، رقم الحديث: ١٩٩٨.

مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا". وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ، قَالَ: إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ} (١).

(٢٣)- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ أَغْبَطَ أَوْلِيَائِي عِنْدِي لَمُؤْمِنٌ خَفِيفُ الْحَاذِ ذُو حَظٍّ مِنَ الصَّلَاةِ أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَأَطَاعَهُ فِي السِّرِّ وَكَانَ غَامِضًا فِي النَّاسِ لَا يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافًا فَصَبَرَ عَلَى ذَلِكَ} (٢).

(٢٤)- عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنَعَ} (٣).

(٢٥)- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: {كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا غُلَامُ أَوْ يَا غُلَيِّمُ أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِنَّ فَقُلْتُ بَلَى فَقَالَ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ وَإِذَا سَأَلْتَ

١- الجامع للإمام الترمذي، ج: ٢، رقم الحديث: ٢١١. (جاء في بعض الأحاديث يؤجر على نيته الحسنة ولكن لا يكون ذنباً بإرادة السيئة، والسيئة تكون بعد ارتكابها).

٢- الجامع للإمام الترمذي، ج: ٢، رقم الحديث: ٢٣٣.

٣- المرجع السابق، ج:٢،رقم الحديث: ٢٣٦.

فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله قد جف القلم بما هو كائن فلو أن الخلق كلهم جميعا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا}(١).

(٢٦)- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، {عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله قالوا الله ورسوله أعلم قال أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء والمهاجرون الذين تسد بهم الثغور ويتقى بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء فيقول الله عز وجل لمن يشاء من ملائكته ائتوهم فحيوهم فتقول الملائكة نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم قال إنهم كانوا عبادا يعبدوني لا يشركون بي شيئا وتسد بهم الثغور ويتقى بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء قال فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار}(٢).

(٢٧)- {أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله عز وجل إذا أحب قوما ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع}(٣).

(٢٨)- عن أبي موسى رضي الله عنه، {عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ليس أحد أو ليس شيء أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم ليدعون له ولدا وإنه ليعافيهم ويرزقهم}(٤).

١- المسند للإمام أحمد، ج:٢، رقم الحديث: ٩٢٦.
٢- المرجع السابق، ج:٣، رقم الحديث: ٢٠٦٧.
٣- المرجع السابق، ج: ٩، رقم الحديث: ٣٥٩١.
٤- الصحيح للإمام البخاري، ج:٣، رقم الحديث: ١٠٥٢.

(٢٩)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، {عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ شُحٌّ هَالِعٌ وَجُبْنٌ خَالِعٌ}[1].

(٣٠)- {ثلاث من كنوز البر: "كتمان الشكوى، وكتمان المصيبة، وكتمان الصدقة}[2].

٤- **أقسام الصبر:**

هناك أنواع عديدة للصبر، وهي:

(١)- الصبر على العمل: هو أن يعوّد الإنسان نفسه على الخير ويستقيم عليه مثل المواظبة على الصلاة، وأداء الزكاة والصدقة وغيرها.

(٢)- الصبر في العمل: هو أن تُصد النفس عند العمل عن الأعمال الأخرى، وتُؤدى الأعمال والطاعات مراعياً آدابها وحقوقها بكل اطمينان وتركيز. فكما يكون العبد مشغولاً بالصلاة أو بالذكر فعليه أن يشتغل بهذا العمل بجسمه وروحه ولا يشتغل بأمور أخرى.

(٣)- الصبر عن العمل: هو الاجتناب عما نهى الله تعالى وما منعت الشريعة عنها والاجتناب عن الذنوب والشهوات النفسية والغيبية والسرقة وغيرها.

٥- **أنواع الصبر من حيث حكم الصبر:**

الصبر ينقسم باعتبار الحكم إلى أربعة أقسام:

(١)- **الفرض**: الصبر عن المحرمات الشرعية فرض، مثل شرب الخمر، تميل طبيعة الإنسان إليه فيصبر عن شربه، وهذا الصبر فرض.

(٢)- **المستحب**: الصبر المستحب هو ترك الأشياء غير المحرمة.

١- المسند للإمام أحمد، ج:٤، رقم الحديث: ٨٤٧.

٢- كنزالعمال في سنن الأقوال والأفعال للإمام على متقى بن حسام الدين، ج:٢، رقم الحديث: ١٣٩٣.

(٣)- المكروه: الصبر المكروه هو أن يصبر الإنسان على المشقة والكلفة التي تصل إليه من المكروه الشرعي.

(٤)- الحرام: هو السكوت على المصائب والمشقات التي تصل إليه من الأشياء المحرمة مثلا لو قطعت يد رجل أو يد ابنه ظلما فسكت، هذا الصبر حرام، وكذلك السكوت على الذي يتعدى أو يريد الظلم على الأهل حرام في الشريعة. ومثل هذا الصبر حرام قطعي.

٦- أقسام الصابرين:

هناك ثلاثة أقسام للصابرين:

(١)- المتصبّر: هو الذي يتكلّف في الصبر. المتصبر يصبر لله تعالى، فهو يصبر أحياناً ويعجز أحياناً فيشتكي.

(٢)- الصابر: هو الذي يصبر حقًّا، وعلامته أنه يصبر لله، ولا يُظهر غمه وهمه ومشاكله، ولكنه يتوقع منه أن يستغيث كما قال ذو النون المصري ذهبت إلى صوفي في حالة المرض فصرخ أثناء الكلام، فقلت: إن هذا الشخص ليس صادقًا في صبره؛ لأنه لم يصبر في المصيبة فقال في إجابته بل قل أنه ليس محباً صادقًا؛ لأنه لم يتلذذ بالمصيبة.

(٣)- صبّار: الذين يبالغون في الصبر، والعلاقة بين الصابر والصبار هي أن هذه الدرجة لهؤلاء الذين صبروا من الله وصبروا لله وصبروا ليعرفوا أن الله لهم. والصبار هو الذي لا يترك الصبر ولو نزلت عليه جبال من المصائب، وأنه لا يتزلزل ظاهراً وباطناً.

(٤)- صبر زكرياعليه السلام: هذا مقام للصبر حينما شق أعداؤه رأسه بالمنشار أخرج صوتاً محزناً قال له سبحانه وتعالى بالوحي يا زكريا إذا وصل صوت آخر سأقلب السماء والأرض فيما بينهما.

٧- **الأشياء المساعدة للصبر:**

هناك عدة أشياء تساعد في الصبر، كما أن هناك أشياء معوّقة في الصبر مثلا:

(١)- ذات الله سبحانه وتعالى دعامة كبيرة وسند عظيم للصبر. ولا يمكن الاستقامة على الحق بدون الاعتماد على الله تعالى. يُحرم الإنسان من الصبر بسبب قلة الاعتماد على ا وقلة العلم.

(٢)- الذي لا يتوكل فهو لا يستطيع الصبر؛ لأن الاعتماد على الله هو تلك الدعامة التي تجعل الإنسان مطمئنًا في المشاكل. إن الله سبحانه وتعالى يُقدّر لنا العسر حينا واليسر حينا آخر. والتوكل ما هو إلا الاعتقاد بأن الله ولي العبد في اليسر والعسر والسعي للاستقامة في رضائه. وهذا ما يساعد الإنسان للصبر.

(٣)- يظن بعض الناس لو عملنا الصالحات لا تأتي علينا المصيبة. وهذه فكرة خاطئة عن سنة الله تعالى. لم يخلق الله الكون للإنعام بل خلقه للابتلاء، وأنه جعل الصالح غالبًا عامة ولكن لا يلزم هذا أن لا يأتي على الرجل الصالح ابتلاء. وحياة الأنبياء عليهم السلام خير شاهد على هذا. كانوا معصوم ولكن رغم هذا نزلت عليهم مصائب عظيمة حتى ﴿يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴾[١].

(٤)- جاء مصطلح الصبر ضد الاستعجال إذا استعجلنا في شيء نترك الصبر غالبًا. نحن نرجو أن تقبل أدعيتنا فورًا أو نيأس ونقنط حينما تنزل مصيبة من الله. وهكذا إذا كانت هناك حاجة أو نريد أن نقوم بعمل ما بعجلة فنترك الصبر، فمثلاً إذا أُتهمنا من قبل بعض إخواننا فنسعى للانتقام منه فورًا، والأصل هو أن نبحث عن

١- سورة البقرة، الآية: ٢١٤.

الحقيقة ما هي؟ ومن قال؟ أليس هذا الخبر خطأً؟.

(٥)- من الأمور الضارة للصبر أننا لا نعرف حقيقة كل شيء ولا نعرف عن جوانبها، ولذا نغضب ولو عرفنا ا□قيقة □ا حزننا ولا استعجلنا.

(٦)- من معوقات الصبر هو عدم شعورنا بحقوق الآخرين، هم أيضاً بشر. لهم أيضاً عواطف وانفعالات، وهم يخطئون، وعندهم احتياجات دنيوية، ولهم أسرة ومشاكل، ولهم أمنيات. علينا أن نراعي كل هذه الأشياء من الآخرين الذين يواجهون هذه ا□شاكل.

٨- **طرق اختيار الصبر:**

هناك طُرق عديدة لاختيار الصبر:

(١)- يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[1].

علينا أن نُشغل لساننا بذكر كلمة الترجيع (إنا □ وإنا إليه راجعون) عند ا□صائب، ونفكر أننا لله وله الاختيار الكامل أن يتصرف في ملكه كيف يشاء. فعلى العبد أن يرضى بأمر المعبود، ولذا يجب عليه أن يرضى بكل شيء.

(٢)- لا يجوز أن نفكر عن المصيبة إنما يجب عن نشتغل بأعمالنا. فالذي حدث قد مضى وكان قدراً مقدوراً. فسيكون المستقبل أحسن من الماضي.

(٣)- علينا أن نتذكر الذنوب والخطايا وأن لا نفزع من المصيبة بل يجب الندم على الخطأ ونفكر للإصلاح.

(٤)- لا يجوز أن نظن بأن ا□ ليس راضى عنا، هذا تفكير خاطئ يجعل علاقة الإنسان بربه ضعيفة ويزيلها رويداً رويداً. علينا أن نظن بالله ظناً حسناً.

١- سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

(٥)- ينبغي علينا أن نعتقد أن المصائب عواقب الذنوب، ونتذكر ثواب الله، ونستغفر من الذنوب ونطمع في الثواب.

(٦)- علّمت الشريعة الصبر وقت المصيبة فيجب أن نضع هذا في الذهن.

(٧)- ينبغي الصبر المصيبة وأن لا نشكو إلى الله وأن لا نتكلم بكلمة خلاف الإيمان والإسلام، لنستحق ثواب الله وتكون عندنا همة تحمل المصائب.

(٨)- ينبغي أن نعتقد أن لكل مصيبة بدلاً حسناً وأن المصيبة لا تخلو من النفع في الدنيا والآخرة. وإن لم يدرك كنه النفع الدنيوي فيذكر الأجر الجزيل عند الله في المصيبة، فينبغي تقليل الغم بتذكر الأجر.

(٩)- حياة الأنبياء عليهم السلام أسوة حسنة لنا لحصول الصبر، إذ توجد فيها أمثلة تشجّعنا وتزيد في بصيرتنا. ينبغي لنا أن نضع أمامنا سيرة الأنبياء وأصحاب الورع لحصول الصبر.

(١٠)- ينبغي أن نتصور سلوك الآخرين معنا ابتلاءً من الله، وإذا كان الخطأ منا فعلينا أن نصحح الأخطاء، وإذا كان الخطأ من الآخرين فعلينا أن نعفو وأن نستمر في وظيفتنا وأعمالنا.

٩- أقوال الصوفياء عن الصبر:

هناك أقوال عديدة عن الصبر عن العلماء والمشائخ منها:

(١)- قال علي رضي الله تعالى عنه: الصَّبْرُ مِنَ الإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، فَإِذَا ذَهَبَ الصَّبْرُ ذَهَبَ الإِيمَانُ[1].

(٢)- قال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: الصبر نصف الإيمان[2].

١- المصنف ابن ابى الشيبة للإمام ابن ابى الشيبة، ج:٩، رقم الحديث:١٣٥.

٢- كنزالعمال في سنن الأقوال و الأفعال للإمام على متقى بن حسام الدين، ج: ٢، رقم الحديث: ٢٢٠٤.

(٣)- قال **معمون بن مهران** رضي الله عنه: إن الإيمان والتصديق والمعرفة والصبر أسماء لشيء واحد.

(٤)- يقول **أبو الدرداء** رضي الله تعالى عنه: **إن ا□قام الأرفع** للإيمان الصبر على الأحكام **والاستقامة عليها والرضاء بالقدر**(١).

(٥)- يقول الحسن البصري رحمة الله عليه أن الصبر قسمان: **الأول**: الصبر في الآلام والمصائب، والثاني: الصبر عن الأشياء المحرمة(٢).

(٦)- يقول الجنيد البغدادي رحمة الله عليه: الصبر هو تحمل المشقة حتى تنتهي(٣).

(٧)- يقول الجنيد رحمة الله عليه: المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل هيّن على المؤمن، وهجران الخلق في جنب الله تعالى شديد، والمسير من النفس إلى الله تعالى صعب شديد، والصبر مع ا□ **أشد**. وسئل الجنيد عن الصبر، فقال: **هو □رع ا□رارة من** غير تعبيس(٤).

(٨)- يقول أبو سليمان رحمة الله عليه عن الصبر: والله ما نصبر على ما نحب، فكيف على ما نكره؟(٥).

(٩)- وقال ذو النون رحمة الله عليه: الصبر: **التباعد عن ا□خالفات، والسكونُ عند □رع** قصص البلية، وإظهار الغنى **مع حلول الفقر بساحات ا□عيشة**(٦).

١- المسند للإمام أحمد، ج:٤، رقم ا□ديث: ٨٤٧.

٢- التصوف والتصورات للصوفياء للأستاذ الدكتور ظهير أحمد صديقي، ص: ٣٦٩.

٣- اللمع للشيخ أبي نصر سراج، ص: ٧٨.

٤- **الرسالة** القشيرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ٣٤١.

٥- المرجع السابق، ص: ٣٤١.

٦- المرجع السابق، ص: ٢٣٩.

(١٠)- وقال ذو النون رحمة الله عليه: الصبر: هو الاستعانة بالله تعالى[١].

(١١)- وقال عمرو بن عثمان رحمة الله عليه: الصبر: هو الثبات مع الله سبحانه وتعالى، وتلقى بلائه بالرحب والدعة[٢].

(١٢)- وقال الخوّاص رحمة ا عليه: هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة[٣].

(١٣)- وقال رويم رحمة الله عليه: الصبر: ترك الشكوى[٤].

(١٤)- يقول أبو الدقاق رحمة الله عليه: إن الصبر حده أن لا تعترض على التقدير؛ فأما إظهار البلاء على غير وجه الشكوى فلا ينافي الصبر[٥].

(١٥)- يقول أبو علي الدقاق رحمة الله عليه إن الصبر كاسمه؛ لأن معنى الصبر هو الصد والوقوف. والاستقامة على المصيبة أمر صعب[٦].

(١٦)- قال أبو حمد الحريري رحمة الله عليه: الصبر: أن لا يفرق بين حال النعمة والمحنة، مع سكون الخاطر فيهما. والتصبر: هو السكون، مع البلاء مع وجدان أثقال المحنة[٧].

(١٧)- قال قناد رحمة الله عليه: الصبر هو الاستقامة في الاجتناب عما نهى الله تعالى عنه والإتيان بما أمر الله[٨].

١- المرجع السابق، ص: ٢٣٩.

٢- المرجع السابق، ص: ٣٤٢.

٣- المرجع السابق، ص: ٣٤٢.

٤- المرجع السابق، ص: ٣٤٢.

٥- المرجع السابق، ص: ٣٤٩.

٦- المرجع السابق، ص: ٢٣٩.

٧- المرجع السابق، ص: ٣٤٣.

٨- اللمع للشيخ أبي النصر سراج، ص: ٨٨.

(١٨)- قال عز الدين رحمة الله عليه إن معنى الصبر عامة هو البعد عن الأشياء المحببة على النفس الممنوعة في الشريعة، والعمل على الأشياء المكروهة. الاجتناب عن الأشياء المحببة الممنوعة في الشريعة والإتيان عن الأشياء المكروهة الواجبة في الشريعة[١].

(١٩)- قال ملا جلال الدين دواني رحمة الله عليه الصبر هو مواجهة الأهواء النفسية[٢].

(٢٠)- والصبر عند اردشير عبادي رحمة الله عليه هو اجتناب الإنسان عن الأهواء النفسية والذنوب وترك اللذائذ والاستقامة على هذه العادة[٣].

(٢١)- يقول سهل رحمة الله عليه: الصبر هو التصديق القلبي.

(٢٢)- يقول أحد الشيوخ رحمة الله عليه: الصبر هو الدخول في ابتلاء الله تعالى بدون الشكوى والشكاية[٤].

(٢٣)- يقول الشيخ ضياء الدين السهروردي رحمة الله عليه: الصبر هو ترك الشكوى والشكاية[٥].

(٢٤)- يقول فضيل بن عياض رحمة الله عليه: الصبر هو الرضا بقدر الله تعالى[٦].

(٢٥)- يقول الحسن البصري رحمة الله عليه إن الصبر قسمان[٧]:

(i)- الاستقامة على الابتلاء والمصائب.

(ii)- الاجتناب عما نهى الله تعالى.

١- التصوف والتصورات للصوفياء للأستاذ الدكتور ظهير أحمد صديقي، ص: ٣٦٨.

٢- المرجع السابق، ص: ٣٦٩.

٣- المرجع السابق، ص: ٣٦٦.

٤- الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ٢٣٩.

٥- آداب المريدين للشيخ ضياء الدين سهروردي، ص: ٣٧.

٦- الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ٣٤٩.

٧- كشف المحجوب للسيد على هجويرى، ص: ١٥٥.

(٢٦)- يقول الشيخ عبد الله الأنصاري رحمة الله عليه: إن الصبر ثلاثة أنواع[١].

(i)- الصبر على المصيبة: يكون الصبر على المشقة بسبب الحب ويخرج منه ثلاثة أشياء:

(أ) الهدوء والسكون القلبي.

(ب) الرسوخ في العلم.

(ت) نور الفراسة.

(ii)- الصبر من المعصية: يكون الصبر من المعصية بسبب الخوف من الله ويستنتج منه ثلاثة أشياء:

(أ) إلهام القلوب.

(ب) قبول الدعاء.

(ت) نور الصفاء.

(iii)- الصبر على طاعة الله: يكون الصبر على طاعة الله بسبب الرجاء ويستنتج منه ثلاثة أشياء:

(أ) انسلال الآفات.

(ب) وصول الرزق من حيث لا يحتسب.

(ت) الميل إلى الحسنات.

(٢٧)- يقول أحد للصوفيين الصبر عبارة عن الاستقامة في المصيبة مثل: الاستقامة في الأمن والعافية[٢].

١- صد ميدان للشيخ عبد الله الأنصاري، ص: ٢٩ - ٣٠.

٢- الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ٣٤٩.

١٠- بعض الأحداث لأهل الصبر:

يُنقل بعض الأحداث والوقائع لأهل الصبر للنصح:

(١)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {كُنَّا نَقْعُدُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ، فَإِذَا قَامَ قُمْنَا، فَقَامَ يَوْمًا وَقُمْنَا مَعَهُ حَتَّى لَمَّا بَلَغَ وَسَطَ الْمَسْجِدِ، أَدْرَكَهُ رَجُلٌ، فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ مِنْ وَرَائِهِ وَكَانَ رِدَاؤُهُ خَشِنًا، فَحَمَّرَ رَقَبَتَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ احْمِلْ لِي عَلَى بَعِيرَيَّ هَذَيْنِ، فَإِنَّكَ لَا تَحْمِلُ مِنْ مَالِكَ، وَلَا مِنْ مَالِ أَبِيكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، لَا أَحْمِلُ لَكَ حَتَّى تُقِيدَنِي مِمَّا جَبَذْتَ بِرَقَبَتِي"، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: لَا، وَاللَّهِ لَا أُقِيدُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كُلُّ ذَلِكَ، يَقُولُ: لَا وَاللَّهِ لَا أُقِيدُكَ، فَلَمَّا سَمِعْنَا قَوْلَ الْأَعْرَابِيِّ أَقْبَلْنَا إِلَيْهِ سِرَاعًا، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "عَزَمْتُ عَلَى مَنْ سَمِعَ كَلَامِي أَنْ لَا يَبْرَحَ مَقَامَهُ حَتَّى آذَنَ لَهُ"، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ مِنَ الْقَوْمِ: "يَا فُلَانُ، احْمِلْ لَهُ عَلَى بَعِيرٍ شَعِيرًا، وَعَلَى بَعِيرٍ تَمْرًا"، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "انْصَرِفُوا"}(١).

(٢)- {خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الطَّائِفِ رَجَاءَ أَنْ يُؤْوُوهُ وَيَنْصُرُوهُ عَلَى قَوْمِهِ وَيَمْنَعُوهُ مِنْهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَمْ يَرَ مَنْ يُؤْوِي وَلَمْ يَرَ نَاصِرًا وَآذَوْهُ مَعَ ذَلِكَ أَشَدَّ الْأَذَى وَنَالُوا مِنْهُ مَا لَمْ يَنَلْهُ قَوْمُهُ وَكَانَ مَعَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ مَوْلَاهُ فَأَقَامَ بَيْنَهُمْ عَشَرَةَ أَيَّامٍ لَا يَدَعُ أَحَدًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ إِلَّا جَاءَهُ وَكَلَّمَهُ فَقَالُوا: اُخْرُجْ مِنْ بَلَدِنَا وَأَغْرَوْا بِهِ سُفَهَاءَهُمْ فَوَقَفُوا لَهُ سِمَاطَيْنِ وَجَعَلُوا يَرْمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى دَمِيَتْ قَدَمَاهُ وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَقِيهِ بِنَفْسِهِ حَتَّى أَصَابَهُ شِجَاجٌ فِي رَأْسِهِ فَانْصَرَفَ رَاجِعًا مِنَ الطَّائِفِ إِلَى مَكَّةَ مَحْزُونًا وَفِي مَرْجِعِهِ ذَلِكَ دَعَا بِالدُّعَاءِ الْمَشْهُورِ دُعَاءِ الطَّائِفِ: اللَّهُمَّ

١- السنن للإمام النسائي، ج: ٣، رقم الحديث: ١٠٨٥.

إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي وَقِلَّةَ حِيلَتِي وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي إِلَى مَنْ تَكِلُنِي إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي؟ أَوْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَنْ يَحِلَّ عَلَيَّ غَضَبُكَ أَوْ أَنْ يَنْزِلَ بِي سَخَطُكَ لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ. فَأَرْسَلَ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْهِ مَلَكَ الْجِبَالِ يَسْتَأْمِرُهُ أَنْ يُطْبِقَ الْأَخْشَبَيْنِ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ وَهُمَا جَبَلَاهَا اللَّذَانِ هِيَ بَيْنَهُمَا فَقَالَ لَا بَلْ أَسْتَأْنِي بِهِمْ لَعَلَّ اللهَ يُخْرِجُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا} (١).

(٣)- {إن **أيوب عليه السلام** كان نبي الله سبحانه وتعالى، وابتلي بما كان عنده من ماله وولده وجسده، وذلك أنه كان له من الدواب والأنعام والحرث شيء كثير، وأولاد كثير ومنازل مرضية. فابتلي في ذلك كله، وذهب عن آخره، ثم ابتلي في جسده **يقال:** بالجذام في سائر بدنه، ولم يبق منه سليم سوى قلبه ولسانه، يذكر بهما الله عزّ وجل، حتى عافه الجليس، وأفرِدَ في ناحية من البلد، ولم يبق من الناس أحديحنو عليه سوى زوجته، كانت تقوم بأمره، **ويقال:** إنها احتاجت فصارت تخدم الناس من أجله. قالت له زوجته يوماً إن المشقة قد ازدادت فادع الله سبحانه وتعالى، فقال لها: إنني قضيت سبعين عاماً في نعمة ورخاء ورغد من العيش، أيصعب عليّ أن أقضي سبع سنوات في المصيبة ووصلت عزيمته وصبره إلى حد أنه **لا يدعو الله** سبحانه وتعالى لكشف المصيبة لئلا تظهر منه مخالفة الصبر، رغم أن

١- الرحيق المختوم لمولانا صفي الرحمن مباركفوري، من **الصحيح للإمام البخاري**، ج: ٢، رقم الحديث: ٤٩١.

الدعاء والاستعطاف لا يخالف الصبر}[١].

(٤)- {تآمر أعداء سيدنا زكريا **عليه السلام** على قتله، وقد تبلّغ سيّدنا زكريا بأنّ القوم تآمروا عليه لقتله، فهرب منهم ودخل الغابة يركُض بين الأشجار وبنو إسرائيل **خلفه معهم منشار يريدون قتله وقطعه عليه السلام**. رأى سيّدنا زكريا شجرةً كبيرةً في الغابة قد فُتحت له بعد أن أذن الله عزّ وجل لها أن تُفتح ليختبئ بها، ولما دخل سيدنا زكريا بها واختبأ كان إبليسُ حاضراً فأمسك بجزء من ثوب سيدنا زكريا وأخرجه خارج الشجرة، وأغلقت الشجرة على سيدنا زكريا، وبذلك دلّ إبليسُ بني إسرائيل على مكانه فجاء بنو إسرائيل حول الشجرة وبدؤوا ينشرونها ونبيُّ الله فيها، فلما وصل المنشار لجسد سيدنا زكريا أصبح يُصدر أنيناً عليه السلام من الألم، فقال له الله عزّوجلّ يا زكريا لإن لم يسكُتن أنينك لأقلبنّ **الأرض بمن** فيها فسكت زكريا رحمةً بأمّته حتى لا يهلكهم الله عزّوجلّ ونُشر سيدنا زكريا إلى نصفين، **وبذلك كانت وفاته عليه السلام**}[٢].

(٥)- عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "كَانَ مَلِكٌ فِي مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ، وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ، فَقُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ

١- التفسير ابن كثير لأبي الفدا ابن كثير، تفسير سورة الأنبياء الآية: ٨٣.

٢- الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ٣٤٩.

أَفْضَلُ، فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ، فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟، قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟، قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ، فَسَقَطُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟، قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ، فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ، فَغَرِقُوا

وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ: الْمَلِكُ مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟، قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟، قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ ثُمَّ رَمَاهُ، فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ، فَمَاتَ، فَقَالَ: النَّاسُ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ، فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ، قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ، فَأَحْمُوهُ فِيهَا أَوْ قِيلَ لَهُ اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا: الْغُلَامُ يَا أُمَّهْ اصْبِرِي، فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ"}[1].

(٦)- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: {قَالَ كَانَ ابْنٌ لِأَبِي طَلْحَةَ يَشْتَكِي فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ فَقُبِضَ الصَّبِيُّ فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ مَا فَعَلَ ابْنِي قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ هُوَ أَسْكَنُ مِمَّا كَانَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ الْعَشَاءَ فَتَعَشَّى ثُمَّ أَصَابَ مِنْهَا فَلَمَّا فَرَغَ قَالَتْ وَارُوا الصَّبِيَّ فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ أَعْرَسْتُمْ اللَّيْلَةَ قَالَ نَعَمْ قَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا فَوَلَدَتْ غُلَامًا فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ احْمِلْهُ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَى بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعَثَتْ مَعَهُ بِتَمَرَاتٍ فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَمَعَهُ شَيْءٌ قَالُوا نَعَمْ تَمَرَاتٌ فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَضَغَهَا ثُمَّ أَخَذَهَا مِنْ فِيهِ فَجَعَلَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ

١- الصحيح للإمام مسلم، ج:٣، رقم الحديث: ٣٠١٠.

ثُمَّ حَنَّكَهُ وَسَمَّاهُ عَبْدَ ا} (١).

(٧)- {إن الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه كان محدثا شهيراً نشأت في زمانه مسئلة خلق القرآن الكريم، والسبب في ذلك أن النصارى سألوا المسلمين هل كلمات الله مخلوقة أو غير مخلوقة؟ أجيب عن هذا أولاً أنها ليست مخلوقة، فقالوا إن القرآن الكريم أطلق لسيدنا عيسى **عليه السلام** أنه كلمة الله، ولذا أنه غير مخلوق حسب **القرآن الكريم.** أي أنهم ادعوا أن دعوى ألوهية عيسى **عليه السلام ثابتة من القرآن. بعد هذا اختار المسلمون موقفاً بأ**ن القرآن مخلوق أي أن كلام الله مخلوق. وحاولت الحكومة أن يؤيدها العلماء هذا الرأي، فاختار بعضهم هذا الرأي، وظُلم على العلماء الذين يخالفون هذا الرأي الحكومي. سجن الإمام أحمد بن حنبل في سجن طرموس وقد ذكر ضربه رضي الله عنه بين يدي المعتصم لما أحضره المعتصم من السجن زاد في قيوده، قال أحمد: فلم أستطع أن أمشي بها فربطتها في التكة وحملتها بيدي، ثم جاؤني بدابة فحملت عليها فكدت أن أسقط على وجهي من **ثقل القيود وليس معي أحد يمسكني، فسلم ا حتى جئنا دار المعتصم، فأدخلت** في بيت وأغلق علي وليس عندي سراج، فأردت الوضوء فمددت **يدي فإذا إناء فيه** ماء فتوضأت منه، ثم قمت ولا أعرف القبلة، فلما أصبحت إذا أنا على القبلة ولله ا**لحمد**... إنه ضال مضل كافر، فأمر بي فقمت بين العقابين وجيء بكرسي فأقمت عليه وأمرني بعضهم أن آخذ بيدي بأي الخشبتين فلم أفهم، فتخلعت يداي وجيء بالضرابين ومعهم السياط فجعل أحدهم يضربني سوطين ويقول له **يعني المعتصم**: شد قطع الله يديك، ويجيء الآخر فيضربني سوطين ثم الآخر كذلك، فضربوني أسواطا فأغمي علي وذهب عقلي مرارا، فإذا سكن الضرب يعود علي

١- المسند للإمام أحمد، ج:٥، رقم الحديث: ١٩٩٦.

عقلي، وقام المعتصم إلي يدعوني إلى قولهم فلم أجبه، وجعلوا يقولون: ويحك! الخليفة على رأسك، فلم أقبل وأعادوا الضرب ثم عاد إلي فلم أجبه، فأعادوا الضرب ثم جاء إلي الثالثة، فدعاني فلم أعقل ما قال من شدة الضرب، ثم أعادوا الضرب فذهب عقلي فلم أحس بالضرب وأرعبه ذلك من أمري وأمر بي فأطلقت ولم أشعر إلا وأنا في حجرة من بيت، وقد أطلقت الاقياد من رجلي، وكان ذلك في اليوم الخامس والعشرين من رمضان من سنة إحدى وعشرين ومائتين، ثم أمر الخليفة بإطلاقه إلى أهله، وكان جملة ما ضرب نيفا وثلاثين سوطا، وقيل ثمانين سوطا، ولكن كان ضربا مبرحا شديدا جدا}[١].

(٨)- سمعت منصور بن خلف المغربي رحمة الله عليه **يقول: جُرّد واحد** للسياط فلما ردّ إلى السجن دعا ببعض أصحابة فتفل على يده، وألقى من فمه دقاق الفضة على يده **فسئل، فقال:** كان فمي درهمان، وكان على حاشية الحقلة لي عين، فلم أرد أن أصيح رؤيته إياي..فكنت أعض على الدرهمين، فتكسروا في فمي[٢].

(٩)- **وقيل: حبس** أبو بكر الشبلي رحمة الله **عليه** وقتاً في المارستان، فدخل عليه جماعة؛ **فقال:** من أنتم؟ فقالوا: أحباؤك جاؤك زائرين فأخذ يرميهم بالحجر، وأخذوا يهربون فقال: يا كذابون، لو كنتم أحبائي لصبرتم على بلائي[٣].

(١٠)- سئل السري رحمة الله عليه عن الصبر، فجعل يتكلم فيه، فدب على رجله عقرب، وهي تضربه بابرتها ضربات كثيرة، وهو ساكن: **فقيل له:** لـِمَ لم تنحها؟. **فقال:**

١- تاريخ ابن كثير للإمام ابن كثير، ج: ١٠، **ص:** ٤٠١.

٢- **التصوف والتصورات للصوفية** للأستاذ الدكتور ظهير أحمد صديقي، ص: ٣٦٨.

٣- المرجع السابق، ص: ٣٤٩.

استحييت من الله تعالى أن أتكلم في الصبر، ولم أصبر[١].

(١١)- يقول ذو النون المصري رحمة الله عليه: ذهبت لعيادة صوفي مريض، فصرخ أثناء الكلام فقلت له لا يصبر في المصيبة فهو ليس صادق في الحب، فأجابني **قائلاً**: الذي لا يستلذ من البلاء ولم يستعذبه فهو ليس محباً صادقًا.

(١٢)- وقال الشيخ أبو نصر سراج رحمة الله عليه: **كنت بمكة**. فرأيت فقيراً طاف بالبيت، وأخرج من جيبه رقعة، ونظر فيها، ومر، فلما كان بالغد، فعل مثل ذلك، فترقبته **أياماً وهو يفعل مثل ذلك، فيوماً** من الأيام طاف ونظر في الرقعة، وتباعد قليلاً، **وسقط ميتًا، فأخرجت الرقعة من جيبه، فإذا فيها:** ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَاۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾[٢].

(١٣)- **أراد مالك بن دينار** رحمة الله عليه **أن يأكل ثريدًا من العسل واللبن فأمر خادمه أن** يُعدّ له فأحضر خادمه الثريد. فبدأ ينظر إلى تلك الأشياء فقال أيها النفس أنك صبرت حوالي ثلاثين سنة، ألا تصبرين في هذا الوقت الأخير؟ **فأبعد الكوب قائلاً** هذا القول وتوفي صابراً بالصبر الجميل[٣].

***

١- الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ٢٣٩.

٢- الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ٣٤٧.

٣- المرجع السابق، ص: ٢٣٩.

-

٥

مقام الرضا



١ - **مفهوم الرضا:**

(١)- معنى الرضا هو الإحساس بالسرور و**السعادة أو التسليم. والمراد من الرضا أن يشمل** الإنسان إرادته في إرادة الله تعالى، وأن يخضع قلبه أمام أوامر الله، ويريد **الإنسان ما يريدُه الله**. يقول الله تعالى عن هذا: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[١].

(٢)- سأل الناس عن بايزيد البسطامي رحمة الله عليه ماذا تريد؟ **فقال: أريد أن لا أريد.** ومرادي هو ما يريد الله سبحانه وتعالى[٢].

(٣)- حقيقة الرضا أن لا يعترض الإنسان على تقديره بلسانه أو بقلبه. يغلب على الإنسان رضاء الله تعالى إلى حد لا يبقى الإحساس بالغم والألم. **وهذا رضا طبعي،** وهذا حال من أحوال السالك التي لم يُكلَّف بها الإنسان. **إن بقي الإحساس بالغم** والمشقة فهو رضا عقلي. **وهذا مقام من مقامات الصوفية وكُلِّف به الإنسان.**

(٤)- الرضا العقلي هو أن يُحس الإنسان بالألم والكلفة، ويتحملها بطيب النفس والرضا؛ لأن الله تعالى أخبر عن الجزاء الحسن والعاقبة الحسنة. **والذي يعتقد أن الله سبحانه** وتعالى يعطي أجراً على كل حال كلفة وعناء، ويعطي ثواباً على كل مصيبة وصدمة، فيكون فرحاً في كل حال وراضياً برضاء ربه، ولا قيمة عنده لهذه المصيبة المؤقتة.

(٥)- المراد من الرضا أن يكون نظر الإنسان إلى اختيار الله تعالى، ويعرف أن الله تعالى يختار له أحسن **الأشياء، فلذا يكون راضياً**. وإذا رضي الإنسان يفوّض نفسه إلى الله تعالى، ويطيع أوامره ويطمئن بربوبيته، ويعتمد على ألوهيته، ويخضع أمام قضاء الله تعالى وقدره.

١- سورة التكوير، الآية: ٢٩.

٢- **التصوف والتصورات للصوفية** للأستاذ الدكتور أحمد صديقي، ص: ٣٧٢.

(٦)- وليس معنى الرضا قط أن يترك الإنسان السعي والتدبير ويجلس متعطلا؛ بل هذا كله خلاف الرضا. والرضا هو أن يسعى الإنسان لتحس العمل حسب طاقته ثم يرضى برضاء ربه بغض النظر عن النتائج التي قد تكون موافقة للإنسان أو مخالفة له.

(٧)- والأصل أن العمل بالرضا يبدأ بعد حدوث حدث، فمثلاً إذا حدث شيئاً فعلى الإنسان أن يفكر أنه دّبر له حسب الضرورة، والنتيجة التي جاءت خلاف التدبير فهو قضاء الله تعالى، وأنا راض عنه. والاضطراب الكثير والحسرة الزائدة وإظهار الشكوى وبعد حدوث الحادثة خلاف الرضا.

(٨)- بّين ربنا سبيل الوسط بين الإفراط والتفريط، وهو على الإنسان أن يسعى سعياً كاملاً ويأخذ جميع التدابير الممكنة حتى ظهور القدر؛ لأننا لا نعرف ماذا كتب في التقدير؟ وقصة سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه خير مثال في هذا. كان عمر رضي الله تعالى عنه يذهب إلى الشام مرة. قيل له أن مرض الطاعون قد انتشر في منطقة الشام، وأن المرض كان شديداً إلى حد موت الإنسان في بضع ساعات، واستشهد فيه آلاف من الصحابة رضي الله عنهم، فاستشار سيدنا عمر الفاروق الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين عن الذهاب إليه وعدمه، أشار عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه إلى حديث الرسول صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ إذا انتشر في منطقة مرضاً متعدياً، فعلى من هو خارج هذه المنطقة أن لا يدخل، والذين هم في داخلها عليهم أن لا يفّروا منها. غّير عمر رضي الله تعالى عنه إرادة الذهاب إلى الشام بعد ما سمع الحديث.

قال أحد من الصحابة كيف تفر من قدر الله سبحانه وتعالى؟ ولو قدر الله تعالى ابتلاءك بالمرض فلا يمكن لك التهرب منه. أجاب عمر رضي الله تعالى عنه أُمرنا بإتخاذ الإجراءات اللازمة، وهو ليس خلاف الرضا، إنما هو داخل في الرضا؛ لأن

رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا باتخاذ التدابير الحازمة، فلذا أرجع عاملاً بحكم الله سبحانه وتعالى[١].

(٩)- بعض الناس يجعلون الإحساس بالغم خلاف الرضا، وهذا ليس بصحيح. فالإحساس بالغم أو بالكآبة والحزن على المصيبة والمشقة ليس خلاف الرضا ولا هو ذنب؛ لأن إظهار الغم والحزن شيء، والرضا بقضاء الله تعالى شيء آخر. ومفهوم الرضا بقدر الله تعالى هو الاعتقاد بأن قضاء الله تعالى مبني على الحكمة، ونحن لا نعرف حكمته، ويحس القلب بالغم والكآبة بسبب عدم معرفة الحكمة، وتخرج الدموع من العيون كذلك.ولكننا نعرف أيضاً أن قضاء الله تعالى حق ومبني على الحكمة. ولذا المراد من الرضا رضاء عقلي. أي يعلم الإنسان إن هذا القضاء صحيح.

(١٠)- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ، وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ}[٢].

(١١)- الدعاء ليس خلاف الرضا، والدعاء عبادة بنفسها. ولذا لا يدع السالكون أن يجدوا ما دعوا بل يدعون لإظهار عبوديتهم، ولا يحسون بالضيق ولا يفتخرون

١- تاريخ ابن خلدون للعلامة عبد الرحمن بن خلدون، ج:٢، ص: ٢٨٨.

٢- الصحيح للإمام البخاري، ج: ١، رقم الحديث: ١٢٤٦.

بقبول الدعاء، بل يرضون في كل حال. فعلى هذا أن العبد الداعي لا يخرج من مقام الرضا. بل أن الله سبحانه وتعالى يمدح الذين يدعون ربهم بقوله: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[١].

(١٢)- لا يجوز نسبة الفشل إلى الله سبحانه وتعالى. فمثلاً مرض طفل فيذهب به أبوه إلى المستشفى، ولا يترك وسيلة من الوسائل لعلاجه، رغم هذا يموت الطفل بعد أيام، فتسليم قضاء الله تعالى في مثل هذا الوقت رضاء. فليس المقصود أن لا يحس بالغم بموت الأولاد، وهذا غير معقول. وإنما المراد من الرضاء أن يتجنّب من الشكوى تعالى والجزع والفزع، ويعتقد موت الطفل رضاء الله تعالى.

٢- **الرضاء في ضوء القرآن الكريم:**

الرضاء له مقام شريف، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

(١)- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[٢].

بيّنت الآية الكريمة كيفية أهل الإيمان أنهم يضحون بأموالهم وأنفسهم خالصةً لوجه الله سبحانه وتعالى. وتضحية المال والأنفس في سبيل الله ليست تجارة خاسرة، بل هي تجارة رابحة محضة، إذ يُحصل به رضاء الله سبحانه وتعالى وحبه.

سبب نزول هذه الآية وسياقها وسباقها هو ا خرج صهيب الرومي رضي الله تعالى عنه بإرادة الهجرة صد الكفار سبيله، وقالوا أنت لا تستطيع أن تذهب إلى المدينة، فقال لهم أنتم تعرفون أنني من أمهر الرماة بينكم، أنتم لن تستطيعوا أن تقتربوا إليّ مادام عندي رمح واحد في جعبتي. وعندما تنتهي رماحي سأقاتلكم بسيفي حسب استطاعتي، فإن عجزت عن حمل السيف فافعلوا بي ما تشاؤون فلا

١- سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

٢- سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

أبالي. إن كنتم تريدون مالي تعالوا أخبركم عن مكان مالي، فاذهبوا إليه وخذوه، وخلوا سبيلي لأهاجر إلى النبي صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. **فقبلوا هذا الكلام.**

وصل صهيب رضي الله تعالى عنه إلى المدينة المنورة خالي اليد لحفاظ دينه وإيمانه بعد ما سلّم جميع ماله إلى الكفار. بلّغ **قصته الرسول** صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بعد ما** وصل إلى المدينة المنورة، فقال له رسول الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربحت يا أبا يحي ربحت يا أبا يحي.

ما أحسن ما قال أسد الله خان غالب:

دی، دی ہوئی اسی کی تھی
تو یہ ہے کہ حق ادا نہ ہوا

(ضحيت بنفسي وما هي إلا عطيته والحُق أن الحق لم يؤدى)

(٢)- ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1].

في الآية موازنة بين أخلاق نوعين من الناس، وهل يستوي الذين **يطلبون رضاء** الله والذين يطلبون سخطه؟ كلا.

فالإنسان الذي يسمع ويطيع ربه ويكون جميع أعماله لوجه الله سبحانه وتعالى؛ فله الجزاء الحسن والدرجات الْعلى، والمقام الأعلى، ورضوان من الله إلى الأبد. **والذي** يكفر ربه ويزيد طغياناًوتعدياً، ويستمر في طغيانه وكفره إلى آخر **حياته فمأواه جهنم.** ولا يستوى أهل الرضاء وأهل الرياء عاقبة ومآلاً. وإن الله عليم بأعمال **الإنسان فهو يعرف من يعمل لرضائه ومن يعمل رياءً فقط بينت الآية** النقاط **التالية:**

(i)- لا يستوي الذي يطلب رضاء الله والذي يُسخط ربه

١- سورة آل عمران الآية: ١٦٢.

(ii)- لا يستوي طالب الرضا وا□رأي.

(iii)- لا يستوي المؤمن والفاسق.

(iv)- لا يستوي أصحاب الجنة وأصحاب النار.

(v)- هناك درجات عظيمة للذين يطلبون رضاء الله.

(vi)- يرضى الله سبحانه وتعالى من الذين يطلبون رضاء ربّهم.

(vii)- يسخط الله تعالى من المرائين.

(viii)- الذي يُسخط ربه فهو من أهل جهنم.

(ix)- إن الله لا يحب أهل الرياء.

(x)- أهل الرياء مآواه جهنم.

(٣)- ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[1].

وضّحت الآية الكريمة أن الذي يطلب رضاء ربه يخرجه ربه من الظلمت إلى النور وإلى الصراط المستقيم. عندما يكون الإنسان طالباً رضاء ربه، سالكاً طريق الهداية يهديه ربه حتماً. اتضحت من الآية السابقة النقاط التالية:

(i)- إن الله يهدي أهل الرضاء إلى الصراط المستقيم.

(ii)- الذي يطلب رضاء الله تعالى يهديه الله إلى طريق الهداية.

(iii)- الذي يطلب الهداية يهديه الله إلى الصراط المستقيم.

(iv)- رضاء ا□ تعالى هو مصدر الهداية وأساسها.

(v)- الذين يطلبون رضاء ا□ لا يضلّون.

١- سورة ا□ائدة، الآية: ١٦.

(٤)- ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾[١].

يتضح من الآية الكريمة أنه لا بد من الإخلاص والعمل للنجاة. ولا بد من الإخلاص والنية الصحيحة لقبول العمل الصالح، ولا يُقبل عمل ما بدون الإخلاص، كما أنه لا قيمة للعمل بدونه.

فظهرت من الآية المباركة النقاط التالية:

(i)- ينبغي الخضوع أمام أوامر الله سبحانه وتعالى.

(ii)- ينبغي تفويض النفوس إلى الله تعالى.

(iii)- يجب محو رضاء النفس واختيار رضاء الله تعالى.

(iv)- حقيقة الإيمان أن يترك الإنسان هواه لله سبحانه وتعالى.

(v)- الذين يُفوّضون أنفسهم إلى الله هم أحسن الناس إسلاماً.

(vi)- يجب اتباع ملة إبراهيم عليه السلام في كل حال.

(vii)- المطيعون هم أكرم الناس.

(viii)- الذي يخضع أمام الله سبحانه وتعالى هو محسن.

(ix)- الذي يعمل كل عمل خالصاً لوجه الله سبحانه وتعالى فهو محسن.

(x)- التسليم أمام رضاء الله من أحسن الأعمال والسلوك.

(٥)- ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٢].

اتضح من الآية الكريمة أن أحب الأعمال عند الله وأحسنها هو أن يسلم وجهه

١- سورة النساء، الآية: ١٢٥.

٢- سورة البقرة، الآية: ١١٢.

أمام رضاء الله سبحانه وتعالى في كل ساعة ونَفَس، وأن يشكر في النعم وأن يصبر على المصيبة. يقبل الله تعالى أعمال الذي يسلم وجهه أمام ربه بكل إخلاص، ويترك الأهواء النفسية خالصًا لرضائه، ويتحمل المصائب والمشقات الواردة أثناء هذا بكل حب. ويضحي هواه على رضاء ربه ويختار سلوك التسليم والرضاء.

(٦)- ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[١].

قيل لنا في هذه الآية لا يؤمن أحد حتى يسلم بسنة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع شؤونه ويرضى به قلباً. وكلما تأتي سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعليه أن يسلم بها برغبة قلبية وحب ورغبة نفسية، وأن لا يأتي تردد أوشك في التسليم.

(٧)- ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[٢].

بيّنت الآية الكريمة مشيرة إلى فلاح الإنسان الحقيقي نقاطًا تالية:

(i)- إن رضاء الله من أعظم نعم الله تعالى.

(ii)- لا تكون سعادة أعظم من رضاء الله تعالى.

(iii)- حصول رضاء الله تعالى من الفلاح العظيم، ويشتمل في هذا الفلاح النعم الدنيوية والدينية.

(iv)- النجاح الحقيقي أنْ يُنجّى الإنسان من عذاب جهنم ويدخل الجنة، ويمكن حصول مثل هذا النجاح برضاء الله سبحانه وتعالى إن شاء الله تعالى.

١- سورة النساء، الآية: ٦٥.

٢- سورة التوبة، الآية: ٧٢.

(٨)- ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[١].

بُيّنت في الآية الكريمة نقاطاً تالية:

(i)- الصادقون هم الذين يؤمنون بالله ويعملون الصالحات.

(ii)- من وسائل حصول رضاء الله تعالى هي قضاء الحياة بالصدق.

(iii)- رضي الله تعالى عن المؤمن وأصحاب الأعمال الصالحة **ورضوا عنه**.

(iv)- ورضوان من الله من أكبر النعم وليس هناك نعمة أكبر منها.

(v)- **إذا** رضي **الإنسان** با **سبحانه** وتعالى فيرضى ا تعالى **عنه**.

(vi)- رضاء الله فوز عظيم ولا يكون هناك فوز أعظم منه.

(vii)- يعطي الله تعالى الجنة الأبدية في مقابل رضاء الله تعالى.

(viii)- الذين يرضون برضاء الله تعالى يعطيهم الله نعماً كثيرة يفرحون بها.

(٩)- ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٢].

وضّحت الآية الكريمة أن مقتضيات الإيمان الحقيقي أن يكون المسلم لله سبحانه وتعالى بدون خوف وطمع، وأن يستقيم في الإسلام على كل حال، **وأن يفضل** العلاقة الإيمانية على جميع العلاقات والقرابات. وتوجد هذه الصفة تماماً عند المؤمنين الصادقين بالله وبرسوله، أنهم لا يكترثون بالقرابات الظاهرة في مقابل المؤمنين والمسلمين. وخير نموذج لهذا هم الصحابة رضوان الله تعالى أجمعين **وإن** الله مدحهم بصفات جميلة.

١- سورة ائدة، الآية: ١١٩.

٢- سورة جادلة، الآية: ٢٢.

ظهرت من الآية السابقة النقاط التالية:

(i)- إن **صحابة الرسول** رضوان الله عليهم أجمعين **هم أشد رضاء بالله وبرسوله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(ii)- إن الله سبحانه وتعالى كان راضياً من صحابة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(iii)- **إن الله سبحانه** وتعالى جعل الصحابة من جماعته لأنهم رضوا برضاء الله تعالى.

(iv)- إن رضاء الله تعالى هو أساس الفلاح في الدنيا والآخرة.

(v)- ينبغي أن تترك العلاقات الدنيوية والظاهرة المخالفة للإسلام لرضاء الله وتعالى.

(vi)- **ترك الصحا**بة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين جميع الفوائد في حب الله ورسوله.

(vii)- أهل الرضا هم المفلحون في الدنيا والآخرة.

(viii)- **وعد الله سبحانه** تعالى **أهل الرضا** بالجنة السرمدية **ورضاه.**

(١٠)- ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[١].

رغّب الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة على المسابقة في الخيرات ووعدهم برضائه وبالجنة الأبدية أجراً على هذا.

عندما يصل الإنسان إلى أعلى **درجات** الإيمان يرضى من ربه ولو كان في أحوال قاسية وفي غم وهم وضيق. وقد جهّز الله سبحانه وتعالى لهؤلاء الجنات والنعم الأبدية، وهذا هو الفوز العظيم.

نستخرج من هذه الآية النقاط التالية:

(i)- رضي الله تعالى عن الصحابة وهم رضوا عنه.

١- سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

(ii)- بشر الله تعالى الصحابة في الدنيا بالجنة.

(iii)- يرضى الله تعالى عن كل من يتبع خطوات الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

(iv)- وعد الله سبحانه وتعالى بالجنة لمن يتبع الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

(v)- حصول الجنة فوز عظيم.

(vi)- بشّر الله سبحانه وتعالى أهل الرضا برحمته والرضا والجنة.

(vii)- يعطي الله تعالى أهل الرضاء أجراً يفرحون به.

(١١)- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾[١].

لا يدعو الإسلام قوماً خاصاً أو منطقة خاصة. ودعوته فوق قيود اللون والنسل والجغرافيا، ولذا يدعو القرآن الكريم بكلمات عامة. وكل من يؤمن بالله وسوله ويعمل عملاً صالحًا فهو أكرم الناس وأفضلهم وأجرهم على ربهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. **وجزاءهم** عند ربهم هو أنه يدخلهم الجنة التي تجري **من** تحتها الأنهار.

رضي الله تعالى عن الصحابة وهم رضوا عن ربهم، ويجد هذا الجزاء كل من يؤمن بالله إيمانًا خالصًا، ويعمل عملاً صالحًا حسب سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الخوف من ربه.

يتضح من الآية الكريمة أن:

(i)- المؤمنون الصادقون والذين يعملون الصالحات هم خير البرية.

(ii)- أعد الله تعالى لخير البرية جنات تجري من تحتها الأنهار.

١- سورة البينة، الآية: ٧-٨.

(iii)- خير البرية يعشون في الجنة **عيشة أبدية**.

(iv)- رضي الله تعالى عن الصحابة ورضوا عنه.

(v)- **يمكن حصول درجة أهل الرضاء كل من يتبع** خطوات الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

(vi)- **يمكن** لكل إنسان الحصول على رضاء الله تعالى وجنته.

(vii)- يجب الخوف من الله تعالى لحصول رضائه ونعمه.

(١٢)- ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[١].

ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية تلك الجماعة التي اشتركت مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيعة الرضوان. أظهر الله سبحانه وتعالى رضاءه على تلك البيعة.

اتضحت من الآية السابقة النقاط التالية:

(i)- شهد الله تعالى لهؤلاء الذين اشتركوا في بيعة الرضوان بخلوصهم.

(ii)- أعطى الله تعالى الصحابة البائعين شهادة الرضاء.

(iii)- **يمنح** الله تعالى الذين يطيعون رسوله صَلَّى اللهُ **عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برضائه**.

(iv)- الرضاء هو قبول حكم الله ورسوله في العسر واليسر.

(v)- الذين يتبعون الرسول بعد الإيمان به فهم أهل الرضا.

(vi)- **اتباع النبي** صَلَّى اللهُ **عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** هو الفوز الحقيقي.

(١٣)- ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[٢].

١- سورة الفتح، الآية: ١٨.

٢- سورة التوبة، الآية: ٥١.

ثبت من هذه الآية أن كل ما يأتي من الابتلاء فهو يكون برضاء االله تعالى وإذنه. ولا تستطيع أن تتحرك ورقة في الكون بدون إذنه. وهو إلهنا وربنا. **فإذا جاءت مشقة بمشيئته نستسلم أمام رضائه.** ونرضى برضائه، وإن مسّنا ضرٌّ، فالخير مستور فيه.

(١٤)- ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾[١].

على المؤمنين أن يرضوا بالنعم الإلهية على كل حال، وينيبوا إليه. **فعليهم أن** يستسلموا أمام قضائه وقدره في حالة اليسر والسعة، وفي الابتلاء والعسر. **وهذه من علامات** المؤمنين.

(١٥)- ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢].

بيّنت في هذه الآية خصيصة أهل الرضاء أنهم يفنون رغباتهم في رضاء الله، وليست لهم رغبة أو رضاً، وهم يريدون ما يريد الله تعالى. فعلينا أن نعلم أن كل شيء يقع في الدنيا هو يقع بمشيئة الله تعالى. وهو وحده لا شريك له. **وهو مع** كونه حاكما حكيم أيضاً، ولذا تكون كل مشيئته مبنية طبق حكمته.

(١٦)- ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾[٣].

أرشدت الآية الكريمة على الإنسان أن يطمئن بأحكام الله تعالى، ويفرح بقضائه

١- سورة التوبة، الآية: ٥٩.

٢- سورة التكوير، الآية: ٢٩.

٣- سورة الفجر، الآية: ٢٧ - ٣٠.

وقدره وعطاياه ومَنَحه. ومثل هذا الإنسان يستطيع أن يكتسب رضاء ربه، الذي هو من أعظم منحة للإنسان وأغلاها.

وهم راضون عن ربهم، ومطمئنون في كل حال إيماناً منهم بأنها ابتلاء واختبار، وتثبت أقدامهم على سبيل الحق في العسر واليسر، ويشكرون على نعمه بكل إخلاص، ويجعلون الدنيا وسيلة لحصول رضاء ربهم مكان الفساد والطغيان، ويصبرون على الضرّاء. يعطي ربهم لمثل هؤلاء النعم الخاصة، وتكون النعمة هي نعمة رضاء الله تعالى الدائم. يُبشّر أهل الرضاء يوم القيامة بأنكم فزتم ونجحتم في الابتلاء الذي ابتليتم به في الدنيا، ورضيتم عن ربكم في كل حال، واطمأننتم فصرتم من أحب عباده، فاسكنوا في نعم الجنة الأبدية. وأنكم رضيتم بربكم في الدنيا والله راض عنكم، وتُعطون نعماً ورزقاً ما خطر ببالكم.

(١٧)- ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾[1].

أرشدت الآية أهل الإيمان إذا حاجهم أحدٌ أو جادلهم فعليهم أن يقولوا فوراً نحن نستسلم أمام أوامر الله سبحانه وتعالى، وراضون برضائه ويجعلون هواهم تابعاً لرضاء ربهم.

الذي يرضى برضاء ربه فهو الفائز في الدنيا والآخرة. والاستسلام أمام قضاء ا وقدره هو الفلاح ا قيقي، وهم ا هتدون.

(١٨)- ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[2].

١- سورة آل عمران، الآية: ٢٠.

٢- سورة الغافر، الآية: ٤٤.

بيّنت الآية أن رجلاً من آل فرعون آمن بموسى عليه السلام متأثراً بدعوته وقال بعد مروره من العذاب والابتلاء من قبل فرعون أفوض أمري إلى الله وهو بصير بحالتي جعل الله تعالى فطرة الإنسان أنه يتعظ من الأحداث ويتأسى بحياة الأنبياء والصالحين والأبطال الآخرين ويسعى للعمل على أوامرهم. وقد بيّن الله تعالى بأن ينبغي على المؤمنين الصبر إذا أصابتهم مصيبة أو مشقة أوهماً أو حزناً، أو وقعوا تحت ظلم الآخرين، ويفوضوا أمورهم إلى الله تعالى. فعلى الإنسان أن يعتقد أن الله خبير بأحوالهم. ورضاءه هو أن يبتلينا بالمحن ويمنحنا بنعم بعد الفوز في الابتلاء.

٣- الرضاء في الأحاديث النبوية:

رضاء الله تعالى مقام عظيم. وقد بيّنت أهمية الرضا في أحاديث كثيرة من بعضها هي:

(١)- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَت: {فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً مِنْ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ} [(١)].

(٢)- عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي آخِرِ وِتْرِهِ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ} [(٢)].

(٣)- عَنْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: {كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ سُمِعَ عِنْدَ وَجْهِهِ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، فَأُنْزِلَ عَلَيْهِ يَوْمًا فَمَكَثْنَا سَاعَةً، فَسُرِّيَ

١- الصحيح مسلم، ج:١، رقم الحديث: ١٠٨٥.

٢- السنن للإمام النسائي، ج:١، رقم الحديث: ١٧٥٢.

عَنْهُ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: "اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا، وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا، وَأَعْطِنَا وَلَا تَحْرِمْنَا، وَآثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا، وَارْضِنَا وَارْضَ عَنَّا} [١].

(٤)- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضى في جميع أحواله كما يبين أبو هريرة رضي الله عنه، قال: {مَا عَابَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَامًا قَطُّ إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ"} [٢].

(٥)- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {خَدَمْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ بِالْمَدِينَةِ، وَأَنَا غُلَامٌ لَيْسَ كُلُّ أَمْرِي كَمَا يَشْتَهِي صَاحِبِي أَنْ أَكُونَ عَلَيْهِ، مَا قَالَ لِي فِيهَا: أُفٍّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِي: لِمَ فَعَلْتَ هَذَا، أَوْ: أَلَا فَعَلْتَ هَذَا} [٣].

(٦)- {عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ"} [٤].

(٧)- {عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَبْتَلِي عَبْدَهُ بِمَا أَعْطَاهُ فَمَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بَارَكَ اللَّهُ لَهُ فِيهِ وَوَسَّعَهُ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ لَمْ يُبَارِكْ لَهُ} [٥].

(٨)- عَنْ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ رِضَاهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ لَهُ، وَمِنْ شَقَاوَةِ ابْنِ آدَمَ تَرْكُهُ اسْتِخَارَةَ اللَّهِ، وَمِنْ شَقَاوَةِ ابْنِ آدَمَ سَخَطُهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ لَهُ"} [٦].

١- الجامع للإمام الترمذي، ج: ٢، رقم الحديث: ١١١٩.

٢- الصحيح للإمام البخاري، ج:٣، رقم الحديث: ٣٨٨.

٣- السنن للإمام أبي داؤد، ج:٣، رقم الحديث: ١٣٧١.

٤- الجامع للإمام الترمذي، ج: ٢، رقم الحديث: ٢٨٩.

٥- المسند للإمام أحمد، ج:٩، رقم الحديث: ٤٧٢.

٦- الجامع للإمام الترمذي، ج:٢، رقم الحديث: ٢٥.

(٩)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟"، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًا، وَقَالَ: "اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ"}[١].

(١٠)- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {يَا غُلَامُ أَوْ يَا غُلَيِّمُ أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِنَّ؟ فَقُلْتُ بَلَى، فَقَالَ: "احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا"}[٢].

(١١)- عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا تُكْثِرْ هَمَّكَ، مَا يُقَدَّرْ يَكُنْ، وَمَا تُرْزَقْ يَأْتِكَ"}[٣].

(١٢)- {أوحى الله تعالى داؤد عليه السلام: "يا داؤد ليس لك عملا أحب إليّ ولا ما يسقط من وزر من الرضاء على قدري"}[٤].

١- الجامع للإمام الترمذي، ج:٢، رقم الحديث: ١٩١.

٢- المسند للإمام أحمد، ج: ٢، رقم الحديث: ٩٢٦.

٣- الشعب الإيمان للإمام البيهقي، رقم الحديث: ١١٤٤.

٤- منهاج القاصدين للإمام عبد الرحمن الجوزي، ص: ٥١٥.

(١٣)- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلْ، "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ". "اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ هَذَا الْأَمْرَ يُسَمِّيهِ بِاسْمِهِ خَيْرًا لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي قَالَ أَبُو سَعِيدٍ وَمَعِيشَتِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ". "اللَّهُمَّ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُهُ شَرًّا لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي فَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ"}(١).

(١٤)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ"}(٢).

(١٥)- عَنْ خَبَّابٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَلْتَمِسُ وَجْهَ اللَّهِ فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ، فَمِنَّا مَنْ مَاتَ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِبُهَا قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ فَلَمْ نَجِدْ مَا نُكَفِّنُهُ إِلَّا بُرْدَةً إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلَاهُ وَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ خَرَجَ رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ، وَأَنْ نَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ مِنَ الْإِذْخِرِ"}(٣).

(١٦)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، {عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ

-١ المسند للإمام أحمد، ج:٦، رقم الحديث: ٥٨٤.
-٢ الصحيح للإمام مسلم، ج:٣، رقم الحديث: ٢٩٢٩.
-٣ الصحيح للإمام البخاري، ج:١، رقم الحديث: ١٢٢٢.

لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ"}(١).

(١٧)- عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، {عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ"، قَالَتْ عَائِشَةُ: أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ، قَالَ: "لَيْسَ ذَاكِ وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ}(٢).

(١٨)- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: "يَا أَهْلَ الجَنَّةِ"، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: "هَلْ رَضِيتُمْ"، فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: "أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ"، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: "أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا"}(٣).

(١٩)- عَنْ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: {ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا"}(٤).

(٢٠)- عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ فَإِنَّكَ لاَ تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً"}(٥).

١- الصحيح للإمام البخاري، ج:٣، رقم الحديث: ١٤٢٥.
٢- المرجع السابق، ج:٣، رقم الحديث: ١٤٥٤.
٣- المرجع السابق، ج:٣، رقم الحديث: ١٤٩٦.
٤- الصحيح للإمام مسلم ج:١، رقم الحديث: ١٥٤.
٥- المرجع السابق، ج:١، رقم الحديث: ١٠٨٨.

(٢١)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، {أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا حُضِرَ الْمُؤْمِنُ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ، فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي رَاضِيَةً مَرْضِيًّا عَنْكِ إِلَى رَوْحِ اللَّهِ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ الْمِسْكِ حَتَّى أَنَّهُ لَيُنَاوِلُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ السَّمَاءِ، فَيَقُولُونَ: مَا أَطْيَبَ هَذِهِ الرِّيحَ الَّتِي جَاءَتْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، فَيَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِغَائِبِهِ يَقْدَمُ عَلَيْهِ، فَيَسْأَلُونَهُ مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ فَيَقُولُونَ: دَعُوهُ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا، فَإِذَا قَالَ: أَمَا أَتَاكُمْ؟ قَالُوا: ذُهِبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا احْتُضِرَ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ بِمِسْحٍ فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي سَاخِطَةً مَسْخُوطًا عَلَيْكِ إِلَى عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَتَخْرُجُ كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ الْأَرْضِ فَيَقُولُونَ: مَا أَنْتَنَ هَذِهِ الرِّيحَ حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ} (١).

٤- أسباب الرضاء:

هناك أسباب ثلاثة لرضاء الإنسان على قضاء الله تعالى، وقبول الابتلاء الآتي من جانب الله تعالى من صعوبات وعدم التضايق عليه. وهي كالآتي:

(١)- السبب الأول للرضاء برضاء الله سبحانه وتعالى هو معرفة الإنسان أن التدابير الإلهية أحسن من تدابيره، كما {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} (٢).

(٢)- السبب الثاني للرضاء برضاء الله تعالى سبحانه وتعالى هو عقيدة الإنسان أن الله سيعطيه أجراً في الآخرة بالرضاء على المشقات. وهذا الإحساس يقلّل الصعوبات،

١- السنن للإمام النسائي، ج:١، رقم الحديث: ١٨٣٨.

٢- الجامع للإمام الترمذي، ج: ٢، رقم الحديث: ٢٨٨.

ومثاله كمريض يرضى لاستعمال الأدوية المرّة حتى العملية الجراحية في طمع الصحة.

(٣)- السبب الثالث للرضاء أن الإنسان يرضى بالضراء والمشقات إيماناً منه بأن هذا من قِبَل محبوبه. يغلب على الإنسان الحب الإلهي إلى حد أنه لا يتألم منه لفنائه بحب الله تعالى.

(٤)- ا□ هو العليم الكامل، وهو مالك ا□كمة ا□طلقة، وهو يعرف مصالح الكون ويعرف ما هو الخير؟ ولمن؟ وعقل الإنسان ناقص. وكل ما يعطي ا□ الإنسان أو يوقف عنه يكون □صلحة ما، ولكننا لا نعرفها، وتظهر مصالح بعض الأمور أحياناً فيما بعد.

وهذا هو الدرس المستفاد من قصة موسى وخضر عليهما السلام مثل كسر السفينة وموت الأولاد خسارة في الظاهر، ولكن كُسّرت السفينة اتقاءً من الملك الظالم، والقصد من قتل الولد هو عطاء الولد الصالح وتسهيل طريق الآخرة. ولذا علينا أن نعرف إذا فشلنا في وقت من الأوقات فلا بد من خير مستور لنا من جانب الله تعالى. فيجب الرضا في كل أمور الله تعالى؛ إذ قضاءه حق وصحيح للغاية، وقدّتم بعد دراسة جميع الجوانب وفوق هذا أنه قضاء الملك الحقيقي، والسؤال عن أوامر ا□لك أمر لا يناسب.

(٥)- هل هناك سبيل أو مفر غير قبول رضاء الله تعالى؟ إذا رضينا برضاء الله تعالى فنكون في الراحة والطمانينة، وإن لم نقبل رضاء الله قلباً فنتحمل المشقة. وهو القوي الأزلي. وهوُيلزم أوامره سواء رضينا أو كرهنا، فلذا الأحسن هو الرضاء بالله لنكون في الراحة والاطمينان، ولنتقي المشقة.

(٦)- توجد حياة جديدة في كل لحظة بعد التصبغ بصبغة رضاء الله تعالى، يقول الشيخ أحمد جام:

ن تسليم راه

ہر لنہ رلفان از غيب جانی دیگر است

(المستسلمون أمام رضاء المحبوبُ يعطَون حياة جديدة كل لحظة)

(٧)- يقول الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني رحمة الله عليه: الاعتراض وقت نزول القدر موت الرضاء. والقلب المؤمن لا يعرف لماذا؟ كيف؟ فعمله هو نعم (الرضا) وعادة النفس هي النزاع[١].

٥- **طبقات أهل الرضاء:**

هناك ثلاث طبقات لأهل الرضا:

(١)- بعض الناس يتركون البكاء والجزع ويعملون الصالحات حتى أن قلوبهم تكون في حالة واحدة في جميع الأحوال التي تأتي عليهم بأمر الله سبحانه وتعالى[٢].

(٢)- وبعضهم ينظرون دائمًا إلى رضاء الله تعالى، وهم لايفكرون في رضاء الله تعالى عنهم؛ لأن الله تعالى قال رضي الله تعالى عنهم ورضوا عنه. يستوي عندهم الضيق والسعة والعسر واليسر[٣].

(٣)- وبعضهم يتقدمون أكثر من هذا ويتخيلون أن الله سبحانه وتعالى قال أنه راض من عباده المقربين، ولذاهم لا ينظرون إلى رضاء الله عن عباده، ولا رضاءهم عن الله، كما قال أبو سليمان الداراني كيف تُرضي أعمالُ العباد ا سبحانه وتعالى أو لا ترضيه، في الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى رضي عن بعض عباده فجعلهم يعملون أعمال أهل الرضاء وسخط عن بعضهم فيعلمون أعمال أهل السخط[٤].

١- فيوض يزداني مترجم الفتح الرباني للشيخ عبد القادر الجيلاني، المجلس الأول.

٢- اللمع في التصوف للشيخ أبي نصر سراج، ص: ٩٦.

٣- المرجع السابق، ص: ٩٦- ٩٧.

٤- المرجع السابق، ص: ٩٧.

٦- **أقسام الرضاء:**

قال الله سبحانه وتعالى في **القرآن الكريم**: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾[١].

يظهر من الآية القرآنية بعد التأمل فيها أن للرضاء قسمين:

(١)- رضاء الله تعالى من عباده:

يقول الشيخ عثمان علي الهجويري رحمة الله عليه أن رضاء الله تعالى على عباده أن الله يعزّ عبده أجراً على أعماله الصالحة، فرضاء الله تعالى هو كرم الله تعالى على **عبده**[٢] كما جاء في الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: {**قَالَ رَسُولُ اللَّهِ** صَلَّى اللَّهُ **عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ** اللَّهَ **قَالَ**: "مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، **وَمَا تَقَرَّبَ** إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ **حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ** بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، **وَيَدَهُ** الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، **وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ**، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي **لَأُعِيذَنَّهُ**، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ **يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**}[٣].

عندما يرضى الله سبحانه وتعالى من المؤمن فيحبه، ويجعل عدوه عدواً له وصديقه صديقاً له، حتى أنه يجد مكانة عظيمة عند الله تعالى فلا يتحرك لسانه إلا بذكر الله سبحانه وتعالى، ولا تنظر عينه إلا إلى قدرة الله سبحانه، ولا تسمع أذنه إلا لأوامر الله تعالى ولا تتحرك رجله إلا لله سبحانه وتعالى.

١- سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

٢- التصوف والتصورات للصوفية للأستاذ الدكتور أحمد صديقي، ص: **٣٧٣**.

٣- الصحيح للإمام البخاري، ج: ٣، رقم الحديث: ١٤٤٩.

(٢)- رضاء العبد من الله سبحانه وتعالى:

المراد من رضاء العبد هو أن يعمل بأوامر الله تعالى طوعاً، ويكون نظر العبد إلى اختيار الله تعالى؛ لأن العبد يعرف أن الله يصطفي له خيراً فيرضى به. وعندما ترضى نفسه بالله تعالى فيتوكل عليه، ويُطيع أوامره ويطمئن بربوبيته ويعتمد على ألوهيته، ويستسلم أمام قضائه، ويقدم رضاء الله تعالى على رضائه، وهو الموفق للأعمال. ولا يرضى برضاء الله إلا من يستسلم أمام قضائه طوعاً سواءً كان يسرا (نعمة) أو عسرا (ابتلاء). والرضاء بالرضاء الإلهية هو وصف الصوفية والعارف.

٧- **مراحل الرضاء:**

يقول الإمام الشعراني رحمة الله عليه إن الرضاء مقام من مقامات السالك، ويحصل السالك هذا المقام بعد عبور ثلاث مراحل. وهذه المراحل الثلاثة هي:

(١)- المرحلة الأولى: تظهر هذه المرحلة حينما لا يُظهر السالك المصائب والمشقات التي تأتي إليه ولا يشتكي إلى أحد سواءً كان صديقاً أو عدواً، ويكون راضياً برضاء ربه، في كل مصيبة. على السالك أن يتصور كل مصيبة والمشاكل ابتلاء من الله سبحانه وتعالى، ويُخفي من المخلوق وأن لا يشتكي إلى أحد، وأن يتصور المصائب ابتلاء من ربه ويحاول النجاح فيه.

(٢)- المرحلة الثانية: أن يعتقد السالك أن المصائب النازلة لا تخلو من الصور الثلاثة التالية:

(i)- هذه المصائب كفارة لذنوبه.

(ii)- أنها عقاب الذنوب السابقة.

(iii)- هذه المصيبة سبب للزيادة في الحسنات.

بيّن الإمام الشعراني رحمة الله عليه تجربته الذاتية قائلاً إن جسمي واجه صعوبات

متواصلة فتخيّلتها نعمة الله؛ لأن الصعوبات والمشقات لو كانت عقابا للذنوب السابقة فبها ونعم لكونها كفارة للذنوب، ولو كانت لرفع الدرجات أيضاً فبها، وهكذا لا يخلو الابتلاء من ثلاث صور[١].

(٣)- **المرحلة الثالثة**: أن تستوي المصيبة والنعمة كلتاهما؛ لأنه يعرف أن كلتيهما من الله سبحانه وتعالى يقول سبحانه: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[٢].

٨- **درجات الرضاء:**

عند الصوفية ثلاث درجات للرضاء:

(١)- **الرضاء**: هو أن لا يعترض الإنسان على قدر الله سبحانه وتعالى.

(٢)- **التسليم**: يوجد في التسليم تصرفات، أي أن الإنسان يعمل شيئاً في التسليم **ولو** كان هذا العمل يتعلق بالفكر ودرجة التسليم أعلى من درجة التفويض. وفي **القرآن الكريم**: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾[٣].

(٣)- التفويض: هو أن يتوكل الإنسان بعد الأخذ بالأسباب الممكنة والتدابير اللازمة ويفوّض أموره إلى الله باعتبار النتائج، وأن لا يعترض على قضاء الله تعالى. **وهذا** هو التفويض: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[٤].

ذكر في الآية مقام تفويض سيدنا يعقوب **عليه السلام** أموره إلى الله سبحانه وتعالى.

١- مقامات السلوك للدكتور عبد الرحمن عميره المصري، ص: ٨٦.

٢- سورة النساء، الآية: ٧٨.

٣- سورة آل عمران، الآية: ٢٠.

٤- سورة الغافر، الآية: ٤٤.

٩- **أقوال الصوفياء في الرضاء:**

(١)- يقول الجنيد رحمة الله عليه: **الرضاء هو رفع** الاختيار الذاتي[١].

(٢)- يقول ا□ارث رحمة الله عليه: هو سكينة القلب على جَرْي حكم الله تعالى[٢].

(٣)- يقول ذو النون المصري رحمة الله عليه الرضاء هو حصول فرح القلب على قضاء الله تعالى[٣].

(٤)- يقول ابن عطا رحمة الله عليه: **ا□راد من الرضا أن تركّز ء□ القلب** على اختيار الله تعالى هو حاصل منذ الأزل ويعرف أن الذي اختار الله له هو الأفضل له، ولذا يرضى العبد به ويترك السخط[٤].

(٥)- يقول السيد أبو بكر الواسطي رحمة الله عليه عليك أن تأتي الرضاء إلى العمل، ولا تعطيه فرصة لأن يستعملك، وإلا ستكون في حجاب مستور عن مشاهدة ا□قيقة وتذوق اللذة[٥].

(٦)- يقول الشيخ المحاسبي رحمة الله عليه الرضاء هو نتيجة الحب، والمحب يرضى ما يفعل المحبوب، يفني المحب اختياره ويفرح على كل قول المحبوب[٦].

(٧)- يقول مير واعظ الكاشفي رحمة الله عليه المراد من الرضاء هو:

(i)- أن يرضى العبد على ما يأتي من القدر الإلهي.

١- اللمع في التصوف للشيخ أبي نصر سراج، ص: **٩٦**.

٢- التعرف للإمام أبي بكر أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب البخاري الكلاباذي، ص: **١٥٧**.

٣- اللمع في التصوف للشيخ أبي نصر سراج، ص: **٩٦**.

٤- المرجع السابق، ص: **٩٦**.

٥- المرجع السابق، ص: **٩٦**.

٦- التصوف والتصورات للصوفياء لأستاذ الدكتور ظهير أحمد صديقي، ص: **٣٧٣**.

(ii)- ينبغي علينا أن نعرف أنه لا توجد للقضاء جُنّة خيراً من رضائنا.

(iii)- الذي يخضع أمام عتبة الرضاء والاستسلام فهو يفوز على كرسي الرئاسة والزعامة.

(٨)- يقول أبو سليمان الداراني رحمة الله عليه: إذا سلا العبد عن الشهوات فهو راض.

(٩)- يقول يحي بن معاذ رحمة الله عليه: لا يصل الإنسان إلى مقام الرضاء إلا إذا عمل بأربعة أصول وهي كالآتي:

(i)- أن يدعو الإنسان ربه ويقول إن أعطيتني فأقبل.

(ii)- وإن منعتني فأكون راضياً أيضاً.

(iii)- وإن طردتني من جنابك فلا أعبد غيرك.

(iv)- وإن دعوتني إلى جنابك فألبّي دعوتك وأحضر.

(١٠)- يقول أبو النصر آبادي رحمة الله عليه: من أراد أن يبلغ محل الرضا فيلزم ما جعل الله رضاه فيه[1].

(١١)- يقول الشيخ عبد الواحد بن زيد رحمة الله عليه أن الرضاء باب الله الكبير ودنيا الجنة[2].

(١٢)- يقول أبو على الدقاق رحمة الله عليه: ليس الرضا أن لا تحس بالبلاء، إنما الرضا أن لا تعترض على الحكم والقضاء[3].

(١٣)- يقول الشيخ عبد الله الأنصاري رحمة الله عليه إن الرضاء هو الفرح والحب، وهذا عبارة عن ثلاثة أشياء:

١- الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ٢٤٨.

٢- المرجع السابق، ص: ٢٤٨.

٣- المرجع السابق، ص: ٢٤٨.

(i)- هو رضاء الإنسان بدين الله كما أنزل.

(ii)- هو الرضاء بقدر الله تعالى ورزقه.

(iii)- الرضاء برب العا□□[١].

(١٤)- قال أبو بكر بن طاهر رحمة الله عليه: **الرضا: إخراج الكراهية من القلب، حتى لا** يكون فيه إلا فرح وسرور[٢].

(١٥)- يقول ابن الخفيف رحمة الله عليه:**الرضا**: سكون القلب إلى أحكامه، وموافقة القلب بما رضي الله به واختاره له[٣].

(١٦)- تقول رابعة البصرية رحمة الله عليها: متى يكون العبد راضيا؟ فقالت: إذا سرته المصيبة كما سرّته النعمة[٤].

(١٧)- قال أبو عمر الدمشقي رحمة الله عليه: الرضاء ارتفاع الجزع في أي حكم كان[٥].

(١٨)- وقال رويم رحمة الله عليه: **الرضا**: أن لو جعل الله جهنم على يمينه **ما سأل** أن يحولها إلى يساره[٦].

(١٩)- قال رويم رحمة الله عليه: **الرضا: استقبال الأحكام بالفرح**[٧].

(٢٠)- وقال المحاسبي رحمة الله عليه: **الرضا**: سكون القلب تحت مجاري الأحكام[٨].

١- صد ميدان للشيخ خواجه عبد الله الأنصاري الهروي، ص: ٥٨.

٢- الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ٢٤٩.

٣- اللمع في التصوف للشيخ أبي نصر سراج، ص: ٩٦.

٤- الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ٢٤٩.

٥- المرجع السابق، ص: ٢٤٩.

٦- المرجع السابق، ص: ٢٥٠.

٧- المرجع السابق، ص: ٢٥٠.

٨- المرجع السابق، ص: ٢٥٠.

(٢١)- قال النوري رحمة الله عليه: **الرضا:** سرور القلب بمر القضاء[١].

(٢٢)- **يقول الشيخ** أبو النجيب ضياء الدين السهروردي رحمة الله عليه: **الرضا هو التلذذ** على الابتلآت الآتية من جانب الله[٢].

(٢٣)- يقول ابن العياض رحمة الله عليه: أن يستوي عند الإنسان عطاء الله تعالى ومنعه[٣].

(٢٤)- يقول الشيخ ابن عجيبة رحمة الله عليه: **الرضا هو استقبال المصائب** مبتسماً، والاطمينان عند نزول القضاء، وعدم النقد على قضاء الله وقدره وإظهار انشراح الصدر على ذلك[٤].

(٢٥)- يقول السيد على الهجويري رحمة الله عليه: **الرضاء هو خضوع الإنسان أمام أحكام ربه بكل رغبة قلبية وفرح.** وأن يرضى بأوامره في كل حال سواء كان الحكم **بالإنعام أو بالحرمان**[٥].

١٠- **بعض أحداث الرضاء الإلهي ووقائعه:**

طلباً للاتعاظ والنصيحة نُتذكر بعض أحداث شيوخ الإسلام.

(١)- حضر عزرائيل عليه السلام لقبض روح سيدنا إبراهيم **عليه السلام فسأله إبراهيم** عليه السلام، هل رأيت خليلاً يُميت خليله؟ فأوحاه الله تعالى يا خليلي**! هل رأيت** محبا يكره لقاء المحبوب؟ فقال إبراهيم **عليه السلام:** يا ملك الموت اقبض روحي

١- المرجع السابق، ص: ٢٥٠.
٢- آداب المريدين للشيخ ضياء الدين السهروردي، ص: ٣٧.
٣- قوت القلوب للشيخ أبي طالب محمد بن عطية حارثي المكي، ج:٢، ص: ١٤٨.
٤- سكون القلب، للشيخ أشرف على التهانوي، ص: ٢٦٣.
٥- كشف المحجوب للسيد على الهجويري، ص: ٢٤.

الآن، أنا راض برضاء ربي[١].

(٢)- **إن قوم موسى عليه السلام قالوا له:** سل لنا ربك أمرًا إذا نحن فعلناه يرضى به **عنا، فقال موسى عليه السلام:** إلهي قد سمعت ما قالوا، فقال يا موسى قل لهم يرضون عني حتى أرضى عنهم[٢].

(٣)- **يقول سعيد بن المسيب** رضى الله تعالى عنه نصح لقمان ابنه يا بُنيّ عليك أن ترضى برضاء الله تعالى سواء كنت تحبه أو لا تحبه وتعتقد أن الخير فيما وقع. **فقال ابنه** كيف أقبل كلامك قبل أن أعرف صحته، قال لقمان رحمة الله عليه **تعال نذهب إلى** رسول الزمان أنه سيصدق كلامي أجاب الابن صحيح، فركبا على مركبها واستمرا في السفر بضعة أيام حتى مرّا بالصحراء فتضايقا من الحر الشديد حتى انتهى الطعام والماء الموجود معهما.

صار الحمار منه **وكان** بسبب التعب الشديد فبدءا يمشيان حتى أن لقمان رأى أمامه **دخانًا أسود، ففكّر أن السواد أشجار والدخان علامة العمران فتوجها إليه.**

وبينما كانا يمشيان أصاب العظم الموجود على الأرض **رجل ابنه حتى أنه خرج من الطرف الآخر، فاغمى** على الابن بسبب الألم الشديد فأخذ لقمان ابنه وأخرج العظم من رجله وعقد عمامته في رجله.

ذرفت عينا لقمان عند ما رأى حالة ابنه، فسأل الابن حينما رأى **والده** يا أبي أنت تعتقد أن هذه الحادثة خير لي فلماذا تبكي؟ أجاب لقمان رحمة الله عليه **يا بُنيّ أنا والدك وأن هذه الدموع بسبب حب الوالد وما تقول كيف تكون هذه الحادثة فيها** خير لي؟ يمكن أن الله نجّاك من مصيبة أكبر من هذه المصيبة وأن الله نجّاني من

١- إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد الغزالي، ج: ٤، ص: ٤٤٢.

٢- قوت القلوب للشيخ أبي طالب محمد بن عطية الحارثي المكي، ص: ١٤٥.

مصيبة ربما تكون أكبر من هذه المصيبة. فلذا إنني راض من الله في كل حال.

نظر لقمان إلى الدخان مرة أخرى فلم يجد علامة ما للقرية أو للعمران، ففكّر في قلبه العمران الذي رأيته بعيني ربما كان وهماً، وكان مشغولاً في هذا فظهر راكب يلبس لباساً أبيض وكانُ يسرع فرسه وكان لقمان ينظر إليه ففجأة غاب عن العيون وجاء صوت من بعيد:

الصوت: هل أنت لقمان رحمة الله عليه؟

لقمان رحمة الله عليه: نعم اسمي لقمان رحمة الله عليه.

الصوت: ماذا يقول ابنك؟

لقمان رحمة الله عليه: يا عبد الله من أنت؟ أسمع كلامك ولكنني لا أرى وجهك.

الصوت: أنا جبريل عليه السلام لا يراني إلا نبيٌّ، وماذا قال ابنك؟

لقمان رحمة الله عليه: ألا تعرف؟

جبريل عليه السلام: **أنا لا أعلم أمر ابنك**. جاء الملكان كما المؤكلان وبيّنا حالكما. فقد أمرني الله سبحانه وتعالى أن أنزل بعذاب على هذه القرية **فدعوت ا سبحانه** وتعالى أن ينجّيكما فحفظكما الله. لو لم يصب عظم في رجل ابنك لوصلتم إلى تلك **القرية اهلكة**[1].

(٤)- رأى سيدنا علي عدّي بن حاتم رضي الله تعالى عنهما **حزيناً فسأله: يا عدي ماذا** حدث؟ أراك حزيناً ومضطرباً؟ أجاب عدي قُتل ولدي، وضاعت عيني فحزنت. فقال علي رضي الله تعالى عنه يا عدي كن راضياً بقضاء الله تعالى فتؤجر في الآخرة. والذي لا يرضى بقضاء الله تعالى فيجري عليه أمر الله، ولكن لا يكون له أجرٌ في

١- منهاج القاصدين، للإمام عبد الرحمن ابن الجوزي، ص: ٥٦٠.

الآخرة[١].

(5)- **خرج سيدنا صهيب الرومي** رضي الله تعالى عنه بنية الهجرة من مكة المكرمة، فصدّت قريش سبيله، وقالوا لا تستطيع أن تذهب إلى المدينة المنورة. فقال لهم أنتم تعرفونني أنني من أمهر الرماة بينكم، أنتم لن تستطيعوا أن تقتربوا إليّ مادام عندي رمح واحد في جعبتي. حينما تنتهي رماحي ساقاتلكم بسيفي **حسب استطاعتي** لهذا، فإن عجزت عن حمل السيف فافعلوا بي ما تشاؤون فلا أبالي. **إن كنتم** تريدون مالي تعالوا أخبركم عن مكان مالي فاذهبوا إليه، وخذوا وخلوا سبيلي لأهاجر إلى النبي الكريم صَلَّى اللهُ **عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقبلوا كلامه.**

وصل صهيب رضي الله تعالى عنه إلى المدينة خالي اليد لصيانة دينه وإيمانه بعد **ما** سلّم جميع ماله إلى الكفار،حكى قصته لرسول الله صَلَّى اللهُ **عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ما** وصل إلى المدينة المنورة، فقال له الرسول صَلَّى اللهُ **عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ربحت يا أبا يحيى، ربحت يا أبا يحيى[٢].

(٦)- **عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: {أَنَّهُ زَوَّجَ أُخْتَهُ **رَجُلًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ** عَلَى عَهْدِ **رَسُولِ** اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَتْ عِنْدَهُ مَا كَانَتْ ثُمَّ طَلَّقَهَا تَطْلِيقَةً لَمْ يُرَاجِعْهَا حَتَّى انْقَضَتْ الْعِدَّةُ فَهَوِيَهَا وَهَوِيَتْهُ ثُمَّ خَطَبَهَا مَعَ الْخُطَّابِ **فَقَالَ لَهُ يَا لُكَعُ أَكْرَمْتُكَ** بِهَا وَزَوَّجْتُكَهَا فَطَلَّقْتَهَا وَاللهِ **لَا تَرْجِعُ إِلَيْكَ أَبَدًا آخِرُ مَا عَلَيْكَ قَالَ فَعَلِمَ** اللهُ حَاجَتَهُ إِلَيْهَا وَحَاجَتَهَا إِلَى بَعْلِهَا فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ

١- تفسير الدر المنثور لجلال الدين السيوطي، تفسير سورة البقرة، الآية: **٢٠٧.**

٢- المرجع السابق، تفسير سورة البقرة، الآية: **٢٠٧.**

أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾[1] فَلَمَّا سَمِعَهَا مَعْقِلٌ قَالَ سَمْعًا لِرَبِّي وَطَاعَةً ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ أُزَوِّجُكَ وَأُكْرِمُكَ} [2].

(٧)- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: {خَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جُلَيْبِيبٍ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى أَبِيهَا، فَقَالَ: حَتَّى أَسْتَأْمِرَ أُمَّهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَنَعَمْ إِذًا قَالَ: فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ إِلَى امْرَأَتِهِ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا، فَقَالَتْ: لَاهَا اللَّهُ إِذًا، مَا وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا جُلَيْبِيبًا وَقَدْ مَنَعْنَاهَا مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانٍ؟ قَالَ: وَالْجَارِيَةُ فِي سِتْرِهَا تَسْتَمِعُ. قَالَ: فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ يُرِيدُ أَنْ يُخْبِرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ، فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ: أَتُرِيدُونَ أَنْ تَرُدُّوا عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَهُ؟ إِنْ كَانَ قَدْ رَضِيَهُ لَكُمْ، فَأَنْكِحُوهُ قَالَ: فَكَأَنَّهَا جَلَّتْ عَنْ أَبَوَيْهَا، وَقَالَا: صَدَقْتِ. فَذَهَبَ أَبُوهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ قَدْ رَضِيتَهُ فَقَدْ رَضِينَاهُ. قَالَ: فَإِنِّي قَدْ رَضِيتُهُ. فَزَوَّجَهَا، ثُمَّ فُزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ، فَرَكِبَ جُلَيْبِيبٌ فَوَجَدُوهُ قَدْ قُتِلَ، وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ قَتَلَهُمْ. قَالَ أَنَسٌ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهَا وَإِنَّهَا لَمِنْ أَنْفَقِ ثَيِّبٍ فِي الْمَدِينَةِ} [3].

(٨)- كان سيدنا حسين رضي الله تعالى عنه فائزاً بمقام الرضاء استشهد السيد على الأصغر في يده، وحمل جثة على الأكبر في يده. وكان الأطفال يتعطشون ومات جميع أفراد الأسرة واحداً واحداً، وكان يحمل جثث موتاه، ضبط نفسه، ولم يتهوّر ولم يشتك إلى الله سبحانه وتعالى. وواجه الابتلاء بكل استقامة ورضي بالرضاء في كل حال.

(٩)- وكان الغلام عتبة يقضي ليلة كاملة قائمًا وكان يقول اللهم إن تعذبني أحبك أو

١- سورة البقرة، الآية: ٢٣٢.

٢- الجامع للإمام الترمذي، ج:٢، رقم الحديث: ٩١٥.

٣- المسند للإمام أحمد، ج:٥، رقم الحديث: ١٣٨٤.

تغفرلي فأحبك[١].

(١٠)- يقول أبو عثمان حيري رحمة الله عليه مضت أربعين سنة جرت على المقام الواحد الذي أعطاني ربي ولم أسخط عليه قط، وإذا نُقلت من مقام آخر ما أحسست با□زن أو الغم[٢].

(١١)- وفي رواية إسرائيلية أن عابداً عبد ربه مدة طويلة، فرأى في المنام أن المرأة الفلانية تكون زوجة لك فبدأ العابد يبحثها فوجدها في الأخير. **استأذن العابد من ا□رأة** ليكون ضيفاً عندها ليعلم حالها. رأى العابد أن المرأة تنام طول الليل ولا تصوم **النهار**. سأل العابد المرأة، ما هي العبادة التي تعبدينها؟ أجابت المرأة لا أقوم بعبادة **إلا ما رأيتها. فكّر**ر العابد سؤاله، فأخيراً قالت المرأة لسيت لي عبادة خاصة ولكن لي عادة هو إذا ابتلاني الله بضيق فأصبر وأكون راضياً في هذه الحالة. **وإذا أمرضني** ربي فأتحمله راضية برضاء ربي. فلما سمع العابد كلام المرأة قال العابد فوالله إن هذا عمل عظيم حُرم منه العابدون[٣].

(١٢)- كان الإمام أبو حنيفة رحمة الله عليه تاجراً كبيراً، قال له غلامه مرة إن السفينة التي تأتي بالبضائع التجارية قد غرقت، ويمكن أن تكون هناك خسارة كبرى، فسكت الإمام أبو حنيفية دقائق ثم قال الحمد لله ألف مرة. بعد مدة جاء الخبر أن السفينة التي غرقت لم تكن لإمام أبي حنيفة بل هي لتاجر آخر، وأن سفينة أبي حنيفة وصلت إلى الشاطيء واكتسبت نفعاً عظيماً. فأخبره الخادم فرحاً، فقال أبو حنيفة أشكرك اللهم وأنا راض برضائك على كل حال.

١- الرسالة القشيرية لأبي القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ٢٥٠.

٢- قوت القلوب للشيخ أبي طالب محمد بن عطية حارثي المكي، ج:٢، ص: ١٤٤.

٣- المرجع السابق، ج:٢، ص: ١٤٤.

سأل الخادم ما مفهوم الشكر في غرق السفينة؟ قال أبو حنيفة أنني نظرت إلى قلبي في الحالتين فعلمت أن القلب لم يتأثر من الخبر السار والمحزن. وقال القلب أن المال لله أخذه الله تعالى. وفي المرأة الثانية عندما وصل خبر وصول السفينة إلى الشاطيء والربح الكثير قال القلب أن المال لله. حدثت الخسارة بمشية الله تعالى وربحنا بمشية الله تعالى. شكرت الله تعالى لأنه هو المعطي والآخذ، وأنا راضٍ برضائه، فلذا شكرت في كلتا الحالتين.

(١٣)- سئل ذوالنون المصري رحمة الله عليه كيف حالك؟ فقال: أنا في سرور كامل، وكم يكون سرور شخص لا يحدث في الدنيا خلاف رغبته، بل كل ما يحدث في الدنيا يحدث حسب رغبتي. سأله السائل لم يحدث في الدنيا حتى الآن بأن يحدث جميع الشؤون حسب رغبة شخص. وكيف حصلت هذا المقام؟ أجاب ذوالنون المصري أنني افنيت رضائي على رضاء الله تعالى. فما مقدار فرح رجل يتم جميع الأمور حسب رغبته. ولا يقترب إليّ اضطراب. والاضطراب يكون لشخص تتم الأمور خلاف رغبته[١].

(١٤)- مرض عمران بن الحصين رحمة الله عليه وكان مبتلاً بمرض لمدة مديدة ولا يستطيع القيام ولا القعود، وتم انتظام قضاء الحاجة على سريره بعد قطع حبال السرير. ذهب أخوه لعيادته فبدأ يبكي بعد رؤيته.

سأل عمران الحصين رحمة الله عليه لماذا تبكي؟ أجاب أخوه أبكي عندما رأيت حالتك. فقال له أنا راضٍ على حالي ولو جعلني في أي حال. أنا فديت رضائي في رضاء الله تعالى، واستمع جيداً إن الملائكة تأتي لزيارتي، أنا أحبهم ويسلمون عليّ، وأسمع سلامهم[٢].

١- *تقدیر پر راضی رہنا چاہیے*، لمولانا تقي العثماني، ص: ٣٨ - ٣٩.

٢- قوت القلوب للشيخ أبي طالب محمد بن عطية الحارثي المكي، ج:٢، ص: ١٥٦.

(١٥)- هناك قصة لشيخ يسكن في الغابة وكان معه حمار يحمل عليه أمتعته وله كلب يحافظ على أمواله ومواشيه، وله دجاجات. بقدرة ا جاءت ثعلبة وذهبت بالدجاجة، فبدأت زوجته تبكي على ذهاب الدجاجة متأسفة، فقال الشيخ عليك أن ترضي برضاء الله، وفيه خير. بعد أيام جاء نمر، واصطاد الحمار فحزنت زوجته مرة أخرى، فقال الشيخ فيه خير، فلا ضرورة للجزع والفزع. وبعد أيام مات الكلب فحزنت الزوجة مرة ثالثة فقال الشيخ نفس الكلام لا تحزني وفيه خير.

يقال بعد أيام جاء جنود في هذه المنطقة للسلب والنهب، وشنّت الغارة على جميع بيوت المنطقة وأُسر أفراد الأسرة، ولم يبق أحد من ظلمهم إلا هذا الشيخ وزوجته؛ لأن الجنود يعرفون البيوت إما بنباح الكلب أو حركة الحمار أو صوت الدجاج. فقال الشيخ لزوجته أن هذه الحيوانات صارت سبباً لهلاك هؤلاء البدويين. ففضل ا علينا أن حيواناتنا الثلاثه ماتت قبل هذه الحادثة، وإلا لابتلينا بهذه المصيبة[1].

(١٦)- يقول الشيخ السعدي رحمة الله عليه أن غلاماً عصى الملك وفّر، عندما قُبض بحكم الملك أصدر حكما بقتله. حينما أخرج الجلاد سيفه فبدأ الغلام يدعو للملك اللهم إني استفدت من آلاف نعم الملك فأصدر اليوم أمر القتل، فأعفو نفسي لئلا يؤخذ يوم القيامة بدل قتلي ويفرح الأعداء. سمع الك دعاء الغلام وأرجع اكم، فبدأ يقّبل جبهة الغلام وأكرمه بالهدايا والمنح. إذا عومل مع احسن معاملة التسليم والرضاء تعفى الذنوب الكبيرة. وإذا كان العبد محسنا إلى هذا الحد فمن يستطيع أن يقدر رحمة الله وكرمه[2].

***

١- سكون القلب للشيخ أشرف على التهانوي، ص: ٢٧٨.

٢- حكايات سعدي، حكايات رقم: ١٠٥.

٦

مقام التوكل



١ - **مفهوم التوكل:**

(١)- **معنى التوكل لغة هو الاعتماد** على أحد. وفي اصطلاح الإسلام يشمل فيه الاعتماد على الله تعالى، وجعله إلها ووكيلاً له والرجاء له في نتيجة كل شيء. **ولكن ليس المقصود من التوكل القيام** بماوراء الأسباب، ونفي الوسائل المادية، والاحتراز عن التدبير أبداً. وكذلك ليس المراد منه الاعتماد الكلي للإنسان على تدبيره والاتكاء المحض على الأسباب. والطريقة الأولى تؤدي إلى عدم العمل والكسل والعجز، والثانية تؤدي إلى التكبر والإلحاد والاضطراب والمادية. والتوكل في تصور **الإسلام هو التوسط بين هذين الرأيين.**

والتوكل هو ترك نتيجة العمل إلى الله تعالى بعد استخدام **نعمة العقل والفراسة،** مراعياً حدود الشريعة، معتقداً على الله سبحانه وتعالى اعتقاداً كاملاً.

(٢)- **سأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** جبريل ما التوكل؟ فأجاب التوكل هو العلم على أن المخلوق لا يضر ولا ينفع، وأن لا يطمع في نصرة الناس والمال. **وإذا صار العبد** متصفاً بهذه الصفة فلا يعمل لغير الله سبحانه وتعالى، ولا يطمع في غير الله. وهذه الحقائق هي حدود التوكل[١].

(٣)- يوجد فهم خاطئ عن التوكل أنه الاحتراز عن التدبير، والأصل أن السيرة النبوية صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعلّمنا التدبير والأخذ بالأسباب. فاختيار طريق مخالف أثناء الهجرة من مكة إلى المدينة، وإخفاء الأمر والاستعانة بالهادي، واللجوء في غار ثور وغيرها كلها تدابير. وكذلك اختيار الميدان في غزوة بدر، والخروج من المدينة في أُحد وحفر الخندق في غزوة الأحزاب وغيرها كانت كلها وسائل ضرورية **استعملها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في الحرب.

١- **بحار الأنوار** للملاّ محمد باقر مجلسيي، ج: ١٥، ص: ١٤، طبع قديم.

عَنْ أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: {قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ: "اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ}[1].

(٤)- عَنِ الْأَزْرَقِ بْنِ قَيْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {كُنَّا عَلَى شَاطِئِ نَهَرٍ بِالْأَهْوَازِ قَدْ نَضَبَ عَنْهُ الْمَاءُ، فَجَاءَ أَبُو بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيُّ عَلَى فَرَسٍ فَصَلَّى وَخَلَّى فَرَسَهُ، فَانْطَلَقَتِ الْفَرَسُ فَتَرَكَ صَلَاتَهُ وَتَبِعَهَا حَتَّى أَدْرَكَهَا فَأَخَذَهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَضَى صَلَاتَهُ، وَفِينَا رَجُلٌ لَهُ رَأْيٌ، فَأَقْبَلَ يَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ تَرَكَ صَلَاتَهُ مِنْ أَجْلِ فَرَسٍ، فَأَقْبَلَ فَقَالَ: مَا عَنَّفَنِي أَحَدٌ مُنْذُ فَارَقْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: إِنَّ مَنْزِلِي مُتَرَاخٍ فَلَوْ صَلَّيْتُ وَتَرَكْتُهُ لَمْ آتِ أَهْلِي إِلَى اللَّيْلِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ صَحِبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَرَأَى مِنْ تَيْسِيرِهِ}[2].

(٥)- مرض موسى عليه السلام بمرض، وقال الأطباء إن هناك دواءً فلانياً لهذا المرض، فقال موسى عليه السلام أنا لا آكل هذا الدواء، الله يشفيني بنفسه، فجاء الوحي من الله تعالى لا أشفيك حتى تأكل الدواء، فأكل موسى عليه السلام فشفي[3].

(٦)- إذا جلس الإنسان في الغار، والغار يكون خالياً من البشر والنبات ويكون ميداناً ويقول العبد إنني جلست فيه متوكلاً، فهذا حرام قطعي[4].

٢- حقيقة التوكل:

لمعرفة حقيقة التوكل يجب التعرف على كيفية اتمام الأمور في هذه الدنيا.

(١)- يصدر جميع الأمور والأعمال بإذن الله تعالى وحكمه.

١- الجامع للإمام الترمذي، ج: ٢، رقم الحديث: ٤١٧.

٢- الصحيح للإمام البخاري، ج:٣، رقم الحديث: ١٠٨٠.

٣- التصوف والتصورات للصوفية لأستاذ الدكتور ظهير أحمد صديقي، ص: ٣٦٣.

٤- المرجع السابق، ص: ٣٦٣.

(٢)- إن إظهار أمر الله تعالى يتم تحت ستار الأسباب. **ولكل فعل سنة وقانون عيّنه ا** تعالى. مثل جمع السحاب قبل إنزال المطر.

(٣)- وكذلك أن الله سبحانه وتعالى وضع تأثيراً خاصاً في الأشياء، مثل الحرارة في النار، والبرودة في الثلج، والموت في السمّ وغيرها **فكلها خلقت بإذن ا** تعالى.

(٤)- رغم كل هذه الحقائق أن الله سبحانه وتعالى ليس تابعاً لهذه القوانين والسنن. ربما أن كل هذه السنن من خَلْق الله تعالى فهو يستطيع أن يقوم بتبديل أو تغيير في سننه **ويعمل** بماوراء الأسباب مثل ولادة عيسى **عليه السلام** بدون الأب وخمود النار **لإبراهيم عليه السلام** وغيرها.

(٥)- حينما يخالف الله سبحانه وتعالى سننه وقوانينه تكون فيه مشيئته وحكمته وقدرته. ولكن يجب على الإنسان أن يختار السنن والأسباب والوسائل المادية والتدابير اللازمة ويعمل حسبها. أي لا يجوز لشخص قطعاً أن يقفز على النار بدون سبب ويظن أنه لا يحترق.

٣- **التوكل في ضوء القرآن الكريم:**

التوكل هو منزل السالكين إلى الله، ومقام لمؤمني التوحيد ودرجة لأهل اليقين. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى **التوكل** مرات عديدة في كتابه. ومنها ما يلي:

(١)- ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[١].

صُرّح في الآية الكريمة أن مقتضى الإيمان التوكل على الله تعالى، وهو وحدهُ يتوكل عليه؛ إذ أن ما سواه فانٍ وبدون جذر. وبيده كل شيء، وهو خالق الكون جميعاً ومالكه، وهو وحده قاضي الحاجات ومفرّج الكُرب والمعين. **وإذا نال الإنسان**

١- سورة آل عمران، الآية: ١٢٢، ١٦٠. سورة المائدة، الآية: ١١. سورة التوبة، الآية: ٥١. سورة إبراهيم، الآية: ١١. سورة المجادلة، الآية: ١٠. سورة التغابن، الآية: ١٣.

توفيقه فلا يحتاج إلى إعانة الآخرين. وإذا أراد أن يعطي عبده شيئًا فلا يستطيع أن يمنعه أحد، ولو اجتمعت الدنيا وما فيها، ولا معطي لما منعه. فلذا ينبغي علينا التوكل على الله سبحانه وحده.

(٢)- ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾[١].

بّينت الآية السابقة أهمية التوكل على الله تعالى في النفع والخسارة؛ لأنه أحسن الخالقين. ويتضح من هذا درسًا هامًا وأساسيا وهو أن أهل الإيمان ينبغي عليهم أن يعتمدوا على الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له لمواجهة الأعداء والحفاظ من شرورهم. وبيده كل شيء وهو فعال لما يريد. لا يصعب عليه شيء ولا يحجز عنه شيء. ينبغي على الإنسان أن يعمل بنية صالحة ويتوكل على الله، وبه تنفتح طرق النجاح، وهذا هو شأن المؤمن وهذا هو المطلوب منه. النية الصادقة والتوكل على الله، هما منبعان عظيمان للمؤمن. وبقدر قوة هذين الشيئين ورسوخهما في الإنسان يستحق نصرة الخالق والمالك.

(٣)- ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[٢].

يتضح من الآية أن التوكل من مقتضيات الإيمان فعلينا أن نتوكل على الله، وهو خالق الكون ومالكه، وبحكمه تتم الأمور ويحدث كل ما يريد، لا شريك له في حكم الكون وتدبير أموره. وإذا كان الأمر كذلك فمن مقتضيات العقل السليم أن يُتوكل على الله وحده لا شريك له بعد الأخذ بالأسباب والوسائل في دنيا الأسباب.

١- سورة النساء، الآية: ٨١.

٢- سورة المائدة، الآية: ٢٣.

(٤)- ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[١].

بّينت الآية أن الله تعالى خبير بالأحوال، فعلينا أن نتوكل على الله سبحانه وتعالى. **وهو الإله والمالك والمختار.** وهو جدير بالاعتماد والتوكل عليه. وبيده كل شيء والله سميع لكل أحد وهو عليم بكل شيء، وهو العليم بأحوالنا، وهو يعرف مشاكلنا ومصائبنا ولا يخفى عليه شيء **من أقوالنا وأفعالنا.**

والله تعالى هو خبير بأحوالنا فعليه نتوّكل، وبه نستعين. **وهو خالقنا ومالكنا. وهو** يحبنا حباً جماً. وبيده جميع الكون وهو يبتلي من يشاء ومتى يشاء، وينجي متى شاء **من الابتلاء.**

(٥)- ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[٢].

نستنتج النقاط **التالية من هذه الآية الكريمة:**

(i)- على المسلم أن يتوكل على الله تعالى في كل حال.

(ii)- الله سبحانه وتعالى هو المعين وقاضي الحاجات.

(iii)- يجب الاستعانة بالله تعالى فقط.

(iv)- الله رب العرش العظيم.

(v)- الله سبحانه وتعالى يكفي للمؤمنين ولو تركهم جميع الناس.

(vi)- لا معبود سوى الله سبحانه وتعالى.

(vii)- يجب علينا أن لا نعبد سواه.

(٦)- ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾[٣].

١- سورة الأنفال، الآية: ٦١.

٢- سورة التوبة، الآية: ١٢٩.

٣- سورة يونس، الآية: ٨٤.

تُرشد الآية المؤمنين بمقتضيات التوكل على الله سبحانه تعالى. فعلى المؤمن أن يتوكل على ربه إذا كان مؤمناً صادقاً. وأن لا يحول عليه خوف من أحد ولا مروءة في سبيل الحق. بل عليه أن يستبق في سبيل الله تعالى بدون الاعتناء بأحد. والتوكل بالقلب يكون على الله فقط. وهو المعين في المصائب والمشاكل. وبيده كل شيء. التوكل على الله هو من مقتضيات الإيمان اللازمة ومن مقتضياته كذلك أن يفوّض نفسه إلى ربه كلياً. وهذا التفويض هو أصل الإيمان.

(٧)- ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ﴾[١].

نصحت هذه الآية أن نتوكل على الله وحده لا شريك له. وهو جدير بالتوكل عليه، وبيده كل ما في الكون، كما أن تأثير النفع والضرر والخصائص الموجودة في الدنيا هي بيده. ولذا فالعبادة وحده.

(٨)- ﴿وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾[٢].

أرشدت الآية على البشرية أن تعتمد على الله تعالى وتثق به؛ لأنه هو الله سبحانه وتبارك يمكن للإنسان أن يتوكل عليه ويعتمد عليه. وهو خالق الكون ومالكه وحاكمه ومتصرفه. وبيده اكم والأمر. ولا يخرج في الكون شيء من قدرته وهو المتصرف. ولا يحدث في الكون شيء بدون إذن الله سبحانه وتعالى.

(٩)- ﴿قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾[٣].

ذكرت الآية الكريمة أن:

(i)- الله هو ربنا جميعا.

١- سورة هود، الآية: ١٢٣.

٢- سورة يوسف، الآية: ٦٧.

٣- سورة الرعد، الآية: ٣٠.

(ii)- الله سبحانه وتعالى هو وحده لا شريك له.

(iii)- لا معبود سواه.

(iv)- وهو جدير بالتوكل عليه والثقة به.

(v)- توكل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين على الله تعالى.

(vi)- نحن نرجع إلى الله تعالى جميعاً.

(vii)- علينا أن نحاسب أنفسنا عن الاستعداد للآخرة.

(viii)- علينا أن نخاف الله سبحانه وتعالى.

(١٠)- ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾[١].

صرّحت الآية أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يتوكلون على الله في كل مصيبة ومشكلة ويعلّمون أتباعهم ذلك. فاتضحت من الآية نقاطًا تالية:

(i)- علينا أن نتوكل على الله وحده في كل حال.

(ii)- ينبغي أن يكون من أثر التوكل على حياتنا أن كلما كانت المشاكل والنكبات عظيمة كان التوكل أعظم.

(iii)- الإيمان بنصرة الله عند الصبر على الظلم والشدائد.

(iv)- هناك أسباب عديدة للتوكل. وهي:

(أ) هدانا الله تعالى بفضله الخاص.

(ب) جعلنا الله متمسكًا بتوحيده.

١- سورة إبراهيم، الآية: ١٢.

(ت) وفقنا للسير على الصراط المستقيم.

(ث) منحنا ا تعالى الاستقامة على الإسلام.

(v)- فعلينا أن نتوكل على الله في كل حال.

(١١)- ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ﴾[١].

أرشدت الآية الكريمة إلى الطرق الصحيحة للصبر والتوكل. **وقد بيّنت الآية أسس التوكل ووسائل حصوله موضحة النقاط التالية:**

(i)- ا **سبحانه وتعالى** هو أزلي وأبدي.

(ii)- وهذا الشأن لله تعالى وحده.

(iii)- هو مالك كل حسن وهو معطي كل خير وحده لا شريك له.

(iv)- إن الله سبحانه وتعالى منزه عن كل عيب ونقص.

(v)- ينبغي الاعتماد عليه والثقة به وحده هو حي لا يموت.

(vi)- **ينبغي أن نسبح ونحمده صول التوكل وا**لاعتماد عليه.

(١٢)- ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾[٢].

نصحت الآية أنْ يُتوكل على الله ويثق به وحده. ولا يحتاج إلى معين بعد عونه. **ولا** ينبغي للذين يتوكلون على الله الخوف من الآخرين. **علم ا وحكمته كامل. وهو** قادر على كل شيء. وما ضرورة ترك بابه والخضوع أمام غيره؟ ولا **يمكن أن** يكون غيره متصفا بصفاته فمن يُتوكل عليه غير ا. فلذا الله سبحانه وتعالى وحده **لا** شريك له جدير أنْ يُتوكل عليه ويُعتمد عليه.

١- سورة الفرقان، الآية: ٥٨.

٢- سورة الأحزاب، الآية: ٣.

(١٣)- ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[١].

وضّحت الآية هذه الحقيقة عن من يكونوا محفوظين من شر الشيطان؟ ومن يكون فريسة له؟ لا يكون للشيطان سلطان على عباد الله المخلصين الذين يؤمنون بالله ويتوكلون على ربهم. إنما سلطانه على الذين يجعلون الشيطان وليا لهم وشريكاً مع الله سبحانه وتعالى. الإيمان واليقين وسعادة التوكل على الله ثروة عظيمة الشأن وسعادة لا نظير لها والتي تصون الإنسان من شر الشيطان. وفوق حفاظه من شر الشيطان أنه يفوز بسعادة الدنيا والآخرة. فالاعتماد على الله هو ضامن لفلاح الإنسان.

(١٤)- ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾[٢].

يمكن لنا أن نستنتج النقاط التالية من الآية السابقة:

(i)- ينبغي التوكل على الله وحده.

(ii)- إن الله يحب المتوكلين عليه.

(iii)- حب الله تعالى وسيلة الفوز في الدنيا والآخرة.

(iv)- فالمتوكل على الله يفوز في الدنيا والآخرة.

٤ – التوكل في الأحاديث النبوية:

بُيّنت أهمية التوكل في الأحاديث النبوية بهذا الشكل:

(١)- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ، قَالَ: "اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا

١- سورة النحل، الآية: ٩٩.

٢- سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَوْ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ"} (١).

(٢)- عَنْ الْبَرَاءِ بْنُ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، وَقُلْ: "اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَهْبَةً وَرَغْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ"} (٢).

(٣)- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ قَالَ يَعْنِي إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ: "بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ"، يُقَالُ لَهُ كُفِيتَ وَوُقِيتَ وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ} (٣).

(٤)- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قُلْتُ: {أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَاةِ؟ قَالَ: أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ، "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ"} (٤).

(٥)- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: {أَكْثَرْنَا الْحَدِيثَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ ثُمَّ غَدَوْنَا إِلَيْهِ، فَقَالَ: عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ اللَّيْلَةَ بِأُمَمِهَا فَجَعَلَ النَّبِيُّ يَمُرُّ وَمَعَهُ الثَّلَاثَةُ وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الْعِصَابَةُ وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ النَّفَرُ وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى مَرَّ عَلَيَّ مُوسَى مَعَهُ كَبْكَبَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَعْجَبُونِي، فَقُلْتُ مَنْ

١- الصحيح للإمام البخاري، ج:١، رقم الحديث: ١٠٧٢.

٢- السنن للإمام أبي داؤد، ج:٣، رقم الحديث: ١٦٣٨.

٣- الجامع للإمام الترمذي، ج:٢، رقم الحديث: ١٣٧٩.

٤- الصحيح للإمام البخاري، ج:١، رقم الحديث: ٢٠٤٣.

هَؤُلَاءِ؟ فَقِيلَ لِي هَذَا أَخُوكَ مُوسَى مَعَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ. قَالَ: قُلْتُ فَأَيْنَ أُمَّتِي: فَقِيلَ لِي انْظُرْ عَنْ يَمِينِكَ فَنَظَرْتُ فَإِذَا الظِّرَابُ قَدْ سُدَّ بِوُجُوهِ الرِّجَالِ ثُمَّ قِيلَ لِي انْظُرْ عَنْ يَسَارِكَ فَنَظَرْتُ فَإِذَا الْأُفُقُ قَدْ سُدَّ بِوُجُوهِ الرِّجَالِ، فَقِيلَ لِي أَرَضِيتَ؟ فَقُلْتُ: رَضِيتُ يَا رَبِّ رَضِيتُ يَا رَبِّ، قَالَ: فَقِيلَ لِي إِنَّ مَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِدًا لَكُمْ أَبِي وَأُمِّي إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنْ السَّبْعِينَ الْأَلْفِ فَافْعَلُوا، فَإِنْ قَصَّرْتُمْ فَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الظِّرَابِ، فَإِنْ قَصَّرْتُمْ فَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الْأُفُقِ، فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ ثَمَّ نَاسًا يَتَهَاوَشُونَ فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ ادْعُ اللَّهَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْ السَّبْعِينَ فَدَعَا لَهُ فَقَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ ادْعُ اللَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ قَدْ سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ قَالَ ثُمَّ تَحَدَّثْنَا فَقُلْنَا مَنْ تَرَوْنَ هَؤُلَاءِ السَّبْعُونَ الْأَلْفُ قَوْمٌ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ لَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا حَتَّى مَاتُوا فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "هُمْ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ"} (١).

(٦)- عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا"} (٢).

(٧)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي} (٣).

(٨)- عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

١- المسند للإمام أحمد، ج:٢، رقم الحديث: ١٨٧٥.

٢- السنن للإمام ابن ماجه، ج: ٣، رقم الحديث: ١٠٤٤.

٣- الجامع للإمام الترمذي، ج: ٢، رقم الحديث: ٢٧٧.

"لَيْسَ الزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ، وَلَا فِي إِضَاعَةِ الْمَالِ، وَلَكِنَّ الزَّهَادَةَ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَا تَكُونَ بِمَا فِي يَدَيْكَ أَوْثَقَ مِنْكَ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ، وَأَنْ تَكُونَ فِي ثَوَابِ الْمُصِيبَةِ إِذَا أُصِبْتَ بِهَا، أَرْغَبَ مِنْكَ فِيهَا لَوْ أَنَّهَا أُبْقِيَتْ لَكَ"} (١).

(٩)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، {عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ"} (٢).

(١٠)- عَنْ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ رَأْسَ الدَّجَّالِ مِنْ وَرَائِهِ حُبُكٌ حُبُكٌ فَمَنْ قَالَ أَنْتَ رَبِّي افْتُتِنَ وَمَنْ قَالَ كَذَبْتَ رَبِّيَ اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ فَلَا يَضُرُّهُ أَوْ قَالَ فَلَا فِتْنَةَ عَلَيْهِ"} (٣).

(١١)- عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنِ اكْتَوَى أَوِ اسْتَرْقَى فَقَدْ بَرِئَ مِنَ التَّوَكُّلِ"} (٤).

٥- أركان التوكل:

للتوكل ثلاثة أركان:

(١)- المعرفة: الركن الأول للتوكل هو المعرفة. أي التوحيد الذي يكون إقراره بكلمة التوحيد لا إله إلا الله، هو أحد لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. وفيه إقرار على أن الله سبحانه وتعالى له المثل الأعلى في القدرة والحكمة، ولذا يستحق الحمد. فالذي أقرّ بالصدق والإخلاص يترسخ الإيمان في قلبه، وتنشأ فيه حالة التوكل.

١- السنن للإمام ابن ماجه، ج: ٣، رقم الحديث: ٩٨٠.

٢- الصحيح للإمام مسلم، ج:٣، رقم الحديث: ٢٦٦١.

٣- المسند للإمام أحمد، ج:٦، رقم الحديث: ٢٠٧٦.

٤- الجامع للإمام الترمذي، ج:١، رقم الحديث: ٢١٤٩.

حينما تتفتح مادة التوحيد في القلب يأنس بها قلب الإنسان، ويكتسب معرفة صفات الله فُيعرض القلب عما سوى الله تعالى ويتوجه إليه. **والعارف يعتقد بأن الله** تعالى هو المؤثر وغيره لا تأثير له. **والتوكل يكون نتيجتها (المعرفة)** اللازمة.

(٢)- الحال: الركن الثاني للتوكل هو الحال. والمراد منه أن يُفوض العبد أمره إلى الله ويجعل قلبه مطمئناً بعدم الالتفات إلى ما سوى الله تعالى. ومثاله من يجعل له محامياً متخصصاً في دعواه وقضيته ويطمئن ويكون فارغ البال؛ لأنه يعتقد أن المحامي صاحب فهم وناصح له، وهو لا يترك المخالف للغلبة عليه. **فكذلك إن الإنسان** حينما يدرك أن الرزق والموت والحياة والأمور الكبيرة والصغيرة كلها بيد الله سبحانه وتعالى لا شريك له، ولا نهاية لجوده وسخائه، وحكمته ورحمته، فيجد **العبد قلبه مطمئناً** بالتوكل على الله تعالى.

والركن الثاني للتوكل حاصل الركن الأول. أي السالك يفوّض أمره إلى الله تعالى ويجعل قلبه مطمئناً ولا يلتفت قطعاً إلى غير الله وهو يختار الأسباب لحكم الله تعالى ولا يلتفت قلبه عن النتائج إلا إلى الله سبحانه وتعالى.

(٣)- الأعمال: الركن الثالث للتوكل هو نتيجة الركن الثاني **وهو أن السالك** يختار السبب ناظراً إلى رضاء الله تعالى ولكنه لا يراه مؤثراً، بل يكون نظره إلى أمر الله تعالى. ولهذا هو يهتم بالدعاء والأعمال الصالحة لتكون إرادة الله تعالى معه. **وأنه لا يفرّ من السبب** ولكنه يفرّ من إشغال القلب في السبب والغفلة عن الله سبحانه وتعالى.

٦- **أقسام التوكل:**

ينشأ سؤال أن الأمور كلها أو معظمها تتم تحت الأسباب، فما ضرورة التوكل على الله سبحانه وتعالى؟ أو هل التوكل يكون في الأمور التي لا دخل فيها للتدبير البشري؟ الأمور **الدنيوية للإنسان تكون نوعان**: الأمور الاختيارية وغير

الاختيارية، حسب هذا التقسيم ينقسم التوكل إلى نوعين، وهما كالآتي:

(١)- التوكل في أمور غير اختيارية، المراد من الأمور الغير اختيارية هي الخارجة عن اختيار الإنسان ولا يمكن فيه تدبير ما. فمثلاً يخرج الإنسان لأداء صلاة الفجر في الغَلَس متوكلا على الله تعالى. يمكن أن يضره سارق أو ناهب، ولا يستطيع أن يحفظ نفسه من ضرره. وهو يتوكل على الله تعالى أنه سيحفظه من ضرر السارق أو الناهب. وكذلك هناك أمور كثيرة لا تكون في يد الإنسان مثل الآفات السماوية والحوادث والخسارة في الأموال والأمراض وغيرها، ولا مفر للإنسان فيها غير التوكل على الله تعالى، مع هذا لا بد من اتخاذ التدابير اللازمة.

(٢)- التوكل في الأمور الاختيارية وهي الأمور التي في يد الإنسان في الظاهر، مثل النجاح في الامتحان بالجهد والربح في التجارة بالتدابير، والعلاج بالدواء، وتفادي ا□صيبة با□زم. وفي مثل هذه الأمور ينبغي على الإنسان أن يسعى لاختيار الأسباب والتدابير، ثم يترك النتيجة إلى الله تعالى.

فمثلاً يحضر الطالب في المحاضرات طوال السنة الدراسية ويكمل عمله ويجلس في الامتحان ويتوكل على الله تعالى في النتيجة ويثق به أنه سينجح بعون الله تعالى في الامتحان. ولكن يأتي في هذه القضية احتمال ما معنى نصرة الله سبحانه وتعالى بعد ما يقوم الطالب بجميع الجهود اللازمة؟ سينجح بجهوده، فكيف التوكل؟

عند إمعان النظر في هذه الشبهةُ يعلم أن نجاح الطالب في الامتحان لم يكن بسبب الجهد فقط، بل هناك عوامل أخرى يكون فقدانها سبباً للفشل، فمثلاً يمكن أن ينسى الطالب جميع ما حفظه في صالة الامتحان، أو يصيب بمرض فلا يستطيع أن يمتحن أو يخطئ وغيرها.

ولذا يتضح بالتأمل الدقيق أن الجهد هو من إحدى أسباب النجاح، وأهميته

مسلم، ولكن الأسباب الأخرى يمكن أن **يفسده ويضيّعه**. فلذا يقوم المؤمن بوظيفته ثم يترك النتيجة إلى الله سبحانه وتعالى، ويستعين به، ويُنيب إليه؛ لأن الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير.

٧- **درجات التوكل:**

للتوكل ثلاث درجات:

(١)- الدرجة الأولى للتوكل هي أن يكون توكل العبد على ربه مثل توكل المؤكل على **وكيله** (محاميه). وخلاصته هو أن يُفوّض الأمر الذي لا يعرفه الموكل إلى الآخر (**الموكل إليه**). ولذا الدرجة الأولى للتوكل هو أن يفوّض العبد النتيجة إلى الله سبحانه وتعالى بعد أخذ التدابير؛ لأنه يعلم أين الخير لنا. **وهذا توكل عامة الناس.**

(٢)- **الدرجة الثانية للتوكل هي أن** يكون حال المتوكل مع الله تعالى مثل حال الطفل مع أمه، والطفل لا يعرف سوى أمه ولا يستغيث إلى غيرها، ولا يثق بغيرها، وكلما يرى أمه الْتف إليها، ولو كانت الأم تضربه فهو يحاول اللجوء إليها، وكلما يواجهه مصيبة أو ألَمًا يأتي على لسانه اسم الأم فقط. حضن الأم هو ملجأه، ويُرى أن الثقة بالأم والاعتماد عليها صارت فطرة له. ولكن حينما يُسئل عن عادته وفطرته فلا يستطيع أن يوضحه ولا يستطيع أن يستوعب تفصيله في الذهن.

فقلب الإنسان الذي يكون متوجها إلى الله سبحانه وتعالى، وتكون نظرته إلى كرمه، ويعتمد على فضله وعطائه، ويحبه مثل حب الطفل **لأمه**. هذا الإنسان في **الحقيقة متوكل.**

الفرق بين الدرجة الأولى والدرجة الثانية أن صاحب الدرجة الأولى يتوكل متكلفا وصاحب الدرجة الثانية يتوكل إلى حد يتفانى فيه. وهو لا يتوجه إلى التوكل وحقيقته بل يتوجه إلى الذات الذي يُتوكل عليه. **ولا** يتسع قلبه لشيء آخر.

(٣)- الدرجة الثالثة للتوكل هي أعلى درجاته هي أن يكون المتوكل في حركاته وسكناته أمام الله سبحانه وتعالى مثل الميت أمام الغسيل. أي هو يصور نفسه ميتاً كما أن الغسيل يحرك الميت بيده كذلك يؤمن أن الحركة والقدرة والإدارة والعلم ومنبع كل الصفات هو ذات الله سبحانه وتعالى.

وهذا الشخص يكون مختلفاً عن طفل يهرول إلى أمه، ويتشبّث بذيلها ويستغيث إليها. وهذا الشخص يكون مثل طفل يطمع أن أمه ستبحث عنه وتأخذه في حضنها. ولو لم يتشبث بذيلها وترضعه ولو لم يطلب منها الرضاع.

ومقتضى هذه الدرجة من التوكل هو أن لا يسأل المتوكل على الله سبحانه وتعالى معتمداً على فضله واعتنائه ويؤمن أنه يُعطي بغير السؤال. أنه فضّل عليه بنعم لا تُعدّ ولا تحصى بدون الطلب والاستحقاق. والمتوكل الفائز على هذه الدرجة يدعو الله سبحانه وتعالى لأنه أمره به. وهذا التوكل هو أعلى أنواع التوكل وآخرها ويسمى توكل خاص الخواص أيضاً.

٨- **المفاهيم الخاطئة عن التوكل:**

توجد مفاهيم خاطئة كثيرة جداً في مجتمع المسلمين، ويجب تحليل هذه الأخطاء وإدراكها وإلا ستخرج النتائج السلبية في الدنيا والآخرة.

(١)- **التجنب من استخدام الوسائل:** يظن أن التوكل هو الإنكار عن التدبير والأسباب والوسائل المادية، ويعتبر الأخذ بالأسباب المادية خلاف التوكل، والحقيقة أن اختيار الأسباب ليس خلاف التوكل فمثلاً:

(i)- روي عن ابن عباس أن الناس كانوا يحجون بدون زاد السفر، وقال أبو مسعود أن سكان اليمن يحجون، ولا يأخذون معهم زاد السفر، ويقولون نحن متوكلون على الله، فأنزل الله تعالى هذه الآية:

﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[١].

(ii)- عَنْ أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: {قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ: اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ}[٢].

(iii)- إذا جلس الإنسان في غار لا يوجد فيه بشر ونبات، وكان ميدانا قفراً، ويقول العبد إني جلست متوكلا على الله تعالى فهذا العمل حرام قطعي[٣].

(٢)- التجنب عن التدابير: بعض الناس يظنون أن التجنّب من التدابير توكل، ويقولون أن الله تعالى هو مالك. في حين إن السيرة النبوية تعطي درس الأخذ بالأسباب. فاختيار طريق مخالف أثناء الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، والاستعانة بهم، وإخفاء الأمر، واللجوء إلى غار ثور وغيرها كلها تدابير. وكذلك انتخاب الميدان في غزوة بدر، والخروج من المدينة في أحد، وحفر الخندق في غزوة الأحزاب، وهذه كلها كانت تدابير لازمة للغلبة في الحرب.

يتضح من أسوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استخدم الوسائل والتدابير بكل طرق ممكنة ولكنه لم يتكئ عليها. وقد خطّط لفتح مكة قبل فتحها، ولكن حينما فُتحت فضّل التوكل على الله ونصرته لأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنجز وعده وأعان عبده وهزم الجنود وحده. وهنا أسند الفضل إلى الله سبحانه وتعالى في مكان تحسين تدابيره وأسبابه.

١- سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

٢- الجامع للإمام الترمذي، ج: ٢، رقم الحديث: ٤١٧.

٣- التصوف والتصورات للصوفية، للأستاذ الدكتور أحمد صديقي، ص: ٣٦٣.

(٣)- الفرق بين الممكن والمستحيل: يظن بعض الفَرَق أن السعي في الأهداف المستحيلة هو توكل مثل بعض الأحزاب السياسية التي تحلم بتنفيذ الخلافة الإسلامية في العالم كله بدون تخطيط وتدبير. والسنة في هذا الضمن هو أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هاجر لفقدان القوة اللازمة واستعد في المدينة، وشكّل المجتمع الإسلامي ورباه فيها، حتى قصد لفتح مكة في الثامن الهجري. لو كان حصول الأهداف المستحيلة توكلاً لهجم على مكة مكان الدفاع في غزوة بدر وأحد والأحزاب.

(٤)- جعل الكسل وعدم الاعتناء والتساهل توكلاً: بعض الناس يتركون العمل والسعي معتقدين أن الله تعالى خالق ومالك، ويجعلون هذا العمل توكلاً، والحقيقة أن هذا ليس توكل بل هو كسل وتساهل وفرار من السعي والجهد، وبداية التوكل تبدأ بعد تكميل العبد عمله.

٩- طريقة التوكل:

ينبغي مراعاة الطريقة التالية للتوكل:

(١)- قبل كل شيء ُينظر هل الفعل جائز أم حرام؟. وإذا كان الفعل حراماً فينبغي تركه. وهكذا ينظر هل الأمر ممكن أم مستحيل.

(٢)- إذا كان الأمر جائزًا فينبغي أن ننظر إليه كم جزءاً في اختيارنا، وكل ما هو في اختيارنا فيجب الأخذ بالأسباب والوسائل من أجله.

(٣)- والأمر الذي ليس في اختيارنا فعلينا أن لا نقع في القلق فيه.

(٤)- أن لا ُيعتمد أثناء التدبير والوسائل في الأمور الاختيارية وغير الاختيارية بل يجب أن نؤمن بأن الله تعالى هو القاضي والقادر المطلق.

(٥)- يجب الشكر في صورة النجاح؛ لأن التدابير والوسائل والأسباب كلها منه سبحانه وتعالى.

(٦)- ويجب الصبر والاستقامة في صورة الفشل، وينبغي أن ندرس أسباب الفشل، ونبدأ من جديد بهمة.

(٧)- ينبغي أن نخطط للمستقبل، ونبدأ السفر الجديد من جديد بكل ثقة.

(٨)- ينبغي أن نتنبّه لوساوس الشيطان؛ لأنه يحاول أن يُسيء ظن الإنسان بالله سبحانه وتعالى.

(٩)- إذا كان الأمر يتعلق بالأسباب والتدابير فينبغي إعداد الأسباب اللازمة والتدابير ثم الاعتماد على الله سبحانه وتعالى.

(١٠)- ينبغي الاستمرار في الدعاء والتوكل ونُقلت عن الصالحين أدعية في هذا الصدد وهي:

(i)- {اللهم أسلمتُ نفسي إليك، وفوضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك، رهبةً ورغبةً إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنتُ بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت}[1].

(ii)- {بسم الله، توكلتُ على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله}[2].

(iii)- {اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك

١- السنن للإمام أبي داؤد، ج:٣، رقم الحديث: ١٦٣٨.

٢- الجامع للإمام الترمذي، ج:٢، رقم الحديث: ١٣٧٩.

خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ أَنتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ أَوْ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ}[١].

١٠- **أقوال العلماء عن التوكل:**

هناك أقوال جميلة عن التوكل نسبت إلى الصوفية الكرام وبعضها هي كالآتي:

(١)- التوكل عند الشيخ جنيد البغدادي رحمة الله عليه: هو الاعتماد على الله سبحانه وتعالى في جميع الأحوال[٢].

(٢)- يقول أبو يعقوب نهرجوري رحمة الله عليه: في الحقيقة أن التوكل لإبراهيم عليه السلام لأنه أجاب جبريل حينما سأله هل تحتاج إلى شيء؟ فقال: **لا أحتاج إليك**[٣].

(٣)- هناك قول لذي النون المصري رحمة الله عليه: أن التوكل هو ترك إطاعة ما سوى الله سبحانه وتعالى، واختصاص **الإطاعة لله سبحانه** وتعالى[٤].

(٤)- بيّن ذو النون المصري رحمة الله عليه: **التوكل**: ترك تدبير النفس، والإنخلاع من الحول، والقوة، وإنما يقوي العبد على التوكل إذا علم أن الله سبحانه وتعالى يعلم ويرى ما هو فيه[٥].

(٥)- نُقل عن أرد شير العبادي رحمة الله عليه: أن التوكل هو الاعتماد على القدر والتوكل على فضل الله سبحانه وتعالى[٦].

١- الصحيح للإمام البخاري، ج:١، رقم الحديث: ١٠٧٢.

٢- اللمع في التصوف، للشيخ أبي نصر سراج، ص: ٩٥.

٣- التصوف والتصورات للصوفية، للأستاذ الدكتور أحمد صديقي، ص: ٣٦٠.

٤- المرجع السابق، ص: ٣٦٠.

٥- الرسالة القشرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ٢٦٦.

٦- التصوف والتصورات للصوفية، للأستاذ الدكتور أحمد صديقي، ص: ٣٦٠.

(٦)- يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمة الله عليه: **إن للتوكل معني□: الأول: إذا كان** الفقير خالي اليد فعليه أن يؤمن برزاقية الله سبحانه وتعالى. والثاني: **إذا كان عنده** شيء فعليه أن يأخذ قوت يومه فقط ولا يدّخر **للغد**[١].

(٧)- **هناك قول لفضيل بن عياض** رحمة الله عليه: التوكل هو أن لا يخاف ولا يطمع **من أحد**[٢].

(٨)- وقال أبو سعيد الخراز رحمة الله عليه: **التوكل: اضطراب بلا سكون، وسكون بلا اضطراب**[٣].

(٩)- وقال ابن مسروق رحمة الله عليه: **التوكل**: الاستسلام لجريان القضاء والأ**حكام**[٤].

(١٠)- يقول أبو عثمان الحيري رحمة الله عليه: **التوكل**: الاكتفاء بالله تعالى مع الاعتماد **عليه**[٥].

(١١)- يقول الحسين بن منصور رحمة الله عليه: المتوكل المحق لا يأكل شيئًا وفي البلد من هو أحق به منه[٦].

(١٢)- **وقال سهل بن عبد ا□** رحمة الله عليه: **أول مقام** في التوكل: **ليكون العبد ب□ يدي ا□ عزوجل كا□يت ب□ يدي الغاسل، يقلبه كيف شاء، لا يكون له حركة ولا** تدبير[٧].

١- المرجع السابق، ص: ٣٦٣.

٢- المرجع السابق، ص: ٣٦٤.

٣- الرسالة القشرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ٢٦٨.

٤- المرجع السابق، ص: ٢٦٨.

٥- المرجع السابق، ص: ٢٦٨.

٦- المرجع السابق، ص: ٢٦٨.

٧- المرجع السابق، ص: ٢٦٥.

(١٣)- سُئل سهيل بن عبد الله رضي الله تعالى عنه عن التوكل فقال: التوكل الصحيح هو توكل أهل القبور[١].

(١٤)- يقول أحمد خضرويه رحمة الله عليه: قال رجل لحاتم الأصم: من أين تأكل؟ فقال: ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون[٢].

(١٥)- يقول أبو تراب النجشي رحمة الله عليه: وهو طرْح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والطمأنينة إلى الكفاية، فإن أعطى شكر وإن منع صبر[٣].

(١٦)- يقول أبو بكر الدقاق رحمة الله عليه: وهو: رد العيش إلى يوم واحد، وإسقاط هم غد. ثم قال التوكل هو كما قال سهل بن عبد الله التستري رحمة الله عليه: أن يحس بالحب والأنس بكل ما يريد الله سبحانه وتعالى[٤].

(١٧)- يقول أبو علي الدقاق رحمة الله عليه: للمتوكل ثلاث درجات: التوكل ثم التسليم ثم التفويض. فالمتوكل يسكن إلى وعده، وصاحب التسليم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه. وسمعته يقول: التوكل بداية، والتسليم واسطة، والتفويض نهاية[٥].

(١٨)- سُئل حمدون القصار رحمة الله عليه عن التوكل: فقال: إن كان لك عشرة آلاف درهم، وعليك دانق دين، لم تأمن أن تموت ويبقى ذلك في عنقك، ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دَين، ومن غير أن تترك لها وفاء، لا تيأس من الله تعالى أن

١- اللمع في التصوف للشيخ أبي نصر سراج، ص: ٩٤.

٢- الرسالة القشرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ٢٦٥.

٣- المرجع السابق، ص: ٢٦٦.

٤- المرجع السابق، ص: ٢٦٧.

٥- المرجع السابق، ص: ٢٦٧.

يقضيه عنك[١].

(١٩)- وقال حمدون رحمة الله عليه: **التوكل**: هو الاعتصام بالله تعالى[٢].

(٢٠)- يقول ابن عطاء رحمة الله عليه: **وقد سئل عن حقيقة التوكل، فقال**: أن لا يظهر فيك انزعاج إلى الأسباب مع شدة فاقتك إليها، ولا تزول عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك عليها[٣].

(٢١)- جاء رجل إلى شبلي رحمة الله عليه شكى بكثرة الأولاد. **فقال له**: إذهب إلى البيت واخرج الذي ليس رزقه على الله تعالى من البيت[٤].

(٢٢)- قال الشيخ شبلي رحمة الله عليه أن التوكل هو أن تكون أمام الله تعالى كأنك لم تكن أمامه قط ويكون الله تعالى أمامك كما أنه كان من الأزل[٥].

(٢٣)- يقول أبو عبد الله بن الجلاء رحمة الله عليه: التوكل هو اللجوء إلى الله وحده لا شريك له[٦].

(٢٤)- يقول الشيخ ضياء الدين السهروردي رحمة الله عليه: أن التوكل هو الاعتماد على الله وإزالة الطمع سوى الله تعالى[٧].

(٢٥)- يقول الخواجه عبد الله الأنصاري رحمة الله عليه: التوكل أن يعرف الإنسان حق معرفة أن لا اختيار لأحد، وأن الاتخاذ بالحيل غير مفيد. والسعة والضيق في الرزق

١- المرجع السابق، ص: ٢٦٧.

٢- المرجع السابق، ص: ٢٦٥.

٣- المرجع السابق، ص: ٢٦٦.

٤- **التصوف والتصورات للصوفية**، للأستاذ الدكتور أحمد صديقي، ص: ٣٦٠.

٥- اللمع في التصوف للشيخ أبي نصر سراج، ص: ٩٤.

٦- المرجع السابق، ص: ٩٥.

٧- آداب المريدين للشيخ ضياء الدين السهروردي، ص: ٣٧.

بحكمة ربانية، وأن قاسم الرزق هو الرحمان وهو ليس غافل، فسيكون مطمئناً[١].

(٢٦)- يقول السيد على الهجويري رحمة الله عليه: إن التوكل هو الاعتماد الكلي على الله سبحانه وتعالى[٢].

(٢٧)- هناك قول للشيخ الصوفي: إن التوكل هو أن تساوي قلة الدنيا وكثرتها عندك[٣].

١١- **الأحداث الناصحة للتوكل:**

(١)- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ نَجْدٍ، فَلَمَّا أَدْرَكَتْهُ الْقَائِلَةُ وَهُوَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَاسْتَظَلَّ بِهَا، وَعَلَّقَ سَيْفَهُ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الشَّجَرِ يَسْتَظِلُّونَ، وَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجِئْنَا فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: "إِنَّ هَذَا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاخْتَرَطَ سَيْفِي، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي مُخْتَرِطٌ صَلْتًا، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ، فَشَامَهُ ثُمَّ قَعَدَ فَهُوَ هَذَا"، قَالَ: وَلَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ}[٤].

(٢)- كان إبراهيم عليه السلام من أولي العزم من الرسل. وكان قومه يعبدون الأصنام، وكان رئيسهم نمرود. وكان إبراهيم عليه السلام يمنعهم عن عبادة الأصنام يدعوهم إلى عبادة الله وحده. فذهب قومه يوماً إلى طقس، وبقي إبراهيم خلفهم وحده، فذهب إلى بيت الأصنام وجعلهم جذاذاً ووضع الفأس على عاتق كبيرها ليضطر القوم إلى التفكير في هذا الأمر أن الصنم الذي لا يحافظ على نفسه كيف سيحفظ غيره.

١- صد ميدان للشيخ الخواجه عبد الله الأنصاري الهروي، ص: ٥٥.

٢- كشف المحجوب للشيخ السيد على الهجويري، ص: ١٤٣.

٣- الرسالة القشرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشري، ص: ٢٦٨.

٤- الصحيح للإمام البخاري، ج: ٢، رقم الحديث: ١٣٥٨.

عندما رجع قومه من الطقس تحيروا بعدما رأوا أصنامهم مكسورين. **وُدعي إبراهيم عليه السلام** للبحث والتفتيش وسئل من كسّر آلهتنا؟ فأجابهم إبراهيم **عليه السلام** اسألوا من الصنم الكبير من كسرهم. فعرف الناس جميعاً إن إبراهيم هو الذي كسّرهم.

واستشار الجميع على أن ُيلقى إبراهيم **عليه السلام** في النار عقاباً على جريمته لإرجاع الوقار والشرف للآلهة. **واتفقوا** على هذا فيما بينهم وحضروا خندقًا كبيراً وملؤه بالحطب واحرقوها.

صُنع منجنيق لإلقاء إبراهيم في النار حينما أُجلس إبراهيم **عليه السلام** على المنجنيق لإلقائه في النار، أمر الله سبحانه وتعالى للملائكة أن ينصروا إبراهيم **عليه السلام. استأذن الملائكة إبراهيم عليه السلام** فأجابهم قائلاً: حسبي سؤالي علمه بحالي. فقال جبريل **عليه السلام** إذا كنت تحتاج إلى مساعدتي فأنا أساعدك **مساعدة جيدة. فأجابه إبراهيم عليه السلام:** أحتاج إلى النصر والمساعدة ولكن ليس منك بل من الله سبحانه وتعالى فأمر الله سبحانه وتعالى النار لقوله: ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ [١]﴾[٢].

(٣)- حينما كان إبراهيم يغادر ابنه الرضيع إسماعيل **عليه السلام** مع أمه هاجرة في وادي مكة غير ذي زرع عند بيت الله الحرام تحت شجرة، أعطاهم قربة ماء وبعض **المتاع.** سألت هاجرة زوجها **إبراهيم** عليه السلام، يا إبراهيم أين تذهب؟ وتتركنا في واد **لا** زرع فيه ولا ضرع ولا يوجد فيها بشر؟ أجاب إبراهيم قائلاً: **إن الله سبحانه** وتعالى أمرني أن أسكنكم هنا، فلما سمعت هاجرة **فقالت** متوكلة على الله تعالى: **إذا**

١- سورة الأنبياء، الآية: ٦٩.

٢- مكاشفة القلوب، للإمام أبي الحامد محمد الغزالي، ص: ٥٧١.

كان الأمر كذلك فإن الله لن يضيع الأم وابنها. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {لَمَّا كَانَ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَبَيْنَ أَهْلِهِ مَا كَانَ خَرَجَ بِإِسْمَاعِيلَ وَأُمِّ إِسْمَاعِيلَ وَمَعَهُمْ شَنَّةٌ فِيهَا مَاءٌ فَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ فَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ فَوَضَعَهَا تَحْتَ دَوْحَةٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى أَهْلِهِ فَاتَّبَعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ حَتَّى لَمَّا بَلَغُوا كَدَاءً نَادَتْهُ مِنْ وَرَائِهِ يَا إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَنْ تَتْرُكُنَا، قَالَ: إِلَى اللَّهِ، قَالَتْ: رَضِيتُ بِاللَّهِ}[1].

(٤)- نقل ابن طاؤس اليماني عن والده رحمة الله عليه جاء أعرابي مع ركبه فأناخه وعقله ثم دعا ربه رافعاً رأسه إلى السماء قائلاً: اللهم أترك هذا المركب وكل ما هو فوقه في ذمتك حتى أرجع، فذهب الأعرابي ثم دخل المسجد الحرام. فلما خرج فقد سُرق المركب وما فيه، فقال هذا الرجل رافعاً رأسه إلى السماء: اللهم إن هذه السرقة لم تحدث السرقة من مالي بل حدثت في مالك. قال طاؤس كنا مع هذا الأعرابي رائنا رجلا ينزل من جبل أبي قبيس وقد مسك زمام الإبل بيده اليسرى، وكانت يده اليمنى تتعلق بعنقه مقطوعة. فجاء الرجل إلى الأعرابي يقول: خذ مطيتك وأمتعتك. يقول طاؤس سألته القصة فقال لقيت في جبل أبي قبيس رجلا راكبا على مطية بيضاء وسوداء. وقال لي يا سارق قدّم إليّ يدك. فقدّمت يدي، فوضعها على حجر ثم قطعها بحجر آخر وعلقها بعنقي وقال انزل من الجبل وأرجع المركب والأمتعة إلى الأعرابي[2].

(٥)- سأل حسين بن منصور الحلاج الشيخ إبراهيم الخواص رحمة الله عليه: إلى أين أوصلك التصوف؟ فقال أسافر لحصول مزيد من التوكل. فقال الحلاج رحمة الله عليه أضيّعت عمرك في الشبع فمتى تحصل مقام الفناء في التوحيد[3].

١- الصحيح للإمام البخاري، ج: ٢، رقم الحديث: ٦٢٣.

٢- غنية الطالبين للشيخ عبد القادر الجيلاني، ص: ٧٥٩.

٣- التصوف والتصورات للصوفية، للأستاذ الدكتور أحمد صديقي، ص: ٣٦١.

(٦)- أراد تلميذ الشفيق البلخي رحمة الله عليه للحج. فقال له الشفيق اذهب إلى بسطام والتق ببايزيد البسطامي رحمة الله عليه، فوصل التلميذ إلى بايزيد البسطامي حسب ا□كم. فقال له مَنْ مرشدك؟ فقال له الشفيق البلخي رحمة الله عليه فسأله ماذا يفعل هو؟ فقال له إنه فرغ من الخدمة واستولى على التوكل. ويقول إن لم تمطر السماء ولم تنبت الأرض الزرع وأنا كفيل لجميع الخلق فألفته بالتوكل.

قال بايزيد رحمة الله عليه أنه مشرك كبير وكافر، وقال اذهب إلى شيخك وقل له: لا تبتل الله سبحانه وتعالى لرغيفتين. فاندهش التلميذ بعد ما سمع هذا، ولم يذهب إلى الحج، بل وصل إلى بلخ مباشرة وأوصل رسالة بايزيد البسطامي رحمة الله عليه إلى الشفيق رحمة الله عليه. فقال له اذهب مرة أخرى واسأله ما مسلك؟

جاء المريد إلى البسطام وسأل بايزيد سؤالاً. فقال له أنت غبي جداً. إن بيّنته فلا تفهمه، فقال له: جئت من مكان بعيد اكتب لي إجابة، فقال له بايزيد اكتب بسم الله الرحمن الرحيم وطوّى الورقة وأعطى المريد أي بايزيد ليس بشيء، وهو ليس موصوفاً فكيف يبّ□ الصفة[1].

(٧)- سأل إبراهيم بن أدهم رحمة الله عليه زاهدا من أين تأكل؟ فقال له اسأل من الذي يعطيني الأكل، فلا أبالي من أين يطعمني[2].

(٨)- يقول إبراهيم بن أدهم رحمة الله عليه اشتريت عبداً، فسألته ما اسمك؟ اسمي هو الذي أنت تناديني به، وسألته ماذا تأكل؟ فأجاب الذي تعطيني للأكل، وسأل ماذا تلبس؟ فأجاب الذي تلبسني، وسأل ماذا تعمل؟ فأجاب بالذي تأمرني به وسأل

١- المرجع السابق، ص: ٣٦١.

٢- المرجع السابق، ص: ٣٦٢.

ماذا تريد؟ فقال أنا عبد ما معنى لإرادتي أو عدم الإرادة؟ فقلت ينبغي أن تُتعلم العبودية من هذا الغلام، وسالت الدموع من عيني[١].

(٩)- صلى بايزيد رحمة الله عليه خلف إمام، فقال الإمام بعد الصلاة أيها الشيخ أنت لا تعمل فمن أين تأكل؟ فقال الشيخ اصبر أراجع الصلاة قضاءً، فسأل الإمام لماذا؟ فقال بايزيد: لا يجوز الصلاة خلف رجل لا يعلم الرازق[٢].

(١٠)- سأل الشفيق إبراهيم بن أدهم رحمة الله عليه كيف تعيش؟ أجابه أشكر إذا وجدت شيئًا، وأصبر إن لم أجد. فقال الشفيق هذا ما تفعله كلاب بلخ، وإن وجدت تهز ذيولها، وإن لم تجد تصبر. وسأل إبراهيم بن أدهم رحمة الله عليه ما طريقتك؟ فقال إن وجدت أوثر على نفسي وإن لم أجد أشكر فقام إبراهيم بن أدهم رحمة الله عليه وقبّل رأس الشفيق رحمة الله عليه[٣].

(١١)- ذهب الحسن البصري رحمة الله عليه مرة إلى الحبيب العجمي رحمة الله عليه وكان عنده في ذلك الوقت خبزًا من شعير وقليلاً من الملح، فقدّمه للأكل، حينما بدأ يأكل، جاء سائل فأعطى الحبيب الخبز السائل. فقال له الحسن البصري رحمة الله عليه فيك مروءة ولو كان عندك قليل من العلم لكان أحسن، أنت رفعت الخبز من الضيف وأعطيت الفقير، والأحسن أن تترك نصف الخبز أمام الضيف والنصف الآخر تعطيه للفقير. سكت الحبيب بعد سماع هذا الكلام.

بعد فترة جاء غلام وعلى رأسه مائدة فيها أنواع من الطعام، وكان معه خمسمائة درهم. فوزّع الحبيب الدراهم على الفقراء وأعطى الطعام الحسن البصري. عندما

١- المرجع السابق، ص: ٣٦٢.

٢- المرجع السابق، ص: ٣٦٢.

٣- المرجع السابق، ص: ٣٦٢.

فرغ الحسن من الأكل فقال له الحبيب: أيها الأستاذ أنت من العلماء والصالحين ولكن يا حبذا لو حصلت على اليقين والتوكل[١].

(١٢)- جاء رجلان جائعان إلى رابعة البصرية رحمة الله عليها وكان عندها في ذاك الوقت رغيفتان، فوضعتهما أمامهما، وجاء سائل آخر في نفس الوقت: **فأخذت رابعة** الرغيفتين كلتيهما وأعطتهما السائل. **غضب الضيفان من هذا**. بعد فترة وجيزة جاءت الأَمَةُ بأرغفة طازجة، وقالت أنها أُرسلت من قِبَل سيدتي، حينما عدّتها رابعة، فكانت ثمانية عشرة أرغفة، فقالت رابعة البصرية رحمة الله عليها: للأَمة بعد ما رأت، ربما أخطأت، هذه الأرغفة ليست لنا، بل هي أُرسلت للغير، فرجعت الأمة.

ولما رجعت وكانت عندها عشرون رغيفًا، فأعدت الرابعة الخبز ثم وضعت أمام **الضيوف. فبدأ الضيوف بالأ**كل متحيرين، فسألوا عن القصة بعد الفراغ من الأكل.

فأجابت حينما أعطيت السائل رغيفتين دعوت الله سبحانه وتعالى اللهم إنك وعدت بعشرة بمقابل واحد وأنا مؤمنة بوعدك، فأنا أعطيت الأرغفة خالصاً لوجهك فاعطني عشرين خبزاً، حينما جاءت الأمة بثماني عشرة أرغفة، فعرفت أن هناك **خطأ ما حدث**[٢].

(١٣)- يقول إبراهيم الخواص رحمة الله عليه رأيت شابا ذا خلق نبيل في طريق الشام. **قال** لي أنا أريد أن أصحبك. **فقلت له أنا لا آكل فقال إذا كنت لا تأكل فأنا أيضاً لن آكل. مرت أربعة أيام**. ثم جاء شيئا للأكل، فقلت له تعال، كل. **فأجاب إنني عهدت أن لا آكل بواسطة الآخرين. فقلت له يا ولد قد قلتَ كلاما دقيقا**. فقال لي لا تمدح كذباً؛ لأن المبتلي يعرف المتوكل جيداً. ثم قال الدرجة الأدني للتوكل هي إن واجهت بجوع على جوعٍ فلا يلتفت قلبك إلى غير الله[٣].

١- المرجع السابق، ص: ٣٦٤.
٢- المرجع السابق، ص: ٣٦٠.
٣- الرسالة القشرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشري، ص: ٢٧١.

(١٤)- قيل لإبراهيم الخواص رحمة الله عليه أن يبيّن قصة عجيبة فقال رحمة الله عليه التقيت بخضر عليه السلام فقال لي أن أكون معه. فخفت أن لا يأتي فرق في توكلي بصحبتي به مطمئناً، ولذا تركته[١].

(١٥)- كان إبراهيم خواص رحمة الله عليه وحيد دهره في التوكل، وكان يتكلم بكلام دقيق عن هذا، ومع ذلك يأخذ معه إبرة وخيطاً وإبريقاً ومقراضاً. فقال له أحد يا أبا إسحاق! أنت تمنع عن كل شيء فلماذا تمشي حاملاً هذه الأشياء. فقال لا يأتي فرق في التوكل بهذه الأشياء لأن علينا فرائض عديدة من الله تعالى، ويكون لبسة واحدة عند الفقير، يتمزق القماش فيخاف من كشف العورة. هذا مفسد للصلاة، وهكذا إن لم يكن عندك إبريق فكيف تطهر بعد فساد الطهارة؟ وإذا رأيت فقيراً بدون إبريق وإبرة وخيط فاعرف كيف تكون صلواته؟[٢].

(١٦)- دخل رجل المسجد النبوي فرأى صبياً يصلي بكل خشوع وخضوع. ولما فرغ من الصلاة سأل الطفل ابن من أنت؟ فأجاب أنا يتيم توفي والدي وأمي. فقال له الرجل كن ابنا لي، فسأله الصبي؛ هل تطعمني إذا جُعت؟ فأجاب الرجل نعم، وسأل الطفل هل تُلبسني لباساً إذا عُريت؟ أجابه بنعم، سأل الصبي هل تشفيني إذا مرضت؟ فقال الرجل: هذا ليس في اختياري. سأل الصبي هل تحييني إذا مت؟ أجاب الرجل هذا ليس في اختيار أحد من المخلوق.

أجاب الصبي بعد هذا اتركني أتوكل على الذي خلقني وهداني، الذي يطعمني ويسقيني، ويشفيني إذا مرضت، أنا أثق بالله سبحانه وتعالى أن يغفرلي خطيئتي يوم الدين. حينما سمع إجابة الصبي المتوكل على الله حقاً. قال الرجل آمنت با، من

١- المرجع السابق، ص: ٢٧١.

٢- المرجع السابق، ص:٢٦٩- ٢٧٠.

توكل على الله كفى.

(١٧)- يقول أبو على الشفيق رحمة الله عليه: أصابت البلخ جدْبٌ مرة، فصار الناس حزينين ومضطرين جميعًا، وكان غلامًا يمشي في السوق فرحًا ومرحًا، فقال له **الناس لائم□**: ألا تستحي أن الناس يموتون جوعًا، وهم محزونون، وأنت تمشي فرحًا ومرحًا، فأجابه الغلام ليس لي حزن؛ لأن سيدي هو مالك القرية جميعًا. وهذا الذي جعلني لا أحزن من شيء ومحا جميع همومي.

تفتحت عيني شفيق البلخي رحمة الله عليه بإجابة الغلام، والتفت إلى الله سبحانه وتعالى نادمًا جداً وقال: اللهم هذا الغلام عبد لشخص هو مالك قرية، وهو فرح بهذا القدر، ونحن نؤمن أن ربنا مالك الملك، ونحزن على الرزق بهذه الدرجة القصوى. بعد هذا لم يحزن لرزقه، بل توكل على الله، وكان يقول أنا تلميذ **هذا الغلام**. وكل ما وجدت في التوكل وجدته بسببه[1].

***

-١ كشف المحجوب للشيخ السيد على الهجويري، ص: ١٨٩ - ١٩٠.

٧

مقام الصدق



١ - مفهوم الصدق:

(١)- معنى الصدق هو الصدق في الكلام والأخلاق والأحوال. والذي يصدق دائما يقال له صادق. وكلمة الصّدّيق صيغة المبالغة منها بمعنى الذي يوجد فيه صفة الصدق بوفرة ويغلب عليه الصدق. والإنسان الذي يخدع نفسه أو غيره فهو لا يستطيع أن يكون صادقاً.

(٢)- وللصدق مقام عالٍ في الخُلق والسلوك. يتبادر إلى الذهن أن معنى الصدق هو الصدق في الكلام، ولكن في الحقيقة أن مفهوم هذه الكلمة واسع، ويدخل في مظاهر الصدق التوافق بين اللسان والقلب، والتوافق بين الفعل والعمل، والتوافق بين الظاهر والباطن، والتوافق بين العقيدة والفعل.

(٣)- من شأن المؤمن الكامل أن لا يزعزع القدم في طريق الصدق ولو واجه أخطار خطيرة، وأن يقول الحق بدون أن ينظر إلى المصالح والخسائر. جعل الله سبحانه وتعالى الصدق إيماناً وجعل الكذب علامة النفاق.

(٤)- الصدق صفة أساسية لا يمكن إقامة مجتمع صالح ومتخلق بخلق حسنة بغيرها. والمجتمع المبني على الصدق تكون جذوره راسخة وجذوعه قوية. إذا وُجد عنصر الصدق في لسان شخص وقلبه وعمله ينال العظمة.

(٥)- اختيار درجة الكمال في الأعمال الصالحة صدق. فمثلاً أداء الصلاة مراعياً آدابها الظاهرة والباطنة هو صدق، وسميت في الشريعة بالصلاة الكاملة. واختيار درجة الكمال المصرحة في الشريعة هو الصدق.

(٦)- الصدق أساس والإخلاص غصنه. والذي عنده الصدق الكامل، أي أن ظاهره وباطنه سواء فهو يستحق أن يسمى بالصديق. والخلق الحسن ينشأ من هذا الصدق والإخلاص.

(٧)- حقيقة الصديق هي أن يدرك العقائد الشرعية بذوقه، ويصدر عنه الأعمال الشرعية بطبعه والعقائد عنده تصير بديهيات (manifest facts) وتصير العبادات عادات.

(٨)- الذين يصلون إلى هذه المرحلة من الكمال في القول والعمل يطلق عليهم الصديق شرعاً. وهذا أعلى مقام للبشرية بعد النبوة بل هو معراج الشريعة.

(٩)- **اختيار أسلوب التورية** (التورية هي استعمال كلمة لها معنيان معنى ظاهري واضح غير مراد ومعنى خفي غير واضح فهو المراد) ليس خلاف الصدق. **ولكن ن** يستخدم أسلوب التورية عليه أن ينظر إلى شرطين:

(i)- أن تكون الألفاظ المستخدمة فيها تتحمل المعنى الثاني.

(ii)- أن لا يكون هذا للظلم أو للذنب.

مثاله هو قول سيدنا أبي بكر رضي الله تعالى عنه **أثناء هجرته** إلى المدينة. حينما يسأل عنه أحد في الطريق من هذا؟ (أي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فيقول لهم: **هذا هادي** يهديني الطريق. **كان أبو بكر** رضي الله تعالى عنه صادقاً فيما يقول، ولكن السامع يفهم أنه من الناس المقيمين الذين يعرفون الطرق. ومراد سيدنا أبي بكر رضي الله تعالى عنه هو أنه هادي إلى الله، الذي يهدي الناس إلى رضاء الله تعالى وإلى جنته.

٢- **الصدق في ضوء القرآن الكريم:**

أمر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بالصدق مراراً وتكراراً، وذُكرت الدرجات العُليا للصادقين وبعضها كالآتي:

(١)- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[1].

قدّمت الآية أصولين عظيمين للتربية والتعليم وهما:

(i)- **كونوا متق بأنفسكم**. أي اتقوا عن كل شيء يكون سببا لسخط خالقكم

١- سورة التوبة، الآية: ١١٩.

ومالكم فتصبحون من البررة والناس ا□ثالي□.

(ii)- كونو مع المتقين لتكونوا قوة لأهل الحق والحق.

(٢)- ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

يُفهم من الآية الكريمة أن:

(i)- مَن المؤمنين مَن يصدقون ما يعدون ربهم، ويحبون الله ويطيعونه إطاعة كاملة.

(ii)- بعض المؤمنين يتكاسلون بهذا الصدد، وتكون علاقتهم مع ربهم ضعيفة، ويُهملون في إطاعة ربهم.

(iii)- ومنهم من يستشهدون أثناء سعيهم في حب الله سبحانه وتعالى، وتكون حياتهم للحق، ويوفون وعدهم.

(iv)- ومنهم من يسعون ليلاً ونهاراً للحق حتى آخر لحظة في حياتهم، ويجاهدون بأنفسهم وأموالهم ليلاقوا ربهم بتضحية أموالهم وأنفسهم ويوفون وعد إطاعتهم برسول ا□ صَلَّى ا□ عَلَيْه وَسَلَّمَ .

(v)- سيجزيهم ربهم عن هذه الحياة الطيبة جزآءً يرضون به في الدنيا والآخرة، ويعطيهم فلاحًا، ويُبعدهم عن الغم والألم، ويمنحهم العافية، ولا يضيّع عملهم.

(vi)- حياة المؤمن الصادق خير. لا يواجه فيها الهزيمة أو الفشل في أي حال

١- سورة الأحزاب، الآية: ٢٣ - ٢٤.

من الأحوال ويعيش في خير وبركة، ويكتسب الأجر والثواب بعد موته. في حين أن الحرمان من ثروة الإيمان واليقين حرمان من كل خير وخسارة تامة. خسارة في الدنيا وخسارة في الآخرة.

(٣)- ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴾[1].

وضّحت الآية الكريمة أن المتقون الصادقون لهم جنة تجري من تحتها الأنهار ومنزلتهم عظيمة ويجدون قربة وزلفى عند ربهم، فيزداد عزهم وشرفهم.

(٤)- ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[2].

ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية هؤلاء الذين يُعطون جزاء أعمالهم بل لهم أجر عظيم وصفاتهم (ذكوراً وإناثاً) هي:

(i)- إنهم يؤمنون بالله ورسله.

(ii)- إنهم يطيعون الله تعالى.

(iii)- إنهم يصدقون ويتبعون الصدق.

(iv)- إنهم يعتقدون أن الآلام والمصائب ابتلاءٌ من الله سبحانه وتعالى، ويصبرون مكان الجزع والفزع.

(v)- إنهم يتقون الله تعالى دائماً.

١- سورة القمر، الآية: ٥٤ - ٥٥.

٢- سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(vi)- إنهم ينفقون أموالهم حسب استطاعتهم في سبيل الله سبحانه وتعالى في السعة والضيق.

(vii)- إنهم يصومون لله سبحانه وتعالى.

(viii)- إنهم يحفظون فروجهم.

(ix)- إنهم يذكرون الله كثيراً.

(٥)- ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[١].

بّينت الآية الصفات الإيجابية للصادقين:

(i)- إنهم يؤمنون بالله تعالى، ويحّبونه ويطيعونه ويسعون لرضاء الله تعالى كل لحظة.

(ii)- إن إيمانهم قوي، ولا يشكون في عقيدتهم وأعمالهم وتكون قلوبهم مطمئنة با ورسوله.

(iii)- يجاهدون بأنفسهم في سبيل الله تعالى وأنّهم يعّرفون الله سبحانه وتعالى بأعمالهم وأقوالهم، ويتحملون المشاكل في سبيل الحق ويتعبون أنفسهم لنفع الناس.

(iv)- يجاهدون بأموالهم في سبيل الله، ويخدمون الفقراء والمساكين ويقدمون الصدقات، وينقفون أموالهم.

(٦)- ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾[٢].

بّشر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية هؤلاء الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ويتقون ا، ويقيمون حسب استطاعتهم أوامر الله سبحانه وتعالى صادقين بأن الله

١- سورة اجرات، الآية: ١٥.

٢- سورة الليل، الآية: ٥- ٧.

تعالى يسّهل لهم طريق الجنة. وإن هذه البشارة سعادة عظمى وضامنة للفلاح في الدارين. وهي لا تُهمل أبداً.

(٧)- ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾(١).

ذكرت الآية بأن:

(i)- الله تعالى يقول يوم القيامة إن هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ويُعطون أجورهم، وأنهم يعطون أجر صدقهم وصفائهم بفلاح الجنة والنعم السرمدية التي لا يتصور عنها أحد في هذه الدنيا.

(ii)- الذين كانوا في سبيل الصدق في حياتهم هم يجدون ثمار صدقهم في صورة الفلاح السرمدي يوم الحساب والعدل والإنصاف. يكون لهؤلاء الصادقين يوم النجاح وإكمال رغباتهم.

(iii)- الفلاح الأخروي هو الفلاح الحقيقي؛ لأنه يكون فلاحا أبديا حقيقيا، ولا يمكن أن يكون فلاحاً مثله، والذين يفوزون بهذا الفوز العظيم هم الناجحون حقيقة. وهذا هو الفوز الحقيقي الذي يجب على الإنسان أن يضع أمام عينيه وتُبذل له الجهود.

(iv)- يرضى الله تعالى عن هؤلاء الصادقين إلى الأبد، ويرضى الصادقون عن ربهم كما جاء في الحديث: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: "يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ"، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: "هَلْ

١- سورة المائدة، الآية: ١١٩.

رَضِيتُمْ"، فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: "أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ"، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: "أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا"}[1].

(٨)- ﴿ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[2].

ذُكرت في الآية الكريمة أن:

(i)- الله تعالى يعطي الصادقين بصدقهم جزاءً **حسناً**.

(ii)- الله **غفور**.

(iii)- الله **رحيم**.

(iv)- الله **تواب**.

(v)- الله تعالى يعاقب الكذابين والمنافقين.

(٩)- ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[3].

١- الصحيح للإمام البخاري، ج: ٣، رقم الحديث: ١٤٩٦.

٢- سورة الأحزاب، الآية: ٢٤.

٣- سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

بيّنت الآية الكريمة علامات الصادقين وهي كالآتي:

(i)- إنهم يؤمنون بالله سبحانه وتعالى.

(ii)- إنهم يؤمنون بيوم القيامة.

(iii)- إنهم يؤمنون بالملائكة.

(iv)- إنهم يؤمنون بالكتب السماوية.

(v)- إنهم يؤمنون بالرسل.

(vi)- إنهم ينفقون أموالهم في سبيل الله تعالى.

(vii)- إنهم يقيمون **الصلاة**.

(viii)- إنهم يؤدون الزكاة.

(ix)- إنهم يوفون وعدهم.

(x)- إنهم يصبرون على المصائب.

(١٠)- ﴿ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾[1].

بيّنت الآية الكريمة علامات المؤمنين وهي كالآتي:

(i)- إن المؤمنين يصبرون على المشاكل.

(ii)- إنهم يصدقون دائماً.

(iii)- إنهم يطيعون أوامر الله سبحانه وتعالى.

(iv)- إنهم ينفقون أموالهم في سبيل الله تعالى.

(v)- إنهم يستغفرون الله تعالى لأنفسهم ولغيرهم.

(١١)- يوضح كتاب الله تعالى أن الصدق من سنة الأنبياء **عليهم السلام** وكان أصحابهم **كلهم صادق**. **وكل فرد من الأ**مة يحب نبيه حباً جماً. والإنسان يحاول أن يختار أعمال

١- سورة آل عمران، الآية: ١٧.

من يحبه. ولذا ذكّر الله سبحانه وتعالى بذكر أسمائه أنهم كانوا صادقين. إن كنتم تحبونهم **حقا فعليكم أن تتبعوهم**. والأنبياء الذين ذُكروا في القرآن الكريم بالصدق منهم:

(i)- ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾[١].

(ii)- ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾[٢].

(iii)- ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾[٣].

(iv)- ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا﴾[٤].

٣- **الصدق في الأحاديث النبوية:**

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصدق وترك **الكذب مراراً وتكراراً. وهناك** أحاديث كثيرة جداً شاهدة على ذلك.

(١)- عن أبي هريرة رضي الله عنه: {**أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال**: أمرني ربي بتسع:

(i)- خَشْيَة الله في السر والعلانية.

(ii)- وكلمة العدل في الغضب والرضى.

(iii)- والقصد في الفقر والغنى.

(iv)- **وأن أصل من قطعني**. أُمر المؤمن على أن يصل الأقرباء ولو أساء**وا له** الخلق أو قطعوا رحمهم وأن يعاملهم معاملة حسنة ويحاول أن يواصل في **الود والعلاقة**.

١- سورة مريم، الآية: ٤١.

٢- سورة مريم، الآية: ٥٠.

٣- سورة مريم، الآية: ٥٤.

٤- سورة مريم، الآية: ٥٦.

(v)- وأعطي مَنْ حَرَمَني وأن يعطي الشخص الذي يُحرم الناس من الخير.

(vi)- وأعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَني.

(vii)- **وأن يكون صَمْتي فِكْرا.** أي إذا كان الإنسان صامتاً ولا يشتغل بالتبليغ أو بكلام آخر، وفي هذه الحالة يكون مشغولاً في ذكر الله تعالى ويفكر في قدرته.

(viii)- **وَنُطْقِي ذِكْرا.**

(ix)- ونظري عبرةعندما ينظر إلى مخلوق الله سبحانه وتعالى ينظر بنظر العبرة، أن تكون نظرة يقظة، لا تكون نظرة الغفلة والجهل. {**وآمُرُ بالعُرْف، وقيل: بالمعروف**}[١].

(٢)- قَالَ أَبو سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {**قَالَ هِرَقْل، قَالَ لَهُ: سَأَلْتُك، مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟** فَزَعَمْتَ أَنَّهُ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ **وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ**}[٢].

(٣)- **عَنْ عَبْدِ** اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، **قَالَ:** {**قَالَ رَسُولُ** اللهِ صَلَّى اللهُ **عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** "عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، **وَمَا يَزَالُ** الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ **صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ،** فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، **وَمَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ** وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ **كَذَّابًا**}[٣].

(٤)- **عَنْ عَبْدِ** اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، **قَالَ:** {**قِيلَ لِرَسُولِ** اللهِ صَلَّى اللهُ **عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "**كُلُّ** مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ"، **قَالُوا:** صَدُوقُ **اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ،** فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ، **قَالَ:** "**هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ،**

١- المشكاة المصابيح، ج:٤، رقم الحديث: ١٢٨٨.

٢- الصحيح للإمام البخاري، ج:١، رقم الحديث: ٢٥٦٩.

٣- الجامع للإمام الترمذي، ج:١، رقم الحديث: ٢٠٥٧.

وَلا غِلّ، وَلا حَسَدَ} (١).

(٥)- عَنْ صَفْوَانَ بن سُلَيمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: {قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، "أَيكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا؟ فَقَالَ نَعَمْ، فَقِيلَ لَهُ أَيكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلًا؟ فَقَالَ نَعَمْ، فَقِيلَ لَهُ أَيكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا؟ فَقَالَ لا} (٢).

(٦)- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: "التَّاجِرُ الأَمِينُ الصَّدُوقُ الْمُسْلِمُ مَعَ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"} (٣).

(٧)- عَنْ أَبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: "إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلامَهُ فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِمِثْلِهَا حَتَّى يَلْقَى اللهَ"} (٤).

(٨)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: "لا يُؤْمِنُ الْعَبْدُ الإِيمَانَ كُلَّهُ حَتَّى يَتْرُكَ الْكَذِبَ فِي الْمُزَاحِ، وَالْمِرَاءِ وَإِنْ كَانَ صَادِقًا"} (٥).

(٩)- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: أَنا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ، وَإِن كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ، وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ"} (٦).

(١٠)- عَنْ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: "إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ، وَصَلاتِهِمْ، وَإِخْلاصِهِمْ"} (٧).

١- السنن للإمام ابن ماجه، ج: ٣، رقم الحديث: ١٠٩٦.
٢- المؤطأ للإمام مالك، ج: ١، رقم الحديث: ١٧١٣.
٣- السنن للإمام ابن ماجه، ج: ٢، رقم الحديث: ٢٩٧.
٤- الصحيح للإمام مسلم، ج: ١، رقم الحديث: ٣٣٦.
٥- المسند للإمام أحمد، ج: ٤، رقم الحديث: ١٥٩٠.
٦- السنن للإمام أبي داؤد، ج: ٣، رقم الحديث: ١٣٩٦.
٧- السنن للإمام النسائي، ج: ٢، رقم الحديث: ١٠٩١.

(١١)- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَمَلُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: "الصِّدْقُ وَإِذَا صَدَقَ الْعَبْدُ بَرَّ وَإِذَا بَرَّ آمَنَ وَإِذَا آمَنَ دَخَلَ الْجَنَّةَ". قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَمَلُ النَّارِ؟ قَالَ: "الْكَذِبُ إِذَا كَذَبَ الْعَبْدُ فَجَرَ وَإِذَا فَجَرَ كَفَرَ وَإِذَا كَفَرَ دَخَلَ يَعْنِي النَّارَ"} (١).

(١٢)- عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، أَوْ قَالَ حَتَّى يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا، بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا، مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا"} (٢).

(١٣)- عَنْ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّهُ قِيلَ لِلُقْمَانَ مَا بَلَغَ بِكَ مَا نَرَى يُرِيدُونَ الْفَضْلَ؟ فَقَالَ لُقْمَانُ: "صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ، وَتَرْكُ مَا لَا يَعْنِينِي"} (٣).

(١٤)- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَهُوَ بَاطِلٌ، بُنِيَ لَهُ قَصْرٌ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ، بُنِيَ لَهُ فِي وَسَطِهَا"} (٤).

(١٥)- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي قُرَادٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَوَضَّأَ يَوْمًا فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَتَمَسَّحُونَ بِوَضُوئِهِ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا يَحْمِلُكُمْ عَلَى هَذَا؟ قَالُوا: حُبُّ اللهِ وَرَسُولِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُحِبَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، أَوْ يُحِبَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ فَلْيَصْدُقْ حَدِيثَهُ إِذَا حَدَّثَ، وَلْيُؤَدِّ أَمَانَتَهُ إِذَا ائْتُمِنَ، وَلْيُحْسِنْ جِوَارَ مَنْ جَاوَرَهُ"} (٥).

١- المسند للإمام أحمد، ج:٣، رقم الحديث: ٢١٣٧.

٢- الصحيح للإمام البخاري، ج:١، رقم الحديث: ١٩٩٩.

٣- المؤطأ للإمام مالك، ج:١، رقم الحديث: ١٧١٢.

٤- السنن للإمام ابن ماجه، ج: ١، رقم الحديث: ٥١.

٥- المشكاة المصابيح، ج:٤، رقم الحديث: ٩٢١.

(١٦)- عَنْ سُفْيَانَ بْنِ أَسِيدٍ الْحَضْرَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "كَبُرَتْ خِيَانَةً أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ، وَأَنْتَ لَهُ بِهِ كَاذِبٌ"} [١].

(١٧)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، {أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ"} [٢].

(١٨)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا يُؤْمِنُ الْعَبْدُ الْإِيمَانَ كُلَّهُ حَتَّى يَتْرُكَ الْكَذِبَ فِي الْمُزَاحَةِ وَيَتْرُكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ صَادِقًا"} [٣].

(١٩)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ"} [٤].

(٢٠)- عَنْ خُرَيْمِ بْنِ فَاتِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَامَ قَائِمًا، فَقَالَ: "عُدِلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ بِالْإِشْرَاكِ بِاللَّهِ"، ثَلَاثَ مِرَارٍ} [٥].

(٢١)- عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، {عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: "ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، قُلْتُ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ خَابُوا وَخَسِرُوا؟ فَأَعَادَهَا ثَلَاثًا، قُلْتُ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ خَابُوا وَخَسِرُوا؟ فَقَالَ: الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ

١- السنن للإمام أبي داؤد، ج: ٣، رقم الحديث: ١٥٦٣.

٢- الصحيح للإمام البخاري، ج: ١، رقم الحديث: ٢٥٧٠.

٣- المسند للإمام أحمد، ج: ٤، رقم الحديث: ١٤٥٥.

٤- السنن للإمام أبي داؤد، ج: ٢، رقم الحديث: ٥٩٧.

٥- السنن للإمام أبي داؤد، ج: ٣، رقم الحديث: ٢٠٦.

ٱلكاذب أو ٱلفاجر"}[١].

(٢٢)- {قَال رَسُول الله صلى الله عَلَيه وَسَلَم: "وَيْلٌ لِلَّذي يُحَدثُ فَيَكْذبُ لِيُضْحك به الْقَوْمَ وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ"}[٢].

٤- **أقسام الصدق:**

المراد من الصدق في الدين هو صدق الأفعال، صدق الأقوال، وصدق الأحوال.

(١)- صدق الأقوال: هو ما يطابق الواقع. والمتصف بهذا الوصف يقال له صادق.

(٢)- صدق الأفعال: هو أن يكون جيمع الأعمال حسب أوامر الله، ولا يكون فيه خلاف الشرع. والإنسان الذي تكون أفعاله دائما موافقة للشريعة يقال له صادق الأفعال.

(٣)- صادق الأحوال: هو أن تكون أحواله موافقة للسنة النبوية، فالأحوال المخالفة للسنة هي أحوال كاذبة. والتي تكون موافقة للسنة فيقال له صادق الأحوال.

٥- **مراتب الصدق:**

تكون علاقة الصدق بستة أشياء، أي أن الصدق يكون في ستة أشياء، والكامل فيها هو صديق:

(١)- الصدق الأول: هو صدق اللسان أن لا يكذب الإنسان قط لا في خبر الماضي ولا في الحال ولا في الوعد الذي يتم للمستقبل.

(i)- الكمال صدق اللسان أن لا يتكلم بالإشارة ولا بالكناية أن يقول كلاما ويفهم منه المخاطب شيئا آخر.

(ii)- وإذا كان المتكلم في موقف يكون الصدق فيه خلاف المصلحة، مثل الكلام مع العدو أو المصالحة بين المسلمين والكمال فيه أيضاً أن يجتنب

١- السنن للإمام أبي داؤد، ج: ٣، رقم الحديث: ٦٩٦.

٢- السنن للإمام أبي داؤد، ج: ٣، رقم الحديث: ١٥٨١.

من الكذب الصريح، ويحاول قدر الإمكان أن يستخدم الإشارة أو الكناية مثل: كلام سيدنا أبي بكر رضي الله تعالى عنه أثناء هجرته إلى المدينة حينما سأله الناس من هذا الرجل الذي معك؟ وقال لهم: هذا هادي يهديني إلى الطريق. والكلام الذي قاله أبو بكر رضي الله تعالى عنه كان صادقًا فيه، ولكن السامع يفهم منه أنه رجل من هذه المنطقة يعلم الطُرق، ومراد أبي بكر رضي الله تعالى عنه هو أنه يهديني إلى الله تعالى وإلى رضائه وإلى جنته. ولكن يجب أن يكون هذا لتحقيق الحق أو للمصلحة. ومثل هذا الرجل لا ينحط من درجة الصدق.

(٢)- الصدق الثاني هو صدق النية: أن تكون جميع الأعمال لله سبحانه وتعالى ولا يكون فيها سواه وأن لا يشرك به، وهذا إخلاص، ويطلق عليه أيضاً الصدق، وإذا كان في قلب المؤمن شيءٌ سوى التقرب إلى الله تعالى فهو كاذب.

(٣)- والصدق الثالث هو صدق الإرادة: فمثلا أراد شخص إن حصلت الرئاسة فأقوم بالعدل، وإن حصلت المال فأنفق في سبيل الله. مثل هذه الإرادة قد تبقى قائمةً وقد تأتي فيها شائبة وشك. فإذا كانت الإرادة قوية وبدون أي تردد وشك فيطلق عليها العزم الصادق. فالصديق هو الذي يرى في قلبه إرادة الأعمال الصالحة قوية.

(٤)- الصدق الرابع هو صدق إكمال الإرادة. إذا كانت إرادة شخص قوية، أنه سيعمل لإعلاء كلمة الحق، لكن لما تأتي فرصة لإعلاء كلمة الحق فلا يستعد للجهد والسعي، وهذا لا يكون صدقًا، والصدق أن يكمل إرادته بكل فرحٍ وسرورٍ.

(٥)- الصدق الخامس هو صدق الباطن، والمراد منه أن لا يعمل عملاً حتى يتصف باطنه بهذه الصفة، فمثلاً إذا كان شخص يمشي بكل هدوءٍ ولكن لا يكون في باطنه وقار فلا يكون مثل هذا الشخص صادقًا؛ لأن صدق الباطن يأتي حينما يجعل

الإنسان ظاهره موافقاً بالباطن، ويكون باطنه أحسن من الظاهر، أو على الأقل يكون سواء. ولذا كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو الله سبحانه وتعالى: {اللَّهُمَّ اجْعَلْ سَرِيرَتِي خَيْرًا مِنْ عَلَانِيَتِي وَاجْعَلْ عَلَانِيَتِي صَالِحَةً}(١).

(٦)- الصدق السادس صدق الطلب. والمراد منه هو أن يطلب منازل الدين بقلبه ولا يكتفي بظواهرها، مثل طلب منزلة الزهد والحب والتوكل والخوف والرجاء والرضاء وغيره. على الرغم أن لكل مؤمن نصيباً من هذه المقامات ولكن بضعف. والذي يقوم على هذه المقامات بكل قوة فيقال له صادق. فمثلاً إذا كان الإنسان يخاف من شيء فتكون علامته اصفرار الوجه وارتعاشه وترك الطعام والشراب والاضطراب.

فالذي يكون صادقاً في هذه المراتب الستة فهو يصل إلى كمال الصدق ونقول له الصديق. والذي يكون صادقاً في واحد منها ولا يكون صادقاً في غيرها لا نطلق عليه كلمة الصديق، فتكون درجته حسب صدقه.

٦- **درجات الصدق:**

لمعرفة الصدق ثلاث درجات:

(١)- يقال عن شخص أنه صادق.

(٢)- يقال عن شخص أنه صدوق. (فعول)

(٣)- يقال عن شخص أنه صدّيق (فعيل)

والدرجة الثالثة هي أعلى درجات الصدق التي فاز بها سيدنا أبي بكر رضي الله تعالى عنه وقد فاز بهذا المقام؛ لأنه آمن برسالة سيدنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وقت كذبه جميع الناس سوى أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله تعالى عنها وقد صدّق حينئذ برسالة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بظاهره وباطنه وبقوله وفعله.

١- الجامع للإمام الترمذي، ج:٢، رقم الحديث: ١٥٤٣.

٧- **ثمرات الصدق:**

هناك ثمرات عظيمة وفوائد جليلة للصدق، **منها:**

(١)- إن الله سبحانه وتعالى يمنح الصادقين ثلاث نَعَم:

(i)- تكون في كلامه حلاوة.

(ii)- تكون في قلوب **الآخرين رهبته.**

(iii)- يكون وجهه ناضر.

(٢)- **يعطيه ا□ حسنات الدنيا والآخرة.**

(٣)- بالصدق يمكن للعبد ا□**صول** على **حب ا□ وملائكته.**

(٤)- **يُكتب له القبول عند أهل الأرض.**

(٥)- الصدق أساس الأعمال كلها وروحها.

(٦)- يؤجر بالصدق بالأجر العظيم على العمل القليل والدعاء ا□**وجز.**

(٧)- يكتب للصادق ثواب كل عمل يكون لرضاء الله تعالى ولو كان مباحاً.

(٨)- يكتب للعبد الصادق على كل نية لعمل ولو لم يستطع إكماله.

(٩)- إن الله سبحانه ينصر الصادقين بصدقهم.

(١٠)- الصدق ينجّي من عذاب الله.

(١١)- ترتفع درجات العبد عند الله بالصدق.

(١٢)- الصدق ينجّي من الضلال.

(١٣)- الصدق يكون سبباً للإزدياد في الهداية.

(١٤)- يطمئن القلب بالصدق ويكون هناك إحساس بالسعادة.

(١٥)- بالصدق يتم تجميل الإيمان وتزيينه في قلب الإنسان.

(١٦)- يوفق الصادق بصحبة الصالحين والمخلصين.

(١٧)- تُقبل الأدعية بالصدق.

(١٨)- حُسن العاقبة.

(١٩)- وبالصدق يمكن الدخول في الجنة.

(٢٠)- وبالصدق تكون النجاة من النار.

٨- **أقوال الصوفياء عن الصدق:**

تنسب أقوال رائعة عن الصدق من الشيوخ:

(١)- يقول أبو سليمان الدراني رحمة الله عليه: لو أراد الصادق أن يصف ما في قلبه ما نطق به لسانه[١].

(٢)- ويقول قناد رحمة الله عليه: الصدق: منع الحرام من الشدق[٢].

(٣)- ويقول الواسطي رحمة الله عليه: الصدق: صحة التوحيد مع القصد[٣].

(٤)- يقول الجنيد البغدادي رحمة الله عليه: الصديق هو الذي يكون صادقاً في أقواله وأفعاله وأحواله[٤].

(٥)- يقول الجنيد البغدادي رحمة الله عليه: الصدق هي صفة الصادق والصادق هو الذي تجده صادقاً دائماً مثل ما تسمعه صادقاً[٥].

(٦)- يقول أبو علي دقاق رحمة الله عليه: الإخلاص هو البعد عن أعين الناس، والصدق هو التجنّب عن إظهار الأعمال فلا يكون المخلص مرائياً وكما لا يكون الصادق

١- الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشري، ص: ٢٦٨.

٢- المرجع السابق، ص: ٢٦٨.

٣- المرجع السابق، ص: ٢٦٨.

٤- التصوف والتصورات للصوفية، للأستاذ الدكتور أحمد صديقي، ص: ٣٨٤.

٥- المرجع السابق، ص: ٣٨٤.

أنانيا (متكبراً)[١].

(٧)- **يقول**: أبو علي دقاق رحمة الله عليه: الصدق أن تكون مع الناس كما ترى من نفسك، أو ترى من نفسك كما تكون[٢].

(٨)- يقول الحارث المحاسبي رحمة الله عليه: عن علامة الصدق، فقال: الصادق: **هو** الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه، ولا يحب **إطلا**ع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله، ولا يكره أنْ يطلع الناس على السيء من عمله؛ فإن كراهته لذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من أخلاق الصديقين[٣].

(٩)- يقول الشيخ حذيفة المرعشي رحمة الله عليه: إن التوافق في أفعال العبد بين الظاهر **والباطن هو الصدق**[٤].

(١٠)- يقول أبو سليمان رحمة الله عليه: تزول الوساس الكثيرة والرياء إذا صمّم الإنسان بالصدق والإخلاص[٥].

(١١)- يقول ذو النون المصري رحمة الله عليه: إنما الإخلاص يكتمل بالصدق والصبر، والصدق يتم بالإخلاص والمداومة عليه[٦].

(١٢)- يقول مكحول رحمة الله عليه: إن الإنسان إذا استمر في الصدق والإخلاص لمدة

١- الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشري، ص: ٣٨٠.

٢- المرجع السابق، ص: ٢٨٠.

٣- المرجع السابق، ص: ٣٨٧.

٤- المرجع السابق، ص: ٢٦٦.

٥- المرجع السابق، **ص**: ٢٦٨.

٦- المرجع السابق، ص: ٢٦٨.

أربعين يوما فتأتي الحكمة والفطانة في لسانه[١].

(١٣)- يقول عبد الواحد بن زيد رحمة الله عليه: الصدق والإخلاص هو أداء حقوق الله بالعمل[٢].

(١٤)- والصدق والإخلاص عند الإمام الشعراني رحمة الله عليه: **هو ترك المنهيات جميعاً.** والذي ترك المنهيات جميعاً واستذكر الموت وترك الغلظة في الطبيعة والهوى النفسية فهو ينال الاستقامة في مقام الصديقية[٣].

(١٥)- يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمة الله عليه: إن للصدق ثلاثة أقسام:

(i)- الصدق في الأقوال: هو موافقة القلب بالقول في وقته.

(ii)- الصدق في الأعمال: هو أن يعمل العمل بأن الله تعالى يراه وينسى نفسه.

(iii)- الصدق في الأحوال: هو قيام طبيعة الإنسان في حالة واحدة ولو كان خوف العدو أو الطلب الفاسد للصديق[٤].

(١٦)- يقول أبو النجيب ضياء الدين السهروردي رحمة الله عليه: الصدق هو التوحد بين الظاهر والباطن[٥].

(١٧)- وهناك قول الصوفي: الصدق هو أن لا يجعل الإنسان شاهداً على عمله سوى الله سبحانه وتعالى[٦].

١- المرجع السابق، ص: ٢٦٨.

٢- **التصوف والتصورات للصوفية**، للأستاذ الدكتور أحمد صديقي، **ص: ٢٨٤.**

٣- الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشري، ص: ٢٦٨.

٤- بهجة الأسرار، للشيخ عبد القادر الجيلاني، ص: ٢٣٥.

٥- آداب المريدين للشيخ ضياء الدين السهروردي، ص: ٣٦.

٦- الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشري، ص: ٢٦٨.

٩- وقائع الصدق وأخباره:

تنقل بعض أحوال الصدق لأولياء الله تعالى للعظة والنصيحة.

(١)- كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دائما يصدق ويعلّم الناس الصدق، حتى أن جميع أعدائه يشهدون على صدقه وأمانته كما في رواية: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: {صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّفَا ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ يَا صَبَاحَاهْ فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ قَالُوا مَا لَكَ قَالَ أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أَوْ يُمَسِّيكُمْ أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي قَالُوا بَلَى قَالَ فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ}[1].

(٢)- كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتكلم بالصدق دائماً وقد اشتهر بالصادق والأمين لصدقه وردت الرواية عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْبَرَهُ، {أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ، "أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تُجَّارًا بِالشَّأْمِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ: أَبُو سُفْيَانَ، فَقُلْتُ: أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا، فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ، فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ، ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ، أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ، قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَقُلْتُ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ، قَالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ، قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ

١- المشكاة المصابيح، ج:٤، رقم الحديث: ١٣٠٤.

يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لاَ، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لاَ نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا، قَالَ: وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟ قُلْتُ: الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ، قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ"}[1].

(٣)- كانت حياة الصحابة رضوان الله تعالى أجمعين مُصطبغة بصبغة الأسوة الحسنة للرسول صلى الله عليه وسلم ولذا فإنهم يفضّلون دائماً الصدق، حتى أن صغارهم أيضاً مشهورون بالصدق كما روي عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي نَطْلُبُ الْعِلْمَ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ الْأَنْصَارِ قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لَقِينَا أَبَا الْيَسَرِ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ غُلاَمٌ لَهُ مَعَهُ ضِمَامَةٌ مِنْ صُحُفٍ، وَعَلَى أَبِي الْيَسَرِ بُرْدَةٌ وَمَعَافِرِيٌّ وَعَلَى غُلاَمِهِ بُرْدَةٌ وَمَعَافِرِيٌّ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا عَمِّ إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِكَ سَفْعَةً مِنْ غَضَبٍ؟، قَالَ: أَجَلْ كَانَ لِي عَلَى فُلاَنِ ابْنِ فُلاَنٍ الْحَرَامِيِّ مَالٌ، فَأَتَيْتُ أَهْلَهُ، فَسَلَّمْتُ، فَقُلْتُ: ثَمَّ هُوَ، قَالُوا: لاَ فَخَرَجَ عَلَيَّ ابْنٌ لَهُ جَفْرٌ، فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ أَبُوكَ؟، قَالَ: سَمِعَ صَوْتَكَ فَدَخَلَ أَرِيكَةَ أُمِّي، فَقُلْتُ: اخْرُجْ إِلَيَّ فَقَدْ عَلِمْتُ أَيْنَ أَنْتَ فَخَرَجَ، فَقُلْتُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ اخْتَبَأْتَ مِنِّي؟، قَالَ: أَنَا وَاللَّهِ أُحَدِّثُكَ، ثُمَّ لاَ أَكْذِبُكَ خَشِيتُ وَاللَّهِ أَنْ أُحَدِّثَكَ فَأَكْذِبَكَ، وَأَنْ أَعِدَكَ فَأُخْلِفَكَ وَكُنْتَ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكُنْتُ وَاللَّهِ مُعْسِرًا، قَالَ: قُلْتُ: آللَّهِ، قَالَ: اللَّهِ، قُلْتُ: آللَّهِ، قَالَ: اللَّهِ، قُلْتُ: آللَّهِ، قَالَ: اللَّهِ، قَالَ: فَأَتَى بِصَحِيفَتِهِ، فَمَحَاهَا بِيَدِهِ، فَقَالَ: إِنْ وَجَدْتَ قَضَاءً، فَاقْضِنِي وَإِلاَّ

١- الصحيح للإمام البخاري، ج:١، رقم الحديث:٦.

أنت في حلٍّ، فأشهد بصر عينيّ هاتين، ووضع إصبعيه على عينيه وسمع أذنيّ هاتين ووعاه قلبي هذا، وأشار إلى مناط قلبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، **وهو يقول**: من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله في ظله"} (1).

(٤)- **عن عبد الله بن كعب بن مالك رضي الله عنه، {أن عبد الله بن كعب كان قائد** كعب من بنيه حين عمي قال سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن **رسول** الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال كعب بن مالك لم أتخلف عن **رسول** الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك غير أني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحدًا تخلف عنه إنما خرج رسول الله صلى الله **عليه وسلم والمسلمون** يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد **ولقد شهدت مع رسول** الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرٍّ شديد واستقبل سفرًا بعيدًا ومفازًا واستقبل عدوا كثيرًا فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم **بوجههم الذي يريد والمسلمون مع رسول** الله صلى الله عليه وسلم كثيرٌ ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعبٌ فقلَّ رجلٌ يريد أن يتغيب يظن أن ذلك سيخفى له ما لم ينزل فيه وحيٌ من الله **عز وجل وغزا رسول** الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فأنا إليها أصعر فتجهز رسول الله صلى الله **عليه وسلم والمسلمون معه**

١- الصحيح للإمام مسلم، ج: ٣، رقم الحديث: ٣٠١١.

وَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا وَأَقُولُ فِي نَفْسِي أَنَا قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ إِذَا أَرَدْتُ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اسْتَمَرَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ **عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَادِيًا وَالْمُسْلِمُونَ** مَعَهُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتَمَادَى بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ ثُمَّ لَمْ يُقَدَّرْ ذَلِكَ لِي فَطَفِقْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْزُنُنِي أَنِّي لَا أَرَى لِي أُسْوَةً إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي النِّفَاقِ أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ **مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ** وَالنَّظَرُ فِي عِطْفَيْهِ فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ بِئْسَ مَا قُلْتَ وَاللَّهِ **يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا** عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ رَأَى رَجُلًا مُبَيِّضًا يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ **عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ** فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ **الْمُنَافِقُونَ** **فَقَالَ** كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ **عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا** مِنْ تَبُوكَ حَضَرَنِي بَثِّي فَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ بِمَ أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ كُلَّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي فَلَمَّا قِيلَ لِي إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ **عَلَيْهِ** وَسَلَّمَ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا زَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَنْجُوَ مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَدًا فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ وَصَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ **عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَادِمًا وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ** بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ **الْمُخَلَّفُونَ** فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ **رَجُلًا فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ **حَتَّى**

جئت فلما سلمت تبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك قال قلت يا رسول الله إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر ولقد أعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عقبى الله والله ما كان لي عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي والله ما علمناك أذنبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت في أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به إليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك قال فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذب نفسي قال ثم قلت لهم هل لقي هذا معي من أحد قالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك قال قلت من هما قالوا مرارة بن الربيعة العامري وهلال بن أمية الواقفي قال فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما أسوة قال فمضيت حين ذكروهما لي قال ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه قال فاجتنبنا الناس وقال تغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض فما هي بالأرض التي أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام

أَمْ لَا ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ وَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي حَتَّى إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمَنَّ أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالَ فَسَكَتَ فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ فَسَكَتَ فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ فَقَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَفَاضَتْ عَيْنَايَ وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ نَبَطِ أَهْلِ الشَّامِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ حَتَّى جَاءَنِي فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ وَكُنْتُ كَاتِبًا فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةٍ فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ قَالَ فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتُهَا وَهَذِهِ أَيْضًا مِنْ الْبَلَاءِ فَتَيَامَمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهَا بِهَا حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنْ الْخَمْسِينَ وَاسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِينِي فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ قَالَ فَقُلْتُ أُطَلِّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ قَالَ لَا بَلْ اعْتَزِلْهَا فَلَا تَقْرَبَنَّهَا قَالَ فَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ بِمِثْلِ ذَلِكَ قَالَ فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي الْحَقِي بِأَهْلِكِ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ قَالَ فَجَاءَتْ امْرَأَةُ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ قَالَ لَا وَلَكِنْ لَا يَقْرَبْكِ فَقَالَتْ إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ وَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا قَالَ فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي امْرَأَتِكَ فَقَدْ أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ قَالَ فَقُلْتُ لَا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يُدْرِينِي مَاذَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب قال فلبثت بذلك عشر ليالٍ فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهي عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل منا قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخٍ أوفى على سلعٍ يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر قال فخررت ساجدا وعرفت أن قد جاء فرج قال فآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل إلي فرسا وسعى ساعٍ من أسلم قبلي وأوفى الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني فنزعت له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته والله ما أملك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما فانطلقت أتأمم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقاني الناس فوجا فوجا يهنئوني بالتوبة ويقولون لتهنئك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني والله ما قام رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور ويقول أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال فقلت أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله فقال لا بل من عند الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه كأن وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف ذلك قال فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت فإني أمسك سهمي الذي بخيبر

قَالَ وَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصِّدْقِ وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ قَالَ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِي هَذَا أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي اللَّهُ بِهِ وَاللَّهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذْبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِي هَذَا وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيَ قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ} حَتَّى بَلَغَ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} قَالَ كَعْبٌ وَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ وَقَالَ اللَّهُ: {سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنْ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} قَالَ كَعْبٌ كُنَّا خُلِّفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ حَلَفُوا لَهُ فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى فِيهِ فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا} وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا خُلِّفْنَا تَخَلُّفَنَا عَنْ الْغَزْوِ وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ}(1).

١- الصحيح للإمام البخاري، ج:٢، رقم الحديث: ١٦٠٥.

(٥)- ذات ليلة خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع خادمه أسلم ليتفقد أحوال المسلمين في جوف الليل، وفي أحد الطرق استراح من التجوال بجانب جدار، فإذا به يسمع امرأة تقول: قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه (اخلطيه) بالماء. فقالت الابنة: يا أُمّتاه، وما علمت ما كان من عَزْمَة أمر أمير المؤمنين اليوم؟! قالت الأم: وما كان من عزمة أمره؟ قالت: إنه أمر مناديًا فنادى: لا يُشَابُ أي لا يُخلط اللبن بالماء. فقالت الأم: يا بنتاه، قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء فإنك في موضع لا يراك عمر، ولا منادى عمر. فقالت الصبيّة: والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء، إن كان عمر لا يرانا، فرب أمير المؤمنين يرانا. فلما سمع عمر بن الخطاب ذلك، أعجب بالفتاة لورعها ومراقبتها لله رب العالمين. وقال: يا أسلم، علِّم الباب أي ضع عليه علامة واعرف الموضع ثم مضي. فلما أصبح قال: يا أسلم، امض إلى الموضع فانظر من القائلة؟ ومن المقول لها؟ وهل لهما من بعل زوج. فذهب أسلم إلى المكان، فوجد امرأة عجوزًا، وابنتها أم عمارة، وعلم أنْ ليس لهما رجل، ثم عاد فأخبر عمر. فدعا عمر أولاده، فقال: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوّجه، ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه الجارية. فقال عبد الله بن عمر: لي زوجة. وقال أخوه عبد الرحمن: لي زوجة. وقال ثالثهما عاصم: يا أبتاه لا زوجة لي فزوجني. فبعث إلى الجارية فزوّجها من عاصم، فولدت لعاصم بنتًا، ولدت هذه البنت ابنة صارت أمًا لعمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد الخامس[1].

(٦)- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ: سُمِّيتُ بِهِ لَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَبُرَ عَلَيَّ، فَقَالَ: أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غِبْتُ عَنْهُ، أَمَا وَاللهِ لَئِنْ أَرَانِي اللهُ مَشْهَدًا مَعَ رَسُولِ اللهِ

١- عيون الحكايات، للإمام عبد الرحمن الجوزي، رقم الحكاية: ١٠، ص: ٢٦.

صلى الله عليه وسلم فيما بعد ليرين الله ما أصنع، قال: فهاب أن يقول غيرها، فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد من العام القابل، فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا أبا عمرو، أين؟ قال: واها لريح الجنة أجدها دون أحد، فقاتل حتى قتل، فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية، فقالت عمتي الربيع بنت النضر: فما عرفت أخي إلا ببنانه"}(1).

(٧)- ذات مرة سافر الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمة الله عليه مع قافلة تذهب إلى الحج وقبل خروجه أعطته أمه مبلغاً بسيطا قدره أربعون دينارا لكنها طلبت منه أن يعاهدها على الصدق طيلة سفره، فانطلق عبد القادر الجيلاني وكان لا يزال طفلا متجها نحو بغداد ليدرس العلم على يد شيوخ الإسلام هناك، ولكنه لما وصل إلى منطقة تسمى همدان اعترض قافلتهم عرب وهم قطاع طرق، فسرقوا القافلة، ثم توجه واحد منهم إلى الطفل الجيلاني وقال له: ماذا يوجد معك؟ قال الطفل الصادق: أربعون دينارا فتركه الرجل ظنا منه أنه يسخر منه! فمر به رجل آخر من قطاع الطرق فقال له: ما معك؟ فاجابه بمثل ما أجاب الرجل الأول. أخذ الرجال هذا الطفل إلى أمير المجموعة فسأله نفس السؤال ومرة أخرى الجيلاني يجيب بنفس الجواب: معي أربعون دينارا فسأله الأمير مستغربا: ما حملك على الصدق أيها الفتى؟ فقال: قبل سفري إلى بغداد عاهدتني أمي على الصدق وخفت أن أخونها، فبكى الأمير وقال: أنت خفت أن تخون عهد الأم ونحن لم نخف أن نخون عهد الله عز وجل! فأمر رجاله بأن يردوا القافلة المسروقة إلى أهلها، ثم قال الأمير للطفل الصادق عبد القادر الجيلاني: لقد تبت إلى الله من هذه السرقة! وأنا تائب على يدك بسبب صدقك أيها الفتى! فتاب كل الرجال من قطاع

١- الجامع للإمام الترمذي، ج: ٢، رقم الحديث: ١١٤٨.

الطرق بعد توبة أميرهم[١].

(٨)- كان أبو على الثقفي رحمة الله عليه يتكلم يوماً، فقال له عبد الله بن منازل: يا أبا على، استعد للموت فلا بد منه. فقال أبو على: وأنت يا عبد ا، استعد للموت فلا بد منه. فتوسد عبد ا ذراعه، ووضع رأسه، وقال: قد مت[٢].

(٩)- وحُكي عن أبي عمرو الزجاجي رحمة الله عليه أنه قال: ماتت أمي، فورثت منها داراً، فبعتها بخمسين ديناراً، وخرجت إلى الحج، فلما بلغت بابل استقبلني من واحد القناقنة وقال: ما معك؟ فقلت في نفسي: الصدق خير، ثم قلت: خمسون ديناراً. فقال ناولنيها. فناولت الصرة، فعدّها؛ فإذا هي خمسون ديناراً. فقال: خذها؛ فلقد أخذني صدقك. ثم نزل عن الدابة، وقال: أركبها. فقلت: لا أريد! فقال لا بد. وألح عليّ. فركبتها. فقال: وأنا على أثرك. فلما كان العام المستقبل لحق بي، ولازمني حتى مات[٣].

(١٠)- يقول عبد الله الرملي رحمة الله عليه رأيت في المنام الشيخ منصور الدينوري رحمة الله عليه فسألته ماذا فعل الله بك؟ فقال الدينوري غفرلي ربي ورحم عليّ وأعطاني أكثر من ظني فسألته ما هو الأحسن ليتقرب به العبد إلى الله سبحانه وتعالى فقال: الصدق[٤].

(١١)- يبيّن الشيخ سعدي رحمة الله عليه قال الشيخ قولا صادقا أمام الملك فسخط الملك وأمر بسجنه فقال للشيخ صديقه هذا الكلام لم يكن مناسباً أمام الملك. أجاب

١- زبدة الآثار تلخيص بهجة الأسرار للشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي، ص: ١٣ - ١٤.

٢- الرسالة القشرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشري، ص: ٢٦٨.

٣- المرجع السابق، ص: ٢٦٨.

٤- إحياء علوم الدين للإمام أبي الحامد محمد الغزالي، ج:٤، ص: ٥٧٨.

الشيخ الصدق عبادة وأن الله تعالى أمرنا بالصدق، أنا لا أخاف السجن لأن هذه المدة قصيرة، فضحك الملك سخرية، وقال أنه في خطأ، فهو لا يخرج من السجن **إلا بعد الموت.**

أوصل عبد الملك هذه الرسالة إلى الشيخ فقال للعبد قل للملك إن هذه الحياة فانية **وأن الدنيا أقل بنسبة الآخرة.** ولا يهمني الفرج **والحزن. وإذا كان عندك اليوم كل** شيء من الجنود والخزائن والسلطة، وأن أهلي مصابون بالابتلاء فلا بأس. **نموت غداً فنكون سواء. أنا أكون غذاء للديدان وأنت كذلك.** فلا تكذب الصدق محباً لهذا المال الزائل عليك أن تعيش بطريقة يذكر الناس حسناتك[1].

***

١- حكايات سعدي، للشيخ سعدي، رقم الحكاية: ١٧٣.

٨

مقام الشكر



١ - **مفهوم الشكر:**

(١)- معنى الشكر هو الثناء على المعروف. عندما يحس العبد أن النعم المادية والمعنوية كلها من الله تعالى ينشأ في قلبه داعية الحمد والثناء لله سبحانه وتعالى، وهذا هو **الشكر.** حينما يرى العبد نفسه أنه لا يستطيع أن يشكر ربه حق الشكر تتمزّق نفسه من الداخل ولا يجد مخلصاً سوى الاعتراف بعجزه. **وهذه درجة عليا للشكر.**

(٢)- حقيقة الشكر هو الاعتراف بالمحسن بكل عجز وتواضع. بناءً على هذا المعنى **كلمة "الشكور"** على سبيل المبالغة على الله سبحانه وتعالى، والمراد منه هو أن الله سبحانه وتعالى يجزي شكر العباد. **وما جزاء الشكر إلا الشكر. وقد يراد أن ا** سبحانه وتعالى يجزي جزاءً كثيراً بمقابل عمل قليل.

(٣)- الشكر هو الثناء على إحسان المحسن. **ولذا** فإن الشكر من العبد هو أن يشكر على نعم الله سبحانه وتعالى. **والشكر اقيقي من العبد هو امد بلسانه والاعتراف** بالمنن بقلبه ولا يعبد سواه، ولا يستعين غيره.

(٤)- ينبغي على المحسَن أن يعترف بإحسان المحسِن بقلبه، ويعترف بلسانه، ويُثبت **بعمله.** واجتماع هذه الأشياء الثلاثة يسمى بالشكر. **ومقتضيات هذا الشكر هو:**

(i)- أن ينسب الإنسان الإحسان إلى المحسن الحقيقي.

(ii)- وأن لا يشرك في شكره واعترافه لغيره.

(iii)- **أن يمتلئ قلب الإنسان باب والوفاء حسنه.**

(iv)- أن لا يتعلق بمخالفي المحسن بعلاقة الحب والإخلاص والوفاء.

(v)- أن يطيع محسنه.

(vi)- **أن لا يستخدم نعم الحسن خلاف منشائه.**

(٥)- ليس من الضروري للشكر كثرة النعم، بل يجب الشكر على النعم الصغيرة.

ولا يتم الشكر إلا بذكر نعم الله سبحانه وتعالى الماضية، ويكون ممنوناً على نعمه الغزيرة، وخجلاً بإحسانه، ويستمر في الشكر كما فعل سيدنا عمر رضي الله تعالى **عنه** حينما مّر في ميدان ضجنان أثناء رجوعه من الحج قال متذكراً ماضيه الحمد لله الذي لا إله إلا هو يعطي من يشاء، والله كنت أرعي إبل أبي، وكان غليظاً يتعبني بالأعمال ويضربني على التقصير. والآن أصبح وأمسي وليس هناك أحد بيني وبين ربّي أنا لا أخاف غيره[1].

٢- **الشكر في ضوء القرآن الكريم:**

ذكر الله سبحانه وتعالى الشكر في كتابه الكريم **مّرات عديدة.** وفي بعض الآيات **يوجد الأمر بالشكر، وذكر سبب الشكر ومن** بعض هذه الآيات:

(١)- ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾[2].

نعلم من هذه الآية المباركة أن:

(i)- الذي يذكر الله سبحانه وتعالى هو يذكره بسبب ذكره.

(ii)- **الذي ينسى ربه الحقيقي مشتغلا بمتاع الحياة الدنيوي ينساه ربه.**

(iii)- على الإنسان أن يذكر نعم الله تعالى ويشكره عليها.

(iv)- المراد من الذكر هو التسبيح والتكبير له.

(v)- **الشكر هو بذل القوة والقدرة** في طاعة الله سبحانه وتعالى.

(vi)- استعمال النعم الإلهية في عصيان الله سبحانه وتعالى كفر.

(vii)- **هناك بشارة بمزيد** من النعم على الشكر.

(viii)- فيه وعيد بالعذاب على الكفر.

١- استيعاب في معرفة الأصحاب، تذكرة سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه، للشيخ عبد البر.

٢- سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

(٢)- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾(١).

(i)- أمر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية المؤمنين بالأكل الحلال الطيب واكتسابه؛ إذا لا يُقبل دُعاءٌ ولا عبادة بغيره. **عندما لا يقبل دعاء الإنسان وعبادته فلا يمكن الشكر سبحانه وتعالى**. ولذا لا يوفق الإنسان بالشكر إلا بالأكل الحلال.

(ii)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ"، فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ". وَقَالَ: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ} (٢).

(iii)- يجب على الإنسان الإحساس بنعم الله سبحانه وتعالى.

(iv)- يجب على الإنسان الشكر للعبودية.

(٣)- ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾(٣).

١- سورة البقرة، الآية: ١٧٢.

٢- الصحيح للإمام مسلم، ج: ١، رقم الحديث: ٢٣٣٩.

٣- سورة النحل، الآية: ١١٤.

ذُكر لنا في هذه الآية أن الذين يعبدون الله سبحانه وتعالى ينبغي لهم أن يشكروه على نعمه. وطريقة الشكر هو أن تُستعمل الأشياء الحلال ويمنع نفسه عن الأشياء المحرّمة:

(i)- إن الله هو الرزاق.

(ii)- يجب أكل الحلال الطيب.

(iii)- ينبغي الشكر على نعم الله سبحانه وتعالى.

(iv)- لا يجوز عبادة ما سوى الله تعالى.

(v)- الشكر هو من علامات العبادة لله سبحانه وتعالى.

(٤)- ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[١].

ظهرت من هذه الآية الكريمة المباركة النقاط التالية:

(i)- لا رازق سوى الله سبحانه وتعالى.

(ii)- يجب الاسترزاق من الله فقط.

(iii)- النعم كلها من الله سبحانه وتعالى.

(iv)- لا يجوز عبادة غير الله تعالى.

(v)- يجب الشكر لله تعالى فقط.

(vi)- الحياة بخشية الله تعالى من أحسن الحياة.

(vii)- كلنا مسؤولون عن أعمالنا يوم القيامة.

(٥)- ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[٢].

١- سورة العنكبوت، الآية: ١٧.

٢- سورة لقمٰن، الآية: ١٤.

ذّكرت الآية أولاً على الشكر لله سبحانه وتعالى ثم الشكر للوالدين يجب على **الإنسان أولاً الشكر** □. وهو الخالق والمالك والرب. ومن حق الله على العبد أن يشكره **أولاً، وهو** الذي أنعم عليه بنَعم لا تحصى. **وجعل الشكر للوالدين بعد شكر** الله سبحانه وتعالى؛ لأن منن الوالدين على الإنسان كثيرة بعد منن الله سبحانه وتعالى. **ولذا بّينت الآية الشكر للوالدين بعد شكر ا**□ سبحانه وتعالى.

تظهر من الآية نقاط **تالية**:

(i)- حق الله على الإنسان أولاً.

(ii)- حقوق الوالدين بعد حقوق الله مباشرة.

(iii)- **ُأمر كل إنسان بالإحسان** إلى **الوالدين.**

(iv)- درجة الأم أعلى من درجة **الأب** لأنها تتحمل أكثر مشقة **من** غيرها.

(v)- ينبغي أداء حقوق الوالدين.

(vi)- ينبغي الإحسان بالوالدين ولو كانا من غير المسلمين.

(vii)- ينبغي الشكر لحصول رحمة الله سبحانه وتعالى.

(viii)- علينا أن نشكر الوالدين لإحسانهم علينا والشكر لا يمكن إلا بالإحسان.

(ix)- كلنا نرجع إلى الله سبحانه وتعالى.

(x)- الإيمان بحقيقة **يوم القيامة وا**□**ساب.**

(٦)- ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[1].

قّدمت هذه الآية الكريمة درساً بأن ننظر إلى بلدنا ومدينتنا بعين يقظة، ونتدبر في النعم العظيمة المنتشرة فيها، ونتأمل في **من هو وراء هذه النعم. لا شك أن ا**□ سبحانه وتعالى اصطفى لنا نعماً متنوعة وعظيمة بكل تنسيق وترتيب وبكثرة. إن

١- سورة سباء، الآية: ١٥.

الله سبحانه وتعالى كريم وغفور ملأ الدنيا بنعمه الغزيرة رغم كفرنا وعدم تقديرنا لنا لها. **علينا أن نعرف** ما هي حقوق الله تعالى علينا؟ من مقتضيات الفطرة البشرية هو الإحساس بالشكر بعد التأمل في نعم الله تعالى. **ينبغي علينا أن نستخدم نعم** الله سبحانه وتعالى. وإذا قصّرنا في الاستعمال الصحيح لهذه النعم فعلينا أن نستغفر الله سبحانه وتعالى لأنه غفور رحيم.

(٧)- ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[١].

نفهم من الآية المباركة أن الله سبحانه وتعالى منع الإنسان عن جميع أنواع الشرك **وأمر بعبادته وحده**. والهدف الأصلي للعبادة هو أداء الشكر؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو كفيل لجيمع احتياجات البشر مع كونه خالقاً. ولذا يجب على **الإنسان شكره**.

يمكن أن يوضح هذا بأن الإنسان الذي يؤمن بالله خالقه وربه لابد من أن يأتي في **قلبه الإحساس بالشكر. والذي عنده عواطف الشكر فينبغي عليه أن يعبد ربه.**

(٨)- ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[٢].

أُمرنا في هذه الآية المباركة بأن:

(i)- **ينبغي علينا أن نتحدّث عن** نعم ربنا ونُظهرها؛ لأن الله سبحانه وتعالى يحب أن يُظهر عبده نعمه عليه. وإظهار النعم طريقة من طُرق شكر الله تعالى.

(ii)- يمكن أن تكون هناك طرق عديدة لذكر النعم، **وكل نعمة تريد صورة** خاصة لإظهارها حسب نوعيتها. **والصورة العامة للشكر هو الشكر** باللسان والاعتراف بحقيقة أن النعم الحاصلة كلها بسبب فضل الله وإحسانه وليس فيها دخل للكمال الذاتي.

١- سورة الزمر، الآية: ٦٦.

٢- سورة الضحىٰ، الآية: ١١.

(٩)- ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾[١].

(i)- بيّن الله سبحانه وتعالى فضله **وكرمه ثم وضح** الله تعالى **أن ليست هناك فائدة بعذاب الإنسان**. الله سبحانه وتعالى منّزه من هذه التصورات. وليس شأنه تعذيب العباد إنما شأنه هو الرحمة والغفران.

(ii)- إن الله شكور، وليس هناك حد لرحمته وشكره. **ومن شأن شكره أنه** يجزي جزاًء عظيماً بمقابل عمل قليل. **وهو يعطي حسنة بمجرد النية للعمل الصالح**. ويعطي بكل حسنة عشرا ومائة وسبع مائة حسنة وأكثر **من هذا أجرًا ويغفر ذنوب اياة كلها بتوبة صادقة رة واحدة. وإن ا** سبحانه وتعالى يمنح جنة أبدية مليئة بنعم سرمدية بمقابل عمل قليل في **اياة الدنيوية**.

(iii)- **إن ا** سبحانه وتعالى عليم مع كونه شكور، ولذا هو يعلم قدر العمل وقدر الشكر كما يعلم قدر الجزاء، وهو يعطي الجزاء قدر العمل **والشكر. ولذا ينبغي أن نحسن معاملتنا مع الشاكر العليم.**

(١٠)- ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[٢].

قيل لنا في هذه الآية المباركة أن:

(i)- الشكر لله سبحانه وتعالى عمل **مطلوب**.

(ii)- الله سبحانه وتعالى يجزي الشاكرين حُباً لهم.

(iii)- إن الله سبحانه وتعالى لا يضيع الحسنات بل يعطي **الأجر**.

١- سورة النساء، الآية: ١٤٧.

٢- سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(١١)- ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[١].

بيّن لنا في الآية الكريمة أن هناك نوعان من البشر:

(i)- نوع يسأل الله سبحانه وتعالى الدنيا فقط، فيعطيهم الله تعالى جزاءهم في الدنيا فقط.

(ii)- ونوع ثانٍ هم الذين يريدون جزاء حسناتهم في الآخرة ويجعلون الدنيا دار ابتلاء وهؤلاء هم الشاكرون، فيعطيهم الله سبحانه وتعالى أجراً حسناً في الآخرة.

(iii)- على المؤمن الصادق أن يكون شاكراً لينال رحمة ربه وفلاحه.

(iv)- ينبغي على المؤمن الصادق أن يشكر خالقه لأن هذا حق الله على عباده.

(v)- الفائدة في الشكر تعود إلى الإنسان نفسه.

(١٢)- ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴾[٢].

ظهرت نقاط تالية من هذه الآية الكريمة:

(i)- إن الله يجزي الشاكرين بالجزاء الحسن.

(ii)- كل مَنْ يشكره فهو يستحق للإحسان والإنعام.

(iii)- الشكر على النعمة وسيلة للنجاة في الدنيا والآخرة.

(iv)- ينال الشاكرون نعم الله تعالى الخاصة.

(١٣)- ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾[٣].

١- سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

٢- سورة القمر، الآية: ٣٥.

٣- سورة إبراهيم، الآية: ٧.

بيّنت هذه الآية المباركة بأن:

(i)- شكر النعم مهم جداً، ودرجته الأولى هو الإقرار بنعم الله تعالى، ولا بد أن يكون الإقرار بإحساس قلبي ويقين، ويكون الإظهار باللسان أن النعم منحة ربانية، ثم يكون استعمال هذه النعم لرضاء الله تعالى وحسب أوامره. وكل هذا يدخل في شكر النعمة.

(ii)- شكر النعم هو نعمة عظيمة بنفسه؛ إذْ أنه سبب للبركة في النعم وبه يكون صيانة النعم وبقاؤها. وهناك نعم كثيرة لله على عباده ولكن النعمة العظمى هي نعمة الهداية التي تعطي الإنسان فلاح الدارين.

(iii)- كما أن الشكر هو سبب النعم الربانية كذلك الكفر على نعم الله سبحانه وتعالى يكون وبالاً على النفس. وعاقبة الكفر سيئة جداً.

(iv)- يُبتلى الإنسان في الدنيا بالشكر على النعم أو بكفرانها. وضد الإيمان أيضاً الكفر كما أن ضد الشكر كفر. يتضح من هذا كما أن هناك علاقة وطيدة بين الإيمان والشكر وكذلك بين الكفر وكفران النعم. ويكون قوة الشكر حسب قوة الإيمان، وبقدر زيادة الكفر يكون زيادة في الكفران.

(١٤)- ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[١].

(i)- الذي يشكر الله سبحانه وتعالى على نعمه معتقداً أنها عناية ربانية ونعمة كُبرى من النعمة ذاتها مكان التكبر. وهكذا هو يستفيد بنعمة على نعمة. وهم يدركون الحقيقة أن هذا ابتلاء من الله سبحانه وتعالى.

(ii)- ثروة الإيمان ثروة عظيمة، وهي توصل الإنسان من الثرى إلى الثريا. ويكون دأب المؤمنين كلما ينظرون إلى نعم الله تعالى فيقولون فوراً إن هذا

١- سورة النمل، الآية: ٤٠.

فضل من الله تعالى وكرمه ليبلوني أأشكر أم أكفر.

(iii)- **وكل مَن يشكر فهو يشكر لنفسه، والذي يكفر فتكون خسارته ترجع** إليه، لأن ربي غني كريم، فهو لا يحتاج إلى شكر عباده وليس له ضرورة. والله سبحانه وتعالى غنيٌّ.

(iv)- من خصائص الشكر هو جلب النعم إلى نفسه وفي مقابله من خصائص الكفران أن الكافر على نعم ربه يُحرم من النعم الموجودة.

٣- الشكر في الأحاديث النبوية:

(١)- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: "رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ الْهُدَى لِي وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا لَكَ ذَكَّارًا لَكَ رَهَّابًا لَكَ مُطِيعًا إِلَيْكَ مُخْبِتًا إِلَيْكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي وَاغْسِلْ حَوْبَتِي وَأَجِبْ دَعْوَتِي وَاهْدِ قَلْبِي وَسَدِّدْ لِسَانِي وَثَبِّتْ حُجَّتِي وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي"}[١].

(٢)- عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: "يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، فَقَالَ: أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ"}[٢].

(٣)- عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ: إِذَا جَاءَهُ أَمْرُ سُرُورٍ، أَوْ بُشِّرَ بِهِ خَرَّ سَاجِدًا شَاكِرًا لِلَّهِ"}[٣].

١- السنن للإمام ابن ماجه، ج:٣، رقم الحديث: ٧١٠.

٢- السنن للإمام أبي داؤد، ج:١، رقم الحديث: ١٥١٨.

٣- السنن للإمام أبي داؤد، ج:٢، رقم الحديث: ١٠٠٨.

(٤)- عَنْ ابنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى إِلَى الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ"} (١).

(٥)- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَفْضَلُ الذِّكْرِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ"} (٢).

(٦)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ بِمَنْزِلَةِ الصَّائِمِ الصَّابِرِ"} (٣).

(٧)- عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ"} (٤).

(٨)- عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ، قَالَ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ"} (٥).

(٩)- عَنْ الْمُغِيرَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: {إِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَقُومُ لِيُصَلِّيَ حَتَّى تَرِمُ قَدَمَاهُ أَوْ سَاقَاهُ، فَيُقَالُ لَهُ: فَيَقُولُ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا} (٦).

١- المشكاة المصابيح، ج: ٢، رقم الحديث: ٨٣٨.

٢- الجامع للإمام الترمذي، ج:٢، رقم الحديث:١٣٣٥.

٣- السنن للإمام ابن ماجه، ج:١، رقم الحديث:١٧٦٥.

٤- الصحيح للإمام مسلم، ج:٣، رقم الحديث: ٢٩٩٩.

٥- الجامع للإمام الترمذي، ج:١، رقم الحديث:١٠١٦.

٦- الصحيح للإمام البخاري، ج:١، رقم الحديث: ١٠٨١.

(١٠)- عَنْ أَبِي الْأَشْعَثِ الصَّنْعَانِيِّ {أَنَّهُ رَاحَ إِلَى مَسْجِدِ دِمَشْقَ وَهَجَّرَ بِالرَّوَاحِ فَلَقِيَ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ وَالصُّنَابِحِيُّ مَعَهُ فَقُلْتُ أَيْنَ تُرِيدَانِ يَرْحَمُكُمَا اللَّهُ قَالَا نُرِيدُ هَاهُنَا إِلَى أَخٍ لَنَا مَرِيضٍ نَعُودُهُ فَانْطَلَقْتُ مَعَهُمَا حَتَّى دَخَلَا عَلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ، فَقَالَا لَهُ كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قَالَ أَصْبَحْتُ بِنِعْمَةٍ. فَقَالَ لَهُ شَدَّادٌ أَبْشِرْ بِكَفَّارَاتِ السَّيِّئَاتِ، وَحَطِّ الْخَطَايَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ إِنِّي إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنًا فَحَمِدَنِي عَلَى مَا ابْتَلَيْتُهُ فَإِنَّهُ يَقُومُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ مِنْ الْخَطَايَا وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا قَيَّدْتُ عَبْدِي وَابْتَلَيْتُهُ وَأَجْرُوا لَهُ كَمَا كُنْتُمْ تُجْرُونَ لَهُ وَهُوَ صَحِيحٌ"}[1].

(١١)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، {عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ"}[2].

(١٢)- عَنْ عُطَارِدٍ الْقُرَشِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا يَرْزُقُ اللهُ عَبْدًا الشُّكْرَ فَيَحْرِمَهُ الزِّيَادَةَ}[3].

(١٣)- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، {قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: "أَرْبَعٌ مَنْ أُعْطِيَهُنَّ، فَقَدْ أُعْطِيَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: "قَلْبًا شَاكِرًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، وَبَدَنًا عَلَى الْبَلَاءِ صَابِرًا، وَزَوْجَةً لَا تَبْغِيهِ خَوْنًا فِي نَفْسِهَا، وَلَا مَالِهِ"}[4].

(١٤)- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "خَصْلَتَانِ مَنْ كَانَتَا فِيهِ كَتَبَهُ اللَّهُ شَاكِرًا صَابِرًا، وَمَنْ لَمْ تَكُونَا فِيهِ لَمْ

١- المسند للإمام أحمد، ج: ٧، رقم الحديث: ٢٨٨.

٢- الصحيح للإمام البخاري، ج: ٣، رقم الحديث: ١٤٣٧.

٣- كتاب الشكر للإمام ابن أبي الدنيا، رقم الحديث: ٢.

٤- كنزالعمال في سنن الأقوال و الأفعال للإمام على متقى بن حسام الدين، ج: ٨، رقم: ٣٦١٢.

يَكْتُبْهُ اللهُ شَاكِرًا وَلَا صَابِرًا، مَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فَاقْتَدَى بِهِ، وَمَنْ نَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فَحَمِدَ اللهَ عَلَى مَا فَضَّلَهُ بِهِ عَلَيْهِ، كَتَبَهُ اللهُ شَاكِرًا صَابِرًا، وَمَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ وَنَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فَأَسِفَ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْهُ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ شَاكِرًا وَلَا صَابِرًا"}[١].

(١٥)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ لَا يَشْكُرِ النَّاسَ لَا يَشْكُرِ اللهَ"}[٢].

(١٦)- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ بِهِ، فَمَنْ أَثْنَى بِهِ فَقَدْ شَكَرَهُ"}[٣].

٤- أنواع الشكر:

الشكر من حيث الأداء قسمان:

(١)- شكر الله تعالى. يجب على الإنسان أن يشكر الله سبحانه وتعالى وبه أمر سبحانه وتعالى عباده فقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالذكر والشكر قائلاً:

(i)- ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾[٤].

(ii)- ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[٥].

١- الجامع للإمام الترمذي، ج:٢، رقم الحديث: ٤١١.

٢- المرجع السابق، ج: ١، رقم الحديث: ٢٠٣٩.

٣- السنن للإمام أبي داؤد، ج:٣، رقم الحديث: ١٤٠٩.

٤- سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

٥- سورة النحل، الآية: ١١٤.

(٢)- شكر الإنسان: يشكر الإنسانُ الأنسانَ إذا نفعه وهذا أيضاً من لوازم شكر الله سبحانه وتعالى. بيّن سيدنا أبو هريرة رضي الله تعالى عنه {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ لَا يَشْكُرِ النَّاسَ لَا يَشْكُرِ اللهَ"}[1].

هذه حقيقة واضحة أن الذي لا يشكر إحسان إخوته فهو لا يشكر الله سبحانه وتعالى أيضاً.

وهناك مطالب عديدة لكلام الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل:

(i)- الإنسان الذي لا يكون في فطرته شكر الآخرين، فيصير هذا عادته، فهو لا يقدر نعم الله ولا يشكره.

(ii)- الذي لا يشكر الناس فلا يقبل الله سبحانه وتعالى شكره؛ لأن شكر العباد وشكر رب العباد متلازمان. وشكر العبد يكون في صورة جزاء أو بمدح الحسن بين الناس أو في صورة الدعاء له.

(iii)- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ بِهِ، فَمَنْ أَثْنَى بِهِ فَقَدْ شَكَرَهُ}[2].

٥- صور الشكر المختلفة:

(١)- الشكر بالقلب: وصورته هي أن يحب الإنسان ربه ويجعل نفسه متلازمًا في إطاعته ويعترف بنعمه، ويعرفها.

كما ورد في الحديث النبوي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ طَلْقِ بْنِ حَبِيبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {أَرْبَعٌ مَنْ أُوتِيَهُنَّ أُوتِيَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ:

١- الجامع للإمام الترمذي، ج: ١، رقم الحديث: ٢٠٣٩.

٢- السنن للإمام أبي داؤد، ج:٣، رقم الحديث: ١٤٠٩.

(i)- مَنْ أُوتِيَ لِسَانًا ذَاكِرًا.

(ii)- وَقَلْبًا شَاكِرًا.

(iii)- وَجَسَدًا عَلَى الْبَلَاءِ صَابِرًا.

(iv)- وَزَوْجًا مُؤْمِنَةً لَا تَبْغِيهِ فِي نَفْسِهَا حَوْبًا} [١].

(٢)- **الشكر باللسان:** وطريقته هي أن يعترف بنِعَم الله تعالى باللسان وأن يكون اللسان رطبا بالذكر والحمد، ويبيّن نعمه؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال:

(i)- ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [٢].

(ii)- هناك حديث نبوي عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، {عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ، فَإِنَّ مَنْ أَثْنَى فَقَدْ شَكَرَ، وَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ تَحَلَّى بِمَا لَمْ يُعْطَهُ كَانَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ} [٣].

(iii)- عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رحمة الله عليه، قَالَ: {ذِكْرُ النِّعَمِ شُكْرُهَا} [٤].

والمراد من الحديث هو أن إظهار نعم الله تعالى وبيانه أيضاً نوع من الشكر وهو محبّب. ولكن بشرط أن لايكون في الإظهار حب النفس وشائبة الفخر والكبر؛ لأن الكبر يفسد أعمال الإنسان.

(٣)- الشكر بطرق أخرى: **الشكر لا يكون باللسان فقط، بل هو يكون بالأعضاء** الأخرى والمال أيضاً. وشكر المال هو الإنفاق في سبيل الله تعالى. **وإذا استخدم**

١- المصنف للإمام ابن أبي الشيبة، ج: ٩، رقم الحديث: ٥٣٦١.

٢- سورة الضحى، الآية: ١١.

٣- السنن للإمام الترمذي، ج: ١، رقم الحديث: ٢١٢٣.

٤- المصنف للإمام ابن أبي الشيبة، ج: ٩، رقم الحديث: ٥٢٩٠.

الإنسان أعضاء بدنه في الإطاعة فهذا شكر الله تعالى. **وقد جعل ا** سبحانه وتعالى العمل شكراً قال الله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[1].

٦- **مدارج الشكر:**

مقصود الشكر هو الاعتراف بنعم الله سبحانه وتعالى وله ثلاثة منازل:

(١)- **القلبي**: هو أن يعترف الإنسان بنعم الله تعالى بالقلب.

(٢)- القولي: هو أن يقر على نعم الله سبحانه وتعالى ويذكرها أمام الآخرين.

(٣)- العملي: أن تظهر آثار الشكر على الأعضاء والجوارح.

وتمشي هذه المدارج يداً بيد. كلما يتصور الإنسان نعم الله سبحانه وتعالى يملأ قلبه بحب الله تعالى وبأحاسيس الوفاء، ثم يذكر نعمه بنفسه وأمام الآخرين متأثراً بعواطفه الجياشة تجاه نعم الله ويحس في قلبه بالفرح. ثم يتأثر فكره في هذا الحب والإخلاص ويسعى أن يقضي حياته في العبادة والإطاعة حسب كثرة نعم الله تعالى ووفرتها.

٧- **طرق الاجتناب عن الكفران:**

الكفر بالنعمة من أعظم الكبائر. ولذا ينبغي على الإنسان أن يجتنب عن الكفران، ويختار موقف الشكر في كل حال. ينبغي علينا أن نتأمل في الأوامر الآتية للتجنب عن الكفران.

(١)- فكّروا في الكون وابحثوا نعم الله تعالى واشكروا ربكم.

(٢)- تأملوا في الضعف النفسي والمادي والجوانب الأخرى واشكروا الله سبحانه وتعالى في إصلاحها.

(٣)- إذا وُجدت نعمة عظيمة (مثل الشفاء بعد المرض وغيره) فاشكروا الله تعالى عليه

١- سورة السباء، الآية: ١٣.

واذكروها بمرور الوقت وجدّدوها واعترفوا بنعمه.

(٤)- ينبغي على الإنسان أن ينظر إلى ما تحته أثناء موازنة النعم لتنشأ فيه عادة الشكر.

٨- **صعوبات الشكر:**

يمكن أن يُواجهه المشاكل التالية في اختبار الشكر:

(١)- **الاعتقاد بأن النعمة جائزة ومنحة ربانية:** عندما تنزل النعم على شخص بغزارة وبكثرة يتأثر نفسياً ويظن أن الله سبحانه وتعالى راض عنه وهذا خداع نفسي لأن النعم الإلهية ابتلاء؛ إذ أن الدنيا دار ابتلاء ودار الجزاء هي دار الآخرة.

(٢)- الكبر: إذا تواترت النعم الإلهية على الإنسان فيرى نفسه أعلى من الآخرين وينظر إلى الآخرين بنظرة الازدراء والاحتقار. وإذا ازداد الإحساس بالتعالي من الحد فيكون تكبراً، والحال أن النعم للابتلاء.

(٣)- **جعل النعمة استحقاقا:** من آفات ابتلاء الشكر ظن الإنسان أنه يستحق النعم الإلهية وأن هذه النعم لا بد من وصولها إليه. عندما تأتي هذه الفكرة يحقّر النعم، فيُحرم من صفة الشكر.

(٤)- التعوّد على النعمة: عندما يستعمل الإنسان نعمة ما باستمرار وتسلسل يحقّره ويزدريه، بل هو يفقد كفاءته لقبوله كنعمة. فمثلاً إن الأعين نعمة عظيمة ولكن الإنسان بسبب استعماله البصارة بتسلسل يقصّر في مدحها كنعمة.

(٥)- **الاعتقاد بأن الأسباب مُنعمة:** من مشاكل ابتلاء الصبر بأن الإنسان يظن أن النعم من كرامة الأسباب، وينسى المالك الحقيقي لهذه النعم، فيصير مثل هذا الإنسان معلقاً بالأسباب ويكون محروماً من معرفة خالق الأسباب.

(٦)- **الاعتقاد بأن حصول النعمة من كرامة الكفاءة الذاتية:** من أسباب الكفران أن الإنسان بعد حصول المال والصحة والرقي والمنصب يظن أن كل هذه نتيجة

لجهوده وليس هناك دخل لله سبحانه وتعالى في حين أن كل ما يجد الإنسان فهو عطية ربانية.

(٧)- النسيان: تضعف ذاكرة الإنسان رويداً رويداً. وتتضاءل فسبب هذا يكون مقصراً في أداء الشكر. فمثلاً أن الله سبحانه وتعالى يعطي الإنسان أولاداً فيشكره أثناء الولادة جيداً، ولكن بمرور الوقت هو ينسى أن الأولاد كانت بسبب الأدعية وبفضل ربه ومنّته.

٩- **وجوه شكر الله:**

كثيراً ما ينشأ سؤال في ذهن الإنسان لماذا الشكر لله؟ بعض الناس يرون الشكر تقليداً، وبعضهم لا يريدون معرفة سبب أهمية شكر الله. حينما يتأمل صاحب البصيرة فيجد أن هناك وجوها لا تعد ولا تحصى لشكر الله سبحانه وتعالى فمثلاً:

(١)- وجوه الشكر على النعم الاجتماعية:

(i)- الوجه الأول للشكر الاجتماعي على الإنسان هو رحمة الله سبحانه وتعالى وكرمه الواسع بأن الله خلق الخَلْق، وخلق احتياجاته، ثم أكملها إكمالاً حسناً مُظهرا رحمته وعطفه وكرمه.

(ii)- الوجه الثاني للشكر الاجتماعي هو صفته الربوبية، ومفهوم الربوبية هو أن الله سبحانه وتعالى لم يغفل عن مخلوقه بعد خلقه، بل يمنحهم تسهيلات من كل نوع ليلاً ونهاراً. وقد أظهر ربوبيته ورزاقيته بخلق الهواء النقي للتنفس، والشمس للحرارة، والبيئة الصالحة للرقي، والغذاء للنمو، وخلق أنواعا من الفواكه والثمرات للتذوق والتسكين.

وكذلك أنه يدّبر لنشأة المولود ونموه في حضن أمه بعد مجيئه إلى الدنيا مباشرة، ويجعل بيئة الدنيا صالحة له.

(٢)- وجوه الشكر على النعم الفردية:

يمكن أن تكون هناك وجوه عديدة للشكر على النعم الفردية مع النعم الاجتماعية.

إن الله سبحانه وتعالى يعامل مع كل إنسان معاملة خاصة، لا سيما أنه يكرمه بنعمه الغزيرة ليبلوه في ابتلاء الشكر.

ويمكن أن تكون هناك أسباب عديدة للشكر الفردي، فمثلاً:

(i)- الشكر في سلامة الأعضاء وصحتها والحفاظ من الأمراض، والصحة والتبرئة من التعوق الجسمي.

(ii)- الشكر على الذاكرة الطيبة والذكاء.

(iii)- الشكر على السكينة المادية والروحية.

(iv)- الشكر على وفرة المال والثروات.

(v)- الشكر على كثرة الأولاد أو النجاح في حصول الأولاد وفق الأمنيات.

(vi)- إظهار الشكر في حصول الشهرة والعزة.

(vii)- الشكر على حياة الوالدين.

(viii)- يزداد العلم مادام الإنسان حيا، فينبغي عليه أن يشكر ربه في ازدياد العلم.

(ix)- الشكر على النجاة من المصيبة والمرض.

(x)- إظهار الشكر على توفيق الاجتناب عن الذنب.

١٠- **الفرق بين الشاكر والشكور:**

(١)- الشاكر هو الذي يشكر على نعم الله تعالى عليه، والشكور هو الذي يشكر الله على الشيء الذي لم يُعط لحكمته.

(٢)- بعضهم يقولون أن الشاكر هو الذي يشكر الله على عطائه، والشكور الذي يشكر على فقدان العطاء مكان الشكوى والشكاية.

(٣)- الشاكر يشكر على النفع والشكور يشكر حتى على صد النفع.

(٤)- الشاكر يشكر بعد رؤية العطايا والمنح الربانية، والشكور الذي يشكر ربه رغم إصابة المصائب والآلام.

١١- **شكر أهل الرجاء والخائفين:**

هناك شكر لأهل الرجاء والثاني شكر الخائفين:

(١)- شكر أهل الرجاء هو أنهم يطمعون في النعم الظاهرة وعندهم أمنية حسنة لمعاملتهم الحسنة وهم يعملون لإكمالها. وهم يسرعون في الأعمال الصالحة شكراً.

(٢)- شكر الخائفين هم يشكرون خوفاً من عاقبة السوء. وهم يخافون غلبة الشقاوة ويكون خوفهم سبباً لنيل النعم والمنح، وغلبة النعم تنشئ في قلوبهم عظمة الإسلام وقدره.

١٢- **طُرق الشكر:**

هناك طُرق عديدة للشكر، بعضها ما يلي:

(١)- الإقرار باللسان على نعم الله سبحانه وتعالى. حينما يحس الإنسان بفرح النعمة في قلبه يكون إظهاره أولاً على لسانه. وليس من الضروري أن يكون الشكر في اللغة العربية بل الأفضل أن الشكر بلغته. ولكن ينبغي أن يُتأمل في أدعية الشكر من الأنبياء عليهم السلام وتظهر عناوين عديدة للشكر. وهذا شكر العلماء الذي يتضح من كلامهم.

(٢)- ينبغي علينا إظهار العبودية بالجسم والأعضاء، ونؤدي ركعتي صلاة الشكر بعد حصول النعمة. ونطوّل القيام والسجود فيها ونشكر الله سبحانه وتعالى أو نصوم نفلاً لرضائه أو ننفق المال في سبيل الله تعالى. وهذا شكر العباد الذي يظهر من أعمالهم.

(٣)- ينبغي علينا تعظيم الله تعالى والنظر إلى نعمه دائمًا وجعل الهواء تابعاً لرضاء ا تعالى من أصعب أنواع الشكر، ولكنه طريقة فعّالة للشكر. إذ هذه صورة حقيقية للشكر أن يطاع المنعم الحقيقي شاكراً على نعمه. وهذا شكر العارف الذين يشاهدون نعم الله ويعتقدون اعتقاداً جازما بها.

(٤)- التذكر بنعم ا وفضله مرارًا وتكرارًا، وينبغي أن نتصور تصورا حقا أن النعم من الله سبحانه وتعالى، وبهذا ينشأ حبه، وبالحب الإلهي تنال درجة الشكر الكاملة.

(٥)- من أحب أحوال الإنسان عند الله سبحانه وتعالى حالة السجدة، ولذا ينبغي على الإنسان أن يقوم بسجدة الشكر كلما شاهد نعم الله تعالى عليه. كما رُوي عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ ا عَنْهُ، {عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ا عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ: "إِذَا جَاءَهُ أَمْرُ سُرُورٍ، أَوْ بُشِّرَ بِهِ خَرَّ سَاجِدًا شَاكِرًا ِ } [1].

(٦)- ينبغي علينا أن ننظر إلى مَنْ أقل نعمًا منا؛ لأن النظر إلى مَنْ دونه في النعم يُنشيء عاطفة الشكر كما نقل أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ا عَنْهُ، {عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ا عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ رَأَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْخَلْقِ وَالرِّزْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ مِمَّنْ فُضِّلَ هُوَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا يَزْدَرِيَ نِعْمَةَ ا عَلَيْهِ} [2].

(٧)- ينبغي الدعاء باللّهم وفقني للشكر واجعلني من عبادك الشاكرين.

(٨)- ينبغي علينا أن نتأمل في أجر الدارين على الشكر.

(٩)- علينا أن نتصور عظمة السؤال الموجه إلينا يوم القيامة وهيبته على النعم؛ لأن هذا ينشيء عاطفة الشكر.

١- السنن للإمام أبي داؤد، ج:٢، رقم الحديث: ١٠٠٨.

٢- الجامع للإمام الترمذي، ج:١، رقم الحديث: ١٨٥٦.

١٣- أقوال الصوفياء عن الشكر:

تنسب أقوال جيدة إلى الصوفية عن الشكر:

(١)- يقول أبو بكر دقاق رحمة الله عليه: شكر النعمة مشاهدة المنة، وحفظ الحرمة[١].

(٢)- يقول حمدون القصار رحمة الله عليه: شكر النعمة: أن ترى نفسك فيه طفيلياً[٢].

(٣)- يقول أبو عثمان رحمة الله عليه: الشكر معرفة العجز عن الشكر[٣].

(٤)- يقول رويم رحمة الله عليه: الشكر استفراغ الطاقة[٤].

(٥)- يقول الشبلي رحمة الله عليه: الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة[٥].

(٦)- يقول الشيخ شبلي رحمة الله عليه: الشكر هو العجز والاستمرار في الطاعات وضبط النفس والإطاعة الكاملة والربط الوثيق بخالق السموات والأرض[٦].

(٧)- يقول أبو عثمان رحمة الله عليه: شكر العامة على المطعم والملبس، وشكر الخواص على ما يرد على قلوبهم من المعاني[٧].

(٨)- يقول الجنيد رحمة الله عليه: الشكر أن لا ترى نفسك أهلاً للنعمة[٨].

(٩)- يقول الجنيد رحمة الله عليه: كان السري إذا أراد أن ينفعني يسألني؛ فقال لي يوماً يا أبا القاسم، ما الشكر. أن لا يستعان بشيء من نعم الله تعالى، على معاصيه، وأن لا يجعلها ذخيرة لذنوبه[٩].

١- الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ٢٢٩.

٢- المرجع السابق، ص: ٢٢٩.

٣- المرجع السابق، ص: ٢٢٩.

٤- المرجع السابق، ص: ٢٢٩.

٥- المرجع السابق، ص: ٢٣٠.

٦- فوائد الشاكر للدكتور شهزاد فيصل بن مشعل بن عبد العزيز آل سعود، ص: ١٦.

٧- الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ٢٣٠.

٨- المرجع السابق، ص: ٢٣٠.

٩- المرجع السابق، ص: ٢٢٩.

(١٠)- يقول الحسن البصري رحمة الله عليه: الشكر هو ذكر نعم الله سبحانه وتعالى مراراً وتكراراً لأنه هو شكر النعم[١].

(١١)- يقول مطرف بن عبد الله رحمة الله عليه: لما تأملت في شيئين: الأول العافية والثاني الشكر، فعملت أن جميع خير الدنيا والآخرة اجتمع فيها. فلذا فالشكر على العافية أحب إليّ من الصبر على الابتلاء[٢].

(١٢)- يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمة الله عليه: الشكر هو الإقرار بنعمة المنعم بعجز وخضوع والاعتراف بفضل الله سبحانه وتعالى واليقين على أن الإنسان لا يستطيع أن يشكر ربه[٣].

(١٣)- يقول ذو النون المصري رحمة الله عليه: الشكر إذا كان الكبير فهو إطاعة وإذا كان للمساوي فهو بجزاء المحسن وإذا كان من الأدنى فهو بالجزاء[٤].

(١٤)- يقول أبو دقاق رحمة الله عليه: الشكر هو الاعتراف بنعم المنعم بكل عجز[٥].

(١٥)- يقول سهل بن عبد الله رحمة الله عليه: المراد من الشكر هو الاستباق في الطاعة والاجتناب عن الذنوب ما ظهر منها وما بطن[٦].

(١٦)- يقول الإمام القرطبي رحمة الله عليه: الشكر هو الاعتراف على إنعام المنعم وعدم استعمال النعم على العصيان[٧].

١- المرجع السابق، ص: ٢٨١.

٢- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، للإمام الحافظ ابن القيم، ص: ٢٢٨.

٣- المرجع السابق، ص: ٢٢٨.

٤- التفسير القرطبي للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تفسير سورة البقرة، الآية: ٥٢.

٥- المرجع السابق، تفسير سورة البقرة، الآية: ٥٢.

٦- المرجع السابق، تفسير سورة البقرة، الآية: ٥٢.

٧- المرجع السابق، تفسير سورة البقرة، الآية: ٥٢.

(١٧)- يقول الحافظ ابن القيم رحمة الله عليه: **الشكر إقرار النعم باللسان وتصديقها** بالقلب والاستمرار بالعمل في **رضاء المنعم**[١].

(١٨)- يقول محمد بن لوط الأنصاري رحمة الله عليه: **الشكر هو ترك العصيان**[٢].

(١٩)- يقول أبو سعيد الخراز رحمة الله عليه: الشكر هو الاعتراف بالمنعم والإقرار بربوبية الله سبحانه وتعالى[٣].

(٢٠)- يقول حارث المحاسبي رحمة الله عليه: أن الشكر سبب لازدياد **الشكر من الله** سبحانه وتعالى[٤].

١٤- **أحداث قصص الشكر:**

تنقل هنا بعض قصص الشكر للدرس والاتعاظ بها:

(١)- **عَنْ الْمُغِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ:** {إِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَقُومُ لِيُصَلِّيَ **حَتَّى تَرِمُ قَدَمَاهُ أَوْ سَاقَاهُ، فَيُقَالُ لَهُ: فَيَقُولُ: أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا"**}[٥].

(٢)- **سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** صحابياً فقال كيف أصبحت؟ قال: **بالعافية. ثم** سأله كيف حالك؟ فقال بالعافية. **سأل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المرة الثالثة** كيف حالك؟ قال أنا بخير أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره فقال رسول الله صَلَّى **اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كنت أريد منك هذا.**

ثم صارت هذه سنة متبعة عند العلماء أنهم كلما يلتقون بالآخرين يحمدون الله تعالى

١- المرجع السابق، تفسير سورة البقرة، الآية: **٥٢.**

٢- المرجع السابق، تفسير سورة البقرة، الآية: **٥٢.**

٣- التعرف لأبي بكر بن أبي إسحاق محمد بن إبراهيم **بن يعقوب الكلاباذي، ص: ١٥٤.**

٤- المرجع السابق، ص: **١٥٣.**

٥- **الصحيح للإمام البخاري، ج:١، رقم الحديث: ١٠٨١.**

ويشكرونه. وهم يشتركون في حمده وثنائه ويصير هذا ذكراً جماعياً. وحينما يُعرف أحد أن الفلاني يشتكي على الله تعالى كانوا ينظرون إليه بنظرة الاحتقار، ولا يسألونه حاله لئلا يكون باعثا للشكاية، لأن الشكوى على الله من أسوأ الأفعال[1].

(٣)- كان سليمان **عليه السلام** من أولي العزم من الرسل، منحه الله سبحانه وتعالى نعما لا تُعد ولا تُحصى، وكان نبيا **شاكرا**، ووجد ملكا لا نظير له بسبب شكره. **وكان عليه السلام يستغفر ربه من زلاته فوراً.**

ومن مظاهر شكره الخاصة ظهرت حينما كان **عليه السلام يمر بوادي النمل الذي** ذكر في القرآن بقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾[2].

لما سمع سيدنا سليمان **عليه السلام** كلام النملة لم يتكبر ولم يفتخر وإنما شكر ربه **ودعا لزيد من نعمه.** ذكر الله سبحانه وتعالى مفتخرا بقوله: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[3].

(٤)- عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، «أَنَّ رَجُلًا، بَسَطَ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا فَانْتَزَعَ مَا فِي يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَحْمَدُ اللهَ وَيُثْنِي عَلَيْهِ حَتَّى لَمْ يَكُنْ فِرَاشٌ إِلَّا بَارِيٌّ، فَجَعَلَ يَحْمَدُ اللهَ، وَيُثْنِي عَلَيْهِ، **وَبَسَطَ لِآخَرَ مِنَ الدُّنْيَا، فَقَالَ: لِصَاحِبِ الْبَارِي:** أَرَأَيْتَكَ أَنْتَ عَلَى مَا تَحْمَدُ اللهَ؟، قَالَ: أَحْمَدُهُ عَلَى مَا لَوْ أُعْطِيتَ بِهِ مَا لَوْ أَعْطَى الْخَلْقَ لَمْ أُعْطِهِمْ إِيَّاهُ، قَالَ: وَمَا ذَلِكَ؟،

١- قوة القلوب للشخ أبي طالب الحارثي المكي، ج:١، ص: ٧٤٦ - ٧٤٧.

٢- سورة النملء، الآية: ١٨.

٣- سورة النمل، الآية: ١٩.

قَالَ: أَرَأَيْتَ بَصَرَكَ، أَرَأَيْتَ لِسَانَكَ، أَرَأَيْتَ يَدَيْكَ، أَرَأَيْتَ رِجْلَيْكَ} (١).

(٥)- عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ فَيَقُولُ الرَّجُلُ: أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهَ، وَأَحْمَدُ اللهَ إِلَيْكَ. فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو لَهُ فَجَاءَ يَوْمًا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا فُلَانُ؟ قَالَ: بِخَيْرٍ إِنْ شَكَرْتُهُ، فَسَكَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كُنْتَ تَسْأَلُنِي فَتَدْعُو لِي وَإِنَّكَ سَأَلْتَنِي الْيَوْمَ فَلَمْ تَدْعُ لِي، قَالَ: إِنِّي كُنْتُ أَسْأَلُكَ فَتَشْكُرُ اللهَ، وَإِنِّي سَأَلْتُكَ الْيَوْمَ فَشَكَكْتَ فِي الشُّكْرِ} (٢).

(٦)- قال داؤد عليه السلام إلهي، كيف أشكرك، وشكري لك نعمة من عندك؟ وقيل: قال داؤد عليه السلام إلهي، كيف أشكرك، وشكري نعمة من عندك؟ فأوحى الله إليه: الآن قد شكرتني(٣).

(٧)- اشتكى رجل من أهل المدينة بفقره وشكى ربه فأجابه أهل المدينة هل تحب أن تفقد بصرك ونعطيك عشرة آلاف دينار؟ فقال: لا. فسأل الرجل هل تود أن تكون بُكما وتأخذ عشرة آلاف روبية؟ فأجابه لا. فسأله الرجل مرة ثانية هل تريد أن تقطع يديك ورجليك وتأخذ عشرة آلاف دينار؟ فأجاب الشاكي لا. فقال له إذن عليك أن تستحي من الله تعالى وتشكره بأن الله سبحانه وتعالى أعطاك نعما عظيمة وكثيرة(٤).

١- كتاب الشكر للإمام ابن ابى الدنيا، ص: ٣٦، رقم الحديث: ١٠٠.

٢- الشعب الإيمان للإمام البيهقي، ج:٤، رقم الحديث: ٤٤٤٩.

٣- الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ٣٢٩.

٤- قوة القلوب للشخ أبي طالب الحارثي المكي، ج:١، ص: ٧٦٤.

(٨)- كان هناك صديق لشيخ، سجنه الملك. فأرسل السجين إلى صديقه رسالة، فقال له اشكر الله سبحانه وتعالى. ثم ضُرب السجن فأرسل رسالته إلى الشيخ، فأجابه الشيخ اشكر الله.

ثم جيئ المجوسي الذي كان بمرض الإسهال وسجن، وألقيت حلقة واحدة بحلقة صديق الشيخ والأخرى في رجل المجوسي. وكان المجوسي يقوم في الليل عدة مرات لقضاء الحاجة فيضطر هذا الرجل أن يقوم عنده حتى قضاء الحاجة. فكتب رسالة إلى شيخه فأجابه اشكر الله سبحانه وتعالى. قال السجين للشيخ إلى متى أنت تقول هذا الكلام. وهل تكون مصيبة أعظم من هذه المصيبة؟

أجاب الصديق الشيخ لو ألقى ما في ظهره ألقي على ظهرك وألقيت حلقات في رحلتك مثلما ألقيت على رجله فماذا كنت تفعل؟

(٩)- حضر شخص في حضرة الشيخ سهل بن عبد الله رحمة الله عليه، وقال أن سارقا دخل بيتي وذهب بأثاث البيت، فقال له اشكر الله تعالى، ولو دخل الشيطان قلبك وأفسد عقيدتك فماذا تستطيع أن تفعل؟

(١٠)- يقول شيخ رأيت أثناء السفر عجوزاً في حالة عجيبة فسألته عن حالته، فقال إني كنت عاشقاً بابنة عمي وكانت هي أيضاً تحبني. فتم الزواج بيننا فاتفقنا بيننا أن نقوم بعبادة ليلة الزفاف شكراً لله الذي جمعنا. فقمنا بالصلاة طول الليل ثم توجه إلى العجوز أيتها الفلانة أليس كذلك؟ فقالت العجوز بلى، صدقت.

(١١)- يقول شيخ سعدي الشيرازي رحمة الله عليه انتهى زاد سفري في سفر فمكثت في هذه الحالة بضعة أيام حتى لم تبق عندي حذآء، فجاء في قلبي شكوة عن ذات الله سبحانه وتعالى. فذهبت للصلاة إلى المسجد الجامع في الكوفة فرأيت أثناء الرجوع رجلاً يتسوّل ولا توجد عنده رجلين، فاستغفرت الله سبحانه وتعالى على أنّ عندي

رجلين وإن لم توجد حذاء. ولو لم يعط الله سبحانه وتعالى رجلين فماذا كنت استطيع أن أفعل؟[١]

(١٢)- حضر وفد إلى مجلس عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه، فقام شاب منهم وقال نحن ما جئنا لنأخذ شيئًا، ولا نخاف من أحد، نحن حضرنا لنشكرك باللسان **ونرجع**[٢].

(١٣)- جاء سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى بيت المقدس فرأى مسكينا **ليس** له يدا ولا ورجلا وهو محروم من قوة السماع والبصارة، قال عمر رضي الله تعالى **عنه** ينبغي علينا أن نشكر الله سبحانه وتعالى فتحيّر الناس فسألوا أمير المؤمنين هل يجب الشكر على هذا المسكين؟ فقال نعم، لأنه يتنّفس ويقضي حاجته.

(١٤)- يقول سلام بن أبي طيع رحمة الله عليه ذهبت لعيادة مريض فوجدته يجزع ويبكي، فقلت له اذكر الذين ليس لهم مكانًا يأوون وليس عندهم ممن يخدمهم. **يقول سلام** بن مطيع ذهبت مرة أخرى لعيادته فوجدته يقول لنفسه خفيًا، يا نفسي اذكري الذين أُلقو على الطريق وليس لهم مأوى ولا من ينظر إليهم[٣].

(١٥)- يُبّ□ **أبو بكر بن عبد ا□** رحمة الله عليه أنه التقى بحامل يحمل وزراً ويقول الحمد ا□ **واستغفر ا□**. فأخذت انتظر فراغه، حينما وضع حمله فسألته: **ألا تستطيع أن** تعمل عملا أخر أحسن منه؟ فأجابني فلم لا؟ أنا استطيع أن أعمل عملا أحسن **من هذا أنا أقرأ القرآن الكريم. ولكن** بما أن الإنسان يكون بين النعم والذنب. ولذا إنني أشكر الله سبحانه وتعالى على نعمه الكاملة واستغفره من ذنوبي. **فقلت**

١- الحكايات للشيخ سعدي، رقم الحكاية: ١٤.

٢- **مكا**شفة القلوب، للإمام أبي الحامد محمد الغزالي، ص: ٣٦٠.

٣- **فوائد الشاكر للدكتور شهزاد فيصل بن مشعل بن عبد العزيز آل سعود، ص: ١٢٠.**

أن حمّال هذا المكان أفقه مني[١].

(١٦)- **مّر وهب بن منبه** رحمة الله عليه **بمصاب بمصيبة**. وكان مبتلى بفقدان البصارة وبمرض الأبرص، ولكنه كان يحمد الله تعالى ويقول أشكر الله تعالى على نعمائه. قال الشخص الموجود مع وهب بن منبه ماذا بقي معك من نعم الله حتى تشكره؟ فقال هذا الرجل انظر إلى سكان هذه المدينة ولاحظ أغلبهم. ألا أشكر ربي على ما **أنعمني بالمعرفة**[٢].

(١٧)- يقول الشيخ سعدي رحمة الله عليه **تنزل نعم الله** على مخلوقه، ولذا ينبغي على الإنسان أن يستمر في شكره وبالشكر تزداد النعم. **دخول التنّفس نعمة وخروجه نعمة كذلك**. وإذا لم يدخل الهواء في جسم الإنسان فهذا موت وإن لم يخرج فأيضاً **موت**. ويجد الإنسان نعماً كثيرة بتنفسه، ويجب عليه الشكر على كل نعمة، فلذا على **الإنسان** أن يشكر ربه على كل تنفس[٣].

***

١- التفسير الدر المنثور للإمام جلال الدين السيوطي، تفسير سورة البقرة، الآية: **١٥٢**.

٢- المرجع السابق، تفسير سورة البقرة، الآية: **١٥٢**.

٣- گلستان للسعدي، ص: ١.

٩

مقام التواضع



١- **مفهوم التواضع:**

(١)- المراد من التواضع هو تصغير الإنسان نفسه وإخضاعها للآخرين، أو جعله مساويا أو عاجزاً، وتعظيم الآخرين وتكريمهم والاهتمام بحقوق العباد وتقديم حقوق الآخرين على حقوق نفسه وترك الكبر. وحقيقة التواضع هو أن يجعل نفسه كلا شيء وأدنى من الآخرين وعاجزاً. وأن لا يظن نفسه مستحقاً للسيادة والقيادة، ويقصد أن يجعل نفسه عاجزاً في الحقيقة. والمتواضع يكون محفوظاً من التكبر ويمنحه الله تعالى الدرجة العُليا والفوز في الدارين.

(٢)- أصل التواضع هو الاعتدال بين الذلة والكبر. والكبر هو أن يظن الإنسان نفسه أعلى من مرتبته الحقيقية، في حين أن الذلة هو أن يجعل الإنسان نفسه ذليلا. بعض الناس لم يفرقوا بين التواضع والذلة، ويبالغون في التواضع ويوصلونه إلى الذلة. وفي طرف آخر توجد أقوال عند بعضهم يظهر منها الكبر والأنانية. والموقفان كلاهما غير متزنان. والله يحب الاعتدال في كل شيء.

(٣)- في الحقيقة إن التواضع هو أن يتواضع الإنسان بغير الكبر والذلة. والذي يقدم نفسه على الآخرين مثله فهو متكبر، والذي يساوي نفسه بالآخرين أو يحقّر نفسه عن الآخرين فهو متواضع؛ لأن معنى التواضع إسقاط نفسه وطرحها من المقام الذي كانت تستحقه.

(٤)- لا يحب الله تعالى الإنسان الذي يُذلّ نفسه باسم التواضع، وإنما يحب الله الاعتدال، وهو أن يعطي الإنسان كل صاحب حق حقه ويتكلم بطلاقة وجه، ويرفق بالسائل، وإذا دُعي قَبل، وأن يحاول إكمال حوائج الآخرين، وأن لا يؤثر نفسه على الآخرين. وأن لا يحقّر الآخرين وأن لا يعامل معهم معاملة يجدون أنفسهم محتقرين. وإذا وصل هذا التواضع إلى حد لا يبقى لنفسه مرتبة أو وقاراً فيصل هذا

إلى مرتبة الذلة والتملق، وهذا تعدٍ عن الحد. ولا يجوز للمؤمن أن يذل نفسه.

(٥)- بعض الناس يظنون الأنفة والإباء وعزة النفس كبر مع أن الفرق بينهما واضح. والأنفة والشكيمة هو أن يعرف الإنسان نفسه ويعرف حقيقة نفسه ويحترمه بحيث لا يذل نفسه لأغراض دنيوية. والكبر هو أن لا يعرف نفسه ويعظّمه أكثر من قدره. والكبر هو مرض خطير والأنفة والشكيمة من الصفات الإيجابية. وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[١].

(٦)- بعض الناس يظنون أن التزيين بلباس جيد والحذاء الجيد، وبناء بيت جميل وشراء سيارة جيدة هو خلاف التواضع والعجز وعلامة التكبر، والحال أن كل هذه ليست من علامات الكبر ولا هي خلاف التواضع: عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ"}[٢].

(٧)- أصل التواضع والعجز هو مجاهدة النفس؛ لأن التواضع ليس القول باللسان بأنه متواضع وعاجز، إنما التواضع أن لا تنشأ فينا عاطفة الثأر والانتقام ضد من لا يفوّقنا عن نفسه، بل ندرب النفس على هذه الحقيقة، فلماذا نكرهه. والدرجة العليا للتواضع هي أن يتساوى عند الإنسان مدح الناس له ونظرهم إليه بنظرة الازدراء.

(٨)- عكس التواضع هو التكبر، لكي يعرف مفهوم التواضع لا بد لنا أن نعرف مفهوم الكبر. والتكبر هو إحساس الإنسان بالتعالي عن الآخرين وتحقير الآخرين وتفضيل النفس على الآخرين بسبب فضيلة أو خصلة واقعة لا توجد عند الآخرين أصلا أو توجد بقلة أمر غير مناسب ولكنه ليس كبر.

١- سورة المنافقون، الآية: ٨.

٢- الصحيح للإمام مسلم، ج: ١، رقم الحديث: ٢٦٦.

(٩)- وللكبر قسمان:

(i)- الكبر المطلق: هو أن يحقّر الإنسان الآخرين بسبب حسنة واقعية أو افتراضية بدون أن ينسبها إلى الله سبحانه وتعالى. وهذا التكبر يوصل الإنسان إلى الشرك والكفر.

(ii)- التكبر الجزئي: هو اعتقاد الإنسان أن الحسنة الواقعية أو الافتراضية منحة إلهية، ولكنه يجعلها وسيلة لتحقير الآخرين لعدم معرفة روحها.

فهناك شيئان مشتركان بين هذين النوعين من التكبر:

(i)- تعظيم الإنسان نفسه.

(ii)- تحقير الآخرين سواء كان في الخيال أو في العمل.

والعجز هو أن لا يعظّم الإنسان نفسه وأن لا يعطي الآخرين إحساس التحقير.

٢- التواضع في ضوء القرآن الكريم:

التواضع والعجز عمل محّبب عند الله سبحانه وتعالى، ولم يكتف القرآن بالأمر به، بل ُبشّر المتواضعون بالدرجات في الآخرة، مع توضيح الحقيقة أن التواضع والعجز من أسوة الأنبياء عليهم السلام.

(١)- ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

بيّنت هذه الآية النقاط التالية:

(i)- ينبغي علينا أن لا ننظر إلى أموال الآخرين بنظرة طمع.

(ii)- ينبغي علينا أن لا نحزن على نعم الآخرين.

١- سورة الحجر الآية: ٨٨.

(iii)- حياة الدنيا للابتلاء وهي قليلة بالنسبة □ياة الآخرة.

(iv)- ينبغي علينا أن نخفض جناحنا مع الآخرين ونتواضع معهم.

(v)- المراد من خفض الجناح هو أن نكون عاجزين ومتواضعين أمام الله كما تخفض الطيور جناحيها.

(٢)- ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[1].

أُمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه الآية أن يعامل مع المؤمنين معاملة اللين والرفق والتواضع. وفي هذا تتضح أهمية التواضع بأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضاً مأمور بالتواضع. وإذا كان هذا ا□كم للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا بد لعامة المؤمنين أن يتواضعوا مع الآخرين.

(٣)- ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَ ﴾[2].

منع الله سبحانه وتعالى في هذه الآية عن الجفوة مع الآخرين والمشي في الأرض با□رح والفخر. أُمر الإنسان أن يختار أسلوب العجز والتواضع في المشي والكلام؛ لأن ظاهر الإنسان صورة لباطنه، شتّان بين مشي المتكبر والمتواضع. وعباد الرحمن يمشون بكل عجز وتواضع مكان التكبر. وهذا من مقتضيات العبودية.

والاعتدال في المشي هو أن لايكون فيه التواضع المتمرض والمتكلف ولا الفخر والغرور. وأما الكلام والصوت فيمكن فيه العلو والخفض حسب الضرورة. فمثلاً يمكن للخطيب أن يعلو صوته حسب عدد السامع□.

١- سورة الشعرا، الآية: ٢١٥.

٢- سورة لقمٰن، الآية: ١٨ - ١٩.

(٤)- ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾[1].

بّينت هذه الآية أن أول صفات عباد الرحمن أنهم لا يمشون في الأرض مرحاً بل **يمشون بتواضع جم وبعجز.** وتظهر فيهم علامات التواضع والعجز دون الكبر **والغرور.** وهذا السلوك إظهار لكيفية باطنهم وقد غطّت هيبة عظمة الله سبحانه وتعالى وكبريائه على قلوبهم، ويظهر هذا في كل خطوة يمشون بها على الأرض. بّ القرآن الكريم تواضع عباد الله الصالحين بهذه الصورة:

(i)- توجد متانة ورزانة في سلوكهم الظاهرة.

(ii)- **عباد ا يمشون هوناً.**

(iii)- **هم يعتدلون.**

(iv)- كلامهم مزّين بالخلق الحسن.

(v)- **هم يمّرون مرور الكرام** حينما يخاطبهم الجاهلون.

(vi)- **ُيعرضون عن اللغو.**

(vii)- يمّرون مرور الكرام حينما يسمعون لغواً.

(٥)- ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴾[2].

وّضحت الآية إن الله يحب الذين يمّرون متواضعين حينما يواجهون **اللغو ولا** يبتلون أنفسهم باللغو بل يجنّبون أنفسهم من الكذب **والزور.**

(٦)- ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ

١- سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

٢- سورة الفرقان، الآية: ٧٢.

وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾[١].

أعلنت الآية الكريمة بالبشارة للمتواضع. في الحقيقة على الإنسان أن يخضع أمام ربه بنفسه وقلبه وأن لا يقع في أي نوع من الغرور والكبر. وعلى الإنسان أن يبرز خضوعه وعجزه أمام خالقه الذي غمّده بنعمه ورحمته من الرجل حتى الرأس بركوعه وسجوده.

روح الإسلام الأصلية هي التواضع والعجز. فلذا بيّنت الآية بعض الخصائص لهؤلاء المتواضعين وهي كالآتي:

(i)- حينما تظهر عظمة الله فيجدون أنفسهم عاجزين وتفزع قلوبهم لعظمته.

(ii)- هم لا يستغنون من الله بل يتأثرون بذكره.

(iii)- حينما يقعون في مصيبة يصبرون عليها ويقبلون قضاءه بعجز.

(iv)- يخضع المتواضعون رؤسهم أمام الله سبحانه وتعالى ويركعون له ويسجدون له ويرفعون أيديهم للدعاء.

(v)- إنهم لا يتكبرون على النعم الإلهية بل يوزعونها بين عباده مؤمنين بأنها نعم بكل عجز وسرٍّ.

(٧)- ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾[٢].

وضّحت هذه الآية أن حبيبنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان ليناً حليما وحنوناً، فلذا كان لكلامه تأثير بالغ على الناس، وكان الناس يجتمعون حوله. في الحقيقة أن من عادة الإنسان أنه يحب أن يذهب إلى صاحب خلق حسن وحليم ومتواضع ويستفيد من علمه ومعرفته وحكمته. ولذا توجد في هذه الآية نصيحة

١- سورة الحج، الآية: ٣٤- ٣٥.

٢- سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

عظيمة للمعلم والمفتي والمبلغ والداعي، إذا كنت تريد أن تعلم الأمة العلم وتريد أن تفيدها فينبغي عليك أن تكون لينا حليما شفيقا عطوفا وصابرا.

ظهرت من هذه الآية النقاط التالية:

(i)- إن التواضع سنة الأنبياء عليهم السلام.

(ii)- كان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحيما لينا شفيقا.

(iii)- ينبغي على قائد القوم أو المؤسس أن يكون لينا.

(iv)- يجتمع الناس حول كل قائد متواضع وحليم.

(v)- كلما كان رئيس القوم لينا متواضعا حليما يجتمع القوم حوله.

(vi)- على القائد والداعي أن يكون ليّنا مع الناس.

(vii)- الشدة والغلظة مع الناس خلاف سنة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(viii)- إذا كنا متشددين وغليظي القلب لا يقترب الناس إلينا.

(٨)- ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾[1].

وضّحت الآية أن على الإنسان أن يجتنب من كل أنواع الكبر، وأن يُظهر عجزه وخضوعه أمام الله سبحانه وتعالى. وينبغي أن يخضع نفسه أمام الله سبحانه وتعالى مع عبادته وذكره وأن لا تكون فيه أدنى شائبة الرياء. ظهرت في هذه الآية المباركة النقاط التالية:

(i)- ينبغي علينا أن نذكر الله سبحانه وتعالى سرًا.

(ii)- ينبغي أن يكون لساننا رطبا بذكر الله.

١- سورة الاعراف، الآية: ٢٠٥.

(iii)- ينبغي علينا أن نذكر الله سبحانه وتعالى بكل تواضع وعجز.

(iv)- يحب الله الذين يذكرون الله تعالى متضرعين وخيفة.

(v)- ينبغي أن نجتنب من الرياء.

(vi)- لا يحب الله قلبا ولسانا غافلين ولذا يقول الشيخ سلطان باهو رحمة الله عليه[1]:

جو دم غافل سو دم کافر آسانوں مرشد ایہہ پڑھایا ہو
سنیا سخن گیا کھل اکھیں اساں چت مولا ول لایا ہو
کیتی جان حوالے رب دے اساں ایسا عشق کمایا ہو
مرن توں اگے مر گئے باہو تاں مطلب نوں پایا ہو

أرشدني مرشدي بأن الغلفة عن ذكر الله سبحانه وتعالى تسبب الكفر. عندما سمعت هذا الكلام من مرشدي استيقظت عيني من الغفلة، وأشغلتُ قلبي في ذكر الله سبحانه وتعالى، ووجدت عشقا حقيقيا في طريق السلوك، وحوّلت حب جميع الأشياء إلى الله سبحانه وتعالى سوى نفسي وربي. يا باهو الذين حوّلوا جميع الأشياء إلى الله سبحانه وتعالى وتركوا أهواء أنفسهم فقد وجدوا المعرفة.

٣- **التواضع في الأحاديث النبوية:**

أمر نبينا الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرفق والتواضع مراراً وتكراراً، ومنع عن الكبر. **وهناك أ**حاديث كثيرة في هذا الجانب، وبعضها كالآتي:

(١)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ رَجُلًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ"}[2].

١- الأبيات للشيخ سلطان باهو، ص: ٢٤١.

٢- الجامع للإمام الترمذي، ج:١، رقم الحديث: ٢١١٨.

(٢)- عَنْ أَنسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ: أَنْ تَوَاضَعُوا، وَلَا يَبْغِي بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ"} (١).

(٣)- عَنْ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَاضِعًا، مُتَبَذِّلًا، مُتَخَشِّعًا، مُتَرَسِّلًا، مُتَضَرِّعًا، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَمَا يُصَلِّي فِي الْعِيدِ"} (٢).

(٤)- {عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا، قُلْتُ: لَا يَا رَبِّ وَلَكِنْ أَشْبَعُ يَوْمًا وَأَجُوعُ يَوْمًا، أَوْ قَالَ ثَلَاثًا أَوْ نَحْوَ هَذَا، فَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ، وَإِذَا شَبِعْتُ شَكَرْتُكَ وَحَمِدْتُكَ"} (٣).

(٥)- عَنْ أَنسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُ الْمَرِيضَ، وَيَشْهَدُ الْجَنَازَةَ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ، وَكَانَ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ عَلَى حِمَارٍ مَخْطُومٍ بِحَبْلٍ مِنْ لِيفٍ عَلَيْهِ إِكَافٌ مِنْ لِيفٍ"} (٤).

(٦)- عَنْ مَكْحُولٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْمُؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ، كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ الَّذِي إِنْ قِيدَ انْقَادَ، وَإِذَا أُنِيخَ عَلَى صَخْرَةٍ اسْتَنَاخَ"} (٥).

(٧)- {قِيلَ لِعَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: "كَمَا يَصْنَعُ أَحَدُكُمْ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيُرَقِّعُ ثَوْبَهُ"} (٦).

١- السنن للإمام ابن ماجه، ج:٣، رقم الحديث: ١٠٩٤.

٢- المرجع السابق، ج:١، رقم الحديث: ١٢٦٦.

٣- الجامع للإمام الترمذي، ج:٢، رقم الحديث: ٢٣٤.

٤- المرجع السابق، ج:١، رقم الحديث: ١٠١٢.

٥- المشكاة المصابيح، ج:٤، رقم الحديث: ١٠١٥.

٦- المسند للإمام أحمد، ج:٩، رقم الحديث: ٤٨٧٠.

(٨)- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، "إِذَا لَقِيَ الرَّجُلَ فَكَلَّمَهُ، لَمْ يَصْرِفْ وَجْهَهُ عَنْهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَنْصَرِفُ، وَإِذَا صَافَحَهُ لَمْ يَنْزِعْ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَنْزِعُهَا، وَلَمْ يُرَ مُتَقَدِّمًا بِرُكْبَتَيْهِ جَلِيسًا لَهُ قَطُّ"} (١).

(٩)- عَنْ أَسْلَمَ رحمة الله عليه، {أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، اسْتَعْمَلَ مَوْلًى لَهُ يُدْعَى هُنَيًّا عَلَى الْحِمَى، فَقَالَ: "يَا هُنَيُّ اضْمُمْ جَنَاحَكَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ"} (٢).

(١٠)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ} (٣).

(١١)- عَنْ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: {"إِنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا قَضَى اللهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: مَاذَا؟ قَالَ: رَبُّكُمْ، قَالُوا: لِلَّذِي قَالَ الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ"} (٤).

(١٢)- عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ أُنَاسًا يَزْعُمُونَ أَنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ إِلَّا لِمَوْتِ عَظِيمٍ مِنَ الْعُظَمَاءِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا تَجَلَّى اللهُ لِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ خَشَعَ لَهُ"} (٥).

١- السنن للإمام ابن ماجه، ج:٣، رقم الحديث: ٥٩٦.

٢- الصحيح للإمام البخاري، ج:٢، رقم الحديث: ٣٢٥.

٣- المرجع السابق، ج:٢، رقم الحديث: ١٦٥٩.

٤- المرجع السابق، ج:٢، رقم الحديث: ٢٠٠٨.

٥- السنن للإمام ابن ماجه، ج:١، رقم الحديث: ١٢٦٢.

(١٣)- عَن الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الصَّلَاةُ مَثْنَى مَثْنَى، تَشَهَّدُ فِي كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَتَضَرَّعُ، وَتَخَشَّعُ، وَتَمَسْكَنُ، ثُمَّ تُقْنِعُ يَدَيْكَ، يَقُولُ: تَرْفَعُهُمَا إِلَى رَبِّكَ مُسْتَقْبِلًا بِبُطُونِهِمَا وَجْهَكَ، تَقُولُ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَالَ فِيهِ قَوْلًا شَدِيدًا"}(١).

(١٤)- {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَمْ تَحِلَّ الْغَنَائِمُ لِمَنْ قَبْلَنَا ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنَا فَطَيَّبَهَا لَنَا"}(٢).

(١٥)- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ"}(٣).

(١٦)- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، {أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ"}(٤).

(١٧)- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْأَنَاةُ مِنَ اللهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ"}(٥).

(١٨)- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "وَلَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ"}(٦).

(١٩)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: "كَرَمُ الرَّجُلِ دِينُهُ، وَمُرُوءَتُهُ عَقْلُهُ، وَحَسَبُهُ خُلُقُهُ"}(٧).

١- المسند للإمام أحمد، ج:١، رقم الحديث: ١٧٠٣.
٢- المرجع السابق، ج:٤، رقم الحديث: ١٠٣٢.
٣- السنن للإمام أبي داؤد، ج:٣، رقم الحديث: ١٤٠٣.
٤- المسند للإمام أحمد، ج:٩، رقم الحديث: ٤٠٧٦.
٥- الجامع للإمام الترمذي، ج:١، رقم الحديث: ٢١٠١.
٦- السنن للإمام ابن ماجه، ج: ٣، رقم الحديث: ١٠٦٥.
٧- المسند للإمام أحمد، ج:٤، رقم الحديث: ١٥٩٨.

(٢٠)- عَن ابْن مَسْعُود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْه وَسَلَم، قَالَ: "حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُل هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنْ النَّاسِ"} (١).

(٢١)- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْه وَسَلَم: "ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيه اسْتَوْجَبَ الثَّوَابَ وَاسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ: خُلُقٌ يَعِيشُ بِهِ فِي النَّاسِ، وَ وَرَعٌ يَحْجِزُهُ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ، وَحِلْمٌ يَرُدُّهُ عَنْ جَهْلِ الْجَاهِلِ"} (٢).

(٢٢)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْه وَسَلَم: "الْمُؤْمِنُ هَيِّنٌ لَيِّنٌ حَتى تَخَالُهُ مِنَ اللِّينِ أَحْمَقَ"} (٣).

(٢٣)- عَنْ عَمْرو بن الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْه وَسَلَم أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "إِيمَانٌ بِاللهِ، وَتَصْدِيقٌ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَحَجٌّ مَبْرُورٌ". قَالَ الرَّجُلُ: أَكْثَرْتَ يَا رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْه وَسَلَم؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْه وَسَلَم: "لِينُ الْكَلامِ وَبَذْلُ الطَّعَامِ وَسَمَاحٌ وَحُسْنُ خُلُقٍ"} (٤).

(٢٤)- عَنْ عَمْرو بن عَبَسَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {قُلْتُ: مَا الإِسْلامُ؟ قَالَ: "طِيبُ الْكَلامِ وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ". قُلْتُ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: "الصَّبْرُ وَالسَّمَاحَةُ"} (٥).

(٢٥)- عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْه وَسَلَم: "لا يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَلْقَ أَخَاهُ بِوَجْهٍ طَلِيقٍ"} (٦).

١- المسند للإمام أحمد، ج:٢، رقم الحديث: ٢٠٠٢.
٢- كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال للإمام علي متقي بن حسام الدين، ج: ٨، رقم الحديث: ٣٤١٣.
٣- المرجع السابق، ج: ١، رقم الحديث: ٧٧٤.
٤- المسند للإمام أحمد، ج:٧، رقم الحديث: ٩٣٩.
٥- المشكاة المصابيح، ج:١، رقم الحديث: ٤٢.
٦- الجامع للإمام الترمذي، ج: ١، رقم الحديث: ١٩١٢.

(٢٦)- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ، وَأَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ أَخِيكَ"} (١).

(٢٧)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّكُمْ لَا تَسَعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ"} (٢).

(٢٨)- عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ مَاتَ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ ثَلَاثٍ: الْكِبْرِ، وَالْغُلُولِ، وَالدَّيْنِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ"} (٣).

(٢٩)- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، {عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ"، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ"} (٤).

(٣٠)- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ"} (٥).

(٣١)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، مَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا

١- الجامع للإمام الترمذي، ج: ١، رقم الحديث: ٢٠٥٦.

٢- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للإمام علي متقي بن حسام الدين، ج:٢، رقم الحديث: ٣١.

٣- الجامع للإمام الترمذي، ج: ١، رقم الحديث: ١٦٣٧.

٤- الصحيح للإمام مسلم، ج: ١، رقم الحديث: ٢٦٦.

٥- الجامع للإمام الترمذي، ج: ١، رقم الحديث: ٢٠٨٦.

أَلْقَيْتُهُ فِي جَهَنَّمَ"}(١).

(٣٢)- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ أَحَدَ شِقَّيْ ثَوْبِي يَسْتَرْخِي إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّكَ لَسْتَ تَصْنَعُ ذَلِكَ خُيَلَاءَ"}(٢).

(٣٣)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ؟ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي، أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي. وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي، أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي"}(٣).

(٣٤)- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ"؟}(٤).

٤ - **درجات التواضع:**

هناك درجات عديدة للتواضع وبعضها كالآتي:

(١)- الدرجة الأولة للتواضع والعجز هو أن يوجد الكبر في القلب، ويظن الإنسان أنه

١- السنن للإمام ابن ماجه، ج: ٣، رقم الحديث: ١٠٥٤.

٢- الصحيح للإمام البخاري، ج:٢، رقم الحديث: ٩١٢.

٣- المرجع السابق، ج:٢، رقم الحديث: ٢٠٥٨.

٤- الصحيح للإمام مسلم، ج: ٣، رقم الحديث: ٢٥٥٠.

أحسن من الآخرين، ويعمل مثل الآخرين الذين يفضلون الآخرين على أنفسهم، ولكنهم يحاولون قدر استطاعتهم اختيار **التواضع**. وحال هذا الشخص هو أن شجرة الكبر موجودة في قلبه ولكن أغصانها مقطوعة. وهذا الرجل هو في الدرجة الأولى من التواضع. **وهذا تواضع عامة الناس**[١].

(٢)- الدرجة الثانية للتواضع هو أن لا يوجد في قلبه كبر، وهو أن يختار التواضع في جميع أفعاله بسعيه. **وأن لايتمنى** الإنفراد في المجلس ولا يتكبر على أصدقائه **وأحبابه**. ويكون رفيقا ولينا على الذين يقصرون في أداء حقوقهم. **ومثل هذا** الشخص هو متواضع بالدرجة الثانية. وهذا تواضع الخاص.

(٣)- الدرجة الثالثة للتواضع هو لم يخرج من قلبه الكبر والغرور فقط إلى آخر الحد، بل ترسخ في قلبه التواضع والعجز إلى حد لا يحتاج إلى سعي مزيد واجتهاد بالغ، ويظهر التضرع في أفعاله وأقواله بنفسه. وهذا تواضع خاص الخواص.

٥- **آفات التواضع:**

يظهر الكبر أو التواضع من عادات الرجل وأفعاله مثل الانفتاح غضباً أو التحديق والنظر إلى الآخر بالغضب أثناء الكلام، أو يظهر في الأقوال حتى في الصوت وطريقة أداء الحروف وطريقة الإجابة أيضاً لا تخلو من الكبر أو التواضع. **وقد** يكون الكبر في القيام والقعود والحركة والسكون. بعض المتكبرين يتكبرون في جميع أقوالهم وأفعالهم، وبعضهم يتكبرون في بعض أعمالهم. وفيما يلي نذكر بعض **الإشارات والعلامات عن التواضع**:

(١)- بعض الناس يريدون من الآخرين أن يقوموا أمامهم بكل احترام أو يريدون قيامهم برؤيتهم. **وهذا خلاف التواضع والعجز.**

١- **إحياء علوم الدين** للإمام أبي الحامد محمد الغزالي، ج:٣، ص: ٥٣٤.

(i)- قال سيدنا على رضي الله تعالى عنه الذي يريد أن ينظر إلى شخص من أهل جهنم فعليه أن ينظر إلى رجلٍ جالسٍ وحوله كثير من الناس واقفون بأدب جم حسب رغبته.

(ii)- يقول سيدنا أنس رضي الله تعالى عنه كان الصحابة لا يحبون أحداً مثل حبهم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانوا لا يقفون حينما يرون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنهم كانوا يعرفون أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يحب هذا[١].

(٢)- بعض الناس لا يحبون أن يمشوا إلا بوجود أشخاص بين أيديهم وخلفهم. وهذا من علامات الكبر وبعيد عن كل البعد عن التواضع.

(i)- يقول أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه يكون العبد بعيداً عن رحمة الله سبحانه وتعالى إذا كان الرجل يمشي وراءه حسب رغبته[٢].

(ii)- كانت عادة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عكس هذا. عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {"مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ نَحْوَ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، وَكَانَ النَّاسُ يَمْشُونَ خَلْفَهُ، فَلَمَّا سَمِعَ صَوْتَ النِّعَالِ وَقَرَ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ، فَجَلَسَ حَتَّى قَدَّمَهُمْ أَمَامَهُ لِئَلَّا يَقَعَ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ مِنَ الْكِبْرِ}[٣].

(٣)- من عادة بعض الناس أنهم لا يزورون الآخرين متعالياً ولوكانت هناك حاجة ماسة أو فائدة دينية بل يدعون الآخرين لزيارتهم. وهذا الأمر خلاف التواضع.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "خَرَجَ رَجُلٌ

١- المرجع السابق، ج:٣، ص: ٥٤٠.

٢- المرجع السابق، ج:٣، ص: ٥٤٠.

٣- السنن للإمام ابن ماجه، ج: ١، رقم الحديث: ٢٤٥.

مِنْ قَرْيَتِهِ يَزُورُ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ مَلَكًا، فَجَلَسَ عَلَى طَرِيقِهِ، فَقَالَ اللهُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي أَزُورُهُ فِي اللهِ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَال اللهُ: هَلْ لَهُ عَلَيْكَ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ رَبِّكَ إِلَيْكَ أَنَّهُ قَدْ أَحَبَّكَ بِمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ"}[١].

(٤)- من عادة بعض الناس أنهم لا يحبون أن يجلس عامة الناس معهم وذلك تحقيراً لهم، بل يحبون أن يجلسوهم أماهم متواضعين وهذا خلاف التواضع وعلامة الكبر.

(i)- كانت حالة تواضع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يروي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {إِنْ كَانَتِ الْأَمَةُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، "فَمَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهَا حَتَّى تَذْهَبَ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ مِنْ الْمَدِينَةِ فِي حَاجَتِهَا"}[٢].

(ii)- يقول ابن وهب رضي الله تعالى عنه كنت جالساً عند عبد العزيز بن أبي روّاد فمسّ فخذي فخذه فأردت أن اتجنّب عنه فجذب ذيلي فجرّني إلى نفسه فقال لماذا تعاملونني معاملة الحاكم بالمحكوم، وإني عسى أن أكون أسوأ منك[٣].

(iii)- كان عمر بن عبد العزيز لا يسجد إلا على الأرض تواضعاً[٤].

(٥)- بعض الناس يتنفرون من الجلوس عند المرضى والحال أنهم ليسوا مبتلين بمرض متعدّ ويكون فيه خطر النقل إلى الآخرين. وهذا أيضاً من علامات التكبر والبعد

١- المسند للإمام أحمد، ج: ٤، رقم الحديث: ٣٠٣٦.

٢- السنن للإمام ابن ماجه، ج: ٣، رقم الحديث: ١٠٥٧.

٣- إحياء علوم الدين للإمام أبي الحامد محمد الغزالي، ج:٣، ص: ٥٤٠.

٤- الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ٢٠٣.

عن التواضع. وكانت سنة رحمة للعالمين خلاف ذلك الذي يعرف من هذا الحديث. حضر رجل إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان وجهه مجدوراً وكان الماء يخرج من الجدر. وكان الناس يأكلون الطعام عند الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء هذا الرجل وبات قائما فقام الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخذ بيده فأجلسه عنده[1].

(٦)- بعض الناس لا يحبون أن يعملوا بأنفسهم أعمال بيتهم. وهذا أيضاً خلاف التواضع وعلامة الكبر، كان من سنة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يعمل جميع أعمال البيت بيده المباركة حتى أن يرقع حذاءه بيده ويكنس البيت.

(٧)- بعض الناس يزدرون حمل متاعهم ويريدون أن يحمل الآخرين حملهم. وهذا أيضاً خلاف التواضع والعجز.

(٨)- أحياناً تكون العبادة أيضاً سبب الكبر. عندما تتيسر للعبد سعادة الفرائض والنوافل مثل التهجد والإشراق والضحى وتلاوة القرآن، والصوم والنفل والذكر والدعاء فيبدأ يحقّر الآخرين. ويظهر هذا أحياناً بلسانه أو بالإشارة أو بالكناية.

(i)- العبادة من أحسن الأشياء، ولكن رؤية الإنسان نفسه أحسن من الآخرين وظنه أنه من الناجين وازدراء الآخرين بالذنوب من أسوأ صور التكبر.

(ii)- وعلاج هذا هو على الإنسان أن يتأمل أن العبادات التي تقوم بها فليس لكماله، بل هذا فضل من الله سبحانه وتعالى الذي وفقه للعبادة. يمكن أن الله سبحانه وتعالى يحبط عمله بسبب كبره وينجو المذنب بسبب إخلاصه ونيته.

١- إحياء علوم الدين للإمام أبي الحامد محمد الغزالي، ج:٣، ص:٥٤١.

(iii)- أمّ سيدنا حذيفة رضي الله تعالى عنه يوماً في الصلاة، عندما فرغ من الصلاة قال ابحثوا إماما آخر أو صلوا منفردين لأني تخيلت أثناء الصلاة أنني أفضلكم بسبب الإمامة[١].

(iv)- كان بشر بن المنصور من أعبد العباد، صلى يوما صلاة طويلة وكان رجل ينظره قائما. فلما عرف بشر هذا سلّم وقال له متواضعاً: الذي رأيته لا تتعجب به؛ لأن الشيطان عبد مدة طويلة ثم رأيت عاقبته[٢].

(٩)- كثرة المال والثروة والنعم الدنيوية أيضاً تكون سبباً للتكبر في كثير من الأوقات، ويبدأ الإنسان يحقّر الآخرين. والعلاج من التكبر الناشيء بسبب كثرة المال هو أن يعتقد الإنسان أن الموت حق، وأن الأموال والأولاد تبقى هنا ويذهب الإنسان من الدنيا خالي اليد. والثروة فانية، يوم لك ويوم للآخرين، فليس من المعقول أن يتكبر الإنسان لشيء زائل ويُسخط ربه.

(١٠)- من أسباب التكبر الحسب والنسب بحيث أن الإنسان يتكبر بسبب آبائه وأجداده ويحقّر الآخرين. قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينبغي على الإنسان أن يتجنّب من الفخر بالآباء لأنهم حصب جهنم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، {عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا، إِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعَلِ الَّذِي يُدَهْدِهُ الْخِرَاءَ بِأَنْفِهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ} [٣].

١- المرجع السابق، ج:٣، ص: ٤٢٨.

٢- المرجع السابق، ج:٣، ص: ٤٥٣.

٣- الجامع للإمام الترمذي، ج:٢، رقم الحديث: ١٩٢٩.

(١١)- أحياناً يكون الحسن والجمال من أسباب الفخر والغرور، يحقّر الأبيضُ الأسودَ والأطولُ الأصغر، وصاحبُ أعين الكبيرة يصغر صاحب العين الصغيرة.

(i)- وعلاجه هو على الإنسان أن يتأمل في بدايته ونهايته ويفكر أن الحسن والجمال لا يبقى أبداً ويمكن أن يزول بأي سبب طاريءٍ.

(ii)- إذا تواضع الإنسان رغم حسنه وجماله يكون هذا سبب نجاة له، يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تواضع رغم حسنه وجماله ينجّيه الله تعالى يوم القيامة[١].

٦- **أقوال الصوفياء عن التواضع:**

تنسب أقوال عديدة عن التواضع، بعضها هي كالتالي:

(١)- يقول الحسن بن علي رضي الله تعالى عنه التواضع هو كلما نخرج من البيت ونرى من المسلمين نتصور أنهم أفضل منا[٢].

(٢)- يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني التواضع أن الإنسان كلما التقى بالآخر فيعتقد أنه خير منه ويتخيل يمكن أنه أعلى درجة مني عند الله تعالى[٣].

(٣)- يقول سهل بن عبد الله رحمة الله عليه: لا يقترب الشيطان إلى شخص يكون في قلبه تواضع وعجز.

(٤)- يقول محمد بن علي الترمذي رحمة الله عليه: الخاشع من خمدت نيران شهوته، وسكن دخان صدره، وأشرق نور التعظيم في قلبه، فماتت شهوته، وحيي قلبه؛ فخشعت جوارحه[٤].

١- حلية الأولياء للإمام الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني الشافعي، رقم الحديث: ٣٧٧٧.

٢- إحياء علوم الدين للإمام أبي الحامد محمد الغزالي، ج:٣، ص: ٥٢١.

٣- آداب السلوك للشيخ عبد القادر الجيلاني، ص: ٢٢٠.

٤- الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ٢٠٢.

(٥)- يقول الحسن البصري رحمة الله عليه: الخشوع الخوف الدائم اللازم للقلب[١].

(٦)- يقول أبو الدقاق رحمة الله عليه: الخشوع والتواضع هو خضوع القلب أمام الله سبحانه وتعالى[٢].

(٧)- يقول أبو علي الدقاق رحمة الله عليه النفس البشري مركب عن الكبر والحرص والحسد، وإذا أراد الله تعالى أن يهلك أحداً يصدّه عن التواضع والنصح والقناعة. وإذا أراد الله تعالى خيراً فيعامل معاملة الإحسان. عندما تشتعل نار الكبر فيخمدها التواضع بعون ا□ وكرمه، وعند ما تشتعل نار ا□سد فتخمدها قطرات النصح، وعند ما تشتعل ا□رص فتخمدها القناعة[٣].

(٨)- يقول بايزيد البسطامي رحمة الله عليه علامة التواضع هي أن لا يهتم بحاله ومقامه ويختار تواضعاً وخضوعاً قدر معرفة ربه وذاته[٤].

(٩)- يقول فضيل بن عياض رحمة الله عليه: من رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب[٥].

(١٠)- يقول فضيل بن عياض رحمة الله عليه: أن يخضع الإنسان للحق وينقاد له ويقبله ويقوم به[٦].

(١١)- يقول الجنيد البغدادي رحمة الله عليه: التواضع هو خفض الجناح للخلق، ولين الجانب لهم[٧].

١- المرجع السابق، ص: ٢٠٢.
٢- المرجع السابق، ص: ٢٠٢.
٣- إحياء علوم الدين للإمام أبي الحامد محمد الغزالي، ج:٣، ص: ٥٢٢.
٤- المرجع السابق، ج:٣، ص: ٥٢١.
٥- الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ٢٠٣.
٦- المرجع السابق، ص: ٢٠٣.
٧- المرجع السابق، ص: ٢٠٣.

(١٢)- **يقول عبد ا□ بن ا□بارك** رحمة الله عليه: التكبر على الأغنياء، **والتواضع للفقراء من التواضع**[١].

(١٣)- **يقول إبراهيم بن شيبان** رحمة الله عليه: الشرف في التواضع، والعز في التقوىٰ، والحرية في القناعة[٢].

(١٤)- **يقول سفيان الثوري** رحمة الله عليه: أعز الخلق خمسة أنفس: عالم زاهد، وفقيه صوفي، وغني متواضع، وفقير شاكر، وشريف **سُني**[٣].

(١٥)- يقول يحيى بن معاذ رحمة الله عليه: التواضع حسن في كل أحد لكنه في الأغنياء أحسن، والتكبر سمج في كل أحد لكنه في الفقراء أسمج[٤].

(١٦)- يقول يحيى بن معاذ رحمة الله عليه: التكبر على من تكبر عليك يقال له تواضع[٥].

(١٧)- **يقول ابن عطا** رحمة الله عليه: التواضع قبول الحق ممن كان[٦].

(١٨)- يقول عبد الله الرازي رحمة الله عليه: التواضع ترك التمييز في الخدمة[٧].

(١٩)- يقول حمدون القصار رحمة الله عليه: التواضع أن لا ترى لأحد إلى نفسك حاجة، لا في الدين، ولا في الدنيا[٨].

١- المرجع السابق، ص: ٢٠٣.

٢- المرجع السابق، ص: ٢٠٣.

٣- المرجع السابق، ص: ٢٠٤.

٤- المرجع السابق، ص: ٢٠٣.

٥- المرجع السابق، ص: ٢٠٥.

٦- المرجع السابق، ص: ٢٠٥.

٧- المرجع السابق، ص: ٢٠٥.

٨- المرجع السابق، ص: ٢٠٦.

(٢٠)- يقول المّلا جلال الدين دواني رحمة الله عليه: التواضع هو أن لا يتظاهر بالكبر على مَن دونه[١].

(٢١)- عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ الْمُبَارَكِ رحمة الله عليه: {أَنَّهُ وَصَفَ حُسْنَ الْخُلُقِ، فَقَالَ: "هُوَ بَسْطُ الْوَجْهِ، وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى"[٢].

(٢٢)- يقول عبد الله بن المبارك رحمة الله عليه: أصل التواضع هو أن تؤثر مَنْ هو دونك في النعم الدنيوية حتى يتيقن لا فضيلة لك عنه بسبب دنياك، وأن تحقرك نفسك مَن أعلى منك في النعم الدنيوية حتى يتيقن لا فضيلة له بسبب دنياه[٣].

(٢٣)- يقول الشيخ عبد الله الأنصاري رحمة الله عليه المراد من **التواضع هو اختيار العجز** أمام الله تعالى، وهذا في ثلاثة أشياء:

(i)- **التواضع لله: التواضع لله** يحتوي على ثلاثة أشياء:

(أ) الخضوع أمام أوامر الله سبحانه وتعالى.

(ب) الخشية تحت أوامر الله تعالى.

(ت) الاشتغال بذكر الله تعالى.

(ii)- **التواضع لدين الله: التواضع لدين الله عبارة عن ثلاثة أشياء:**

(أ) عدم اختيار الرأي الذاتي مقابل أمر الله سبحانه وتعالى.

(ب) عدم الإحساس بضرورة شيء آخر بعد سنة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(ت) عدم ضياع حقوق الأعداء أيضاً.

١- التصوف والتصورات للصوفية، للدكتور ظهير أحمد صديقي، ص: ٣٧٧.

٢- الجامع للإمام الترمذي، ج: ١، رقم الحديث: ٢٠٩٣.

٣- إحياء علوم الدين للإمام أبي الحامد محمد الغزالي، ج:٣، ص: ٥٢٠.

(iii)- **التواضع لأولياء ا: التواضع لأولياء ا** عبارة عن ثلاثة أشياء:

(أ) تقديرهم وتعظيمهم عن نفسه.

(ب) احترام أقاربهم **ورفقائهم.**

(ت) الاجتناب عن ظن السوء[١].

(٢٤)- يقول ابن عطار رحمة الله عليه: التواضع هو قبول الحق بغض النظر عن قائله[٢].

(٢٥)- يقول همدون القصار رحمة الله عليه: التواضع هو أن لا يجعل **لنفسه قيمة ولا قدراً**[٣].

(٢٦)- يقول الشيخ خواجه فضيل رحمة الله عليه: التواضع لله والخضوع أمامه وقبول الكلام الصادق[٤].

(٢٧)- يقول بايزيد البسطامي رحمة الله عليه: التواضع هو أن لا يجعل لنفسه مَقاماً **ولا** قيمة لها، ويجعل نفسه خفيفا أمام الآخرين[٥].

٧- **أحداث التواضع:**

تنقل بعض الأحداث للعظة لنستفيد منها:

(١)- **قال الرسول** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوماً لأصحابه لماذا لا أجد حلاوة في عبادتكم. فسأل أصحابه ما حلاوة العبادة؟ فقال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تأتي الحلاوة في العبادة بالتواضع[٦].

١- صد ميدان للشيخ الخواجه عبد الله الأنصاري الهروي، ص: ٧٥.

٢- معدن المعاني للشيخ شرف الدين يحيٰ المنيري، ص: ٤٧٨.

٣- المرجع السابق، ص: ٤٧٨.

٤- المرجع السابق، ص: ٤٧٨.

٥- المرجع السابق، ص: ٤٧٨.

٦- مكاشفة القلوب للإمام أبي الحامد محمد الغزالي، ص: ٤٧٢.

(٢)- وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يسرع في المشي، ويقول: إنه أسرع للحاجة، وأبعد من الزهو[١].

(٣)- قال عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنه رأيت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وعلى عاتقته قربة ماء، فقلت: يا أمير المؤمنين لا ينبغي لك هذا! فقال: لما أتاني الوفود سامعين مطيعين، دخلت في نفسي نخوة فأحَببتَ أن أكسرها. ومضى بالقربة إلى حجرة امرأة من الأنصار فأفرغها في إناءها[٢].

(٤)- كان عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه يمشي في حديقته وعلى رأسه حزمة من ا□طب. فسأله أحد ماهذا؟ عندك أربعمائة خدم؟ فأجابه أردت أن اختبر نفسي هل تصدني نفسي من العمل لأجل مَقامي عند الناس؟[٣].

(٥)- وكان عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه يكتب ليلة شيئا، وعنده ضيف فكاد السراج ينطفيء، فقال الضيف: أقوم إلى المصباح فأصلحه، فقال: لا. ليس من الكرم استخدام الضيف، قال: فأنّبه الغلام. قال: لا، هي أول نومة نامها. فقام إلى البطة، وجعل الدهن في المصباح، فقال الضيف: قمت بنفسك يا أمير المؤمنين! فقال له عمر: ذهبت وأنا عمر، ورجعت وأنا عمر[٤].

(٦)- وبلغ عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه أن ابنًا له اشترى فصًا بألف درهم فكتب إليه عمر: بلغني أنك اشتريت فصا بألف درهم، فإذا أتاك كتابي هذا فبع الخاتم، وأشبع ألف بطن واتخذ خاتما من درهمين، واجعل واكتب عليه: رحم ا□ إمرءًا

١- الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ٢٨١.

٢- المرجع السابق، ص: ٢٠٤.

٣- كشف المحجوب للشيخ على بن عثمان الهجويري، ص: ٩٦.

٤- الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ٢٠٣.

عرف قدر نفسه[١].

(٧)- مرّ الحسن بن علي رحمة الله عليه بصبيان معهم كسر خبز، فاستضافوه، فنزل، وأكل معهم، ثم حملهم إلى منزله، وأطعمهم، وكساهم، وقال: اليد لهم، لأنهم لم يجدوا غير ما أطعموني، ونحن نجد أكثر منه[٢].

(٨)- وقال شعب بن حرب رحمة الله عليه بينا أنا في الطواف إذ لكزني إنسان بمرفقه، فالتفت إليه، فإذا هو الفضيل بن عياض رحمة الله عليه، فقال: يا أبا صالح، إن كنت تظن أنه شهد الموسم شر مني ومنك فبئس ما ظننت، وقال بعضهم: رأيت في الطواف إنساناً بين يديه شاكريه يمنعون الناس لأجله عن الطواف[٣].

(٩)- يقول عمر بن شيبة رحمة الله عليه كنت مشغولا في السعي بين الصفا والمروة فرأيت رجلا راكبا على بغله وكان الخدم يمشون أمامه ويسّبون الناس ويجبرونهم على إخلاء الطريق ثم رأيته بعد ذلك بمدة على جسر بغداد يسأل الناس شيئا. فتعجبت منه، فقال لي: أنا تكبرت في موضع يتواضع الناس هناك، فابتلاني الله سبحانه وتعالى بالتذلل في موضع يترفع فيه الناس[٤].

(١٠)- يقول الشيخ سعدي رحمة الله عليه نصحني شيخي الشيخ شهاب الدين السهروردي رحمة الله عليه نصيحتين أثناء سفري على السفينة:

(i)- لا تعظّم نفسك ولا تكبرها.

(ii)- لا تحّقر الآخرين.

١- المرجع السابق، ص: ٢٠٥.

٢- المرجع السابق، ص: ٢٠٦.

٣- المرجع السابق، ص: ٢٨٤.

٤- إحياء علوم الدين للإمام أبي الحامد محمد الغزالي، ج:٣، ص: ٥٢٢.

عليك أن تعظّم الآخرين وتحقّر نفسك أمام الآخرين تواضعاً. **إياك أن تسلك** مسلك الشيطان في الكبر وتحقير الآخرين.

(١١)- ذهب ابن سماك رحمة الله عليه إلى مجلس هارون الرشيد فقام الخليفة تعظيماً له واحترمه، فقال ابن سمّاك أيها الملك تواضعك في الملك أعظم من ملكك، فقال له الخليفة: **قلت كلاما حسنا فزد فيه**. فقال الذي أعطاك الله سبحانه وتعالى مالا وحسنا وجمالا وملكا وطاقة فهو يُحسن بهذا المال والثروة إلى عباد الله تعالى، ويختار **الزهد و**التقوىٰ في حسنه وجماله، ويتواضع بملكه وسلطانه يجعله الله تعالى مع **ا□خلص□**[١].

(١٢)- خرج بايزيد البسطامي رحمة الله عليه من الحمام بعد الغسل فكان يمشي في طريق، فالقى شخص من بيته على رأسه رماًدا كثيرا بدون قصد، فوقع الرماد على لحيته **ولباسه ووجهه** وشعره ولكن لم يقطب جبينه. فمسح بيده وجهه وشكر الله تعالى وقال الذي كان يستحق للنار ألقى عليه رماداً[٢].

(١٣)- يقول الشيخ سعدي رحمة الله عليه عندما نزلت قطرةٌ من الغمام فاستحيت عندما رأت سعة البحر، وبدأ تحقّر نفسه وتقول: ما حقيقة نفسي أمام هذا البحر، فأحب الله سبحانه وتعالى تواضعه. لما فتح الصدف فمه فدخلت القطرة في فَيه، فجعل الله سبحانه وتعالى عقداً في تاج الملك. **الذي يتواضع ُترفع درجاته.**

إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان من الطين فينبغي عليه أن يتواضع ويكون **عاجزاً. ولا يناسب** التكبر للبشر الذي خلق من **الأرض،** لأن الشيطان ُخلق من النار وجادل مع ربه مستدلا بالنار فصار ذليلا، في حين أن آدم ندم على خطائه

١- **التصوف والتصورات للصوفي□** للدكتور ظهير أحمد صديقي، ص: **٣٧٨.**

٢- الحكايات للشيخ سعدي الشيرازي، رقم الحكاية: **٥٩.**

واعترف بذنبه وتواضع مستعطفا ربه، فألبسه الله سبحانه وتعالى تاج الخلافة. **كأن** الله سبحانه وتعالى جعل العزازيل شيطانا بسبب تكبره وجعل آدم أبا الأنبياء **بسبب تواضعه.**

تكبر ءازازيل را خوار كرد
: ن لعنت گرفتار كرد

التواضع يزيد في عظمة الإنسان، والكفر يحقّره ويدنيه إلى أسفل السافلين. **ويسقط** المتكبر مكبا على وجهه. **إذا أراد الإنسان منزلة رفيعة فعليه أن لا يبحث العلو**[1].

(١٤)- يقول عبد الرحمن رضي الله تعالى عنه **قال رجل** من أهل صنعاء نادى ملك الحبشة النجاشي سيدنا جعفر أبي طالب ورفقاءه. عندما وصلوا إليه فوجدوه في بيت بلباس بالٍ وعادي جالساً على الأرض. يقول جعفر نحن خفنا عندما رأيناه في **هذه ا□الة. عندما أدرك خوفنا قال لنا أريد أن أقول لكم كلاماً يفرحكم. وهو أنه جاء رسول** من بلادكم بأن الله نصر عبده ورسوله وأهلك عدوه وأسر فلان وفلان وقتل الفلاني والفلاني، وحدث القتال بين المسلمين والكفار في موضع **بدر.** سأله جعفر لماذا جلست على الأرض بدون الفرش ولبست لباساً باليا قديماً. فأجابه النجاشي الكلام الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على **عيسى عليه السلام كان** فيه هذا أيضاً أن من حق الله على عباده أن يتواضعوا حينما يعطون نعمة، بما أن الله سبحانه وتعالى أنعم علي في صورة نبيه فاخترت التواضع[2].

(١٥)- كان هناك رجلا في بني إسرائيل يقال له فاسق وفاجر لكثرة ذنوبه. **مرّ يوماً، عند رجل كان يشتهر بالعابد.** ففكر الفاسق في قلبه أنا مذنب وهذا عابد قوم، فلو

١- المرجع السابق، رقم الحكاية: ٩١.

٢- شكر الله عز وجل للإمام أبي بكر عبد الله بن محمد القرشي المعروف الإمام ابن أبي دنيا، ص: ٧٦.

جلست جنبه يمكن أن يغفرلي ربي، فجلس جنبه. جاء في قلب العابد خيالا أنا عابد قوم وهو فاسق كيف هو يكون جليسا لي فقال له قم من عندي.

فأرسل الله تعالى نبيه قل لهذا العابد إنني أحبطت عمل العابد جميعا لكبره وغفرت جميع ذنوبه المفسد لعجزه.

وهذه القصة تنبيه وهداية بأن الله سبحانه وتعالى يحب التواضع مع الأعمال الصالحة، والمذنب الجاهل نظرا إلى نفسه بنظرة الحقارة وأطاع ربه خوفا منه. **وصار أشد إطاعة من العابد**[1].

(١٦)- قدّم رجل أمام أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله تعالى عنه على قضية وكان يجيبه فقال رجل يا أبا الحسن رضي الله تعالى عنه الذي تقول لا تُحل به المسئلة.

سمع سيدنا علي كلامه بكل تحمل وتواضع، وقال له ما الحل لهذه المسئلة عندك؟ أظهر الرجل رأيه وأحب إجابته، وقال له نعم إن حل هذه المسئلة كما تقول. كان سيدنا علي رضي الله تعالى عنه باب العلم ولكن رغم هذا قبل مشورة الرجل بوجه طلق وفرح تواضعاً وعجزاً[2].

(١٧)- يقول الشيخ شهاب الدين السهروردي رحمة الله عليه إنني ذهبت مرة مع أستاذي الشيخ ضياء الدين السهروردي إلى الشام فأرسل أمير المدينة طعاما على رؤوس السجناء إلى خدمة الشيخ وكانت أرجلهم معقودة بالسلاسل. عندما أُحضرت المائدة أمر الخادم أن ينادي السجناء ليأكلوا معنا الطعام. نُودي السجناء وجلسوا على مائدة الطعام، فقام الشيخ أبو نجيب من مكانه وجلس معهم بطريق كأنه منهم فأكلوا جميعا معه. فظهر في هذا الوقت تواضعه وعجزه أمامنا أنه كونه عالما

١- معدن المعاني للشيخ شرف الدين أحمد يحيٰ المنيري، ص: ٤٨٢.

٢- الحكايات للشيخ سعدي الشيرازي، رقم الحكاية: ١١٠.

شامخا صان نفسه من الكبر[١].

(١٨)- كان أياز خادماً عاماً للسلطان محمود الغزنوي رحمة الله عليه ثم ارتقى رويداً رويداً حتى صار من أحب الناس إليه وكان حساده يتضيقون جدًا من قربه إلى السلطان.

وكانوا في انتظار فرصة لتنزيله من نظر السلطان.

وكانت من عادة أياز أنه يدخل غرفة معينة في وقت معين لمدة معينة ثم يرجع منها. بدأ أعيان ملك السلطان يشكون أنه يحاول أن يجمع المال خيانة. ولذا هو يذهب يوميًا لينظر إلى ماله ولذا هو يغلق الغرفة ولا يترك أحدًا أن يدخلها.

وكان محمود الغزنوي يعتمد عليه اعتمادًا كليًا ولكنه لاطمينان هؤلاء الأعيان أمر وزيرًا أن يكسّر قفل الغرفة وكل ما فيه فهو لك. دخل الوزير ومن معه الغرفة فما وجدوا فيها غير لباس بالٍ وحذاء. فسأل السلطان محمود أياز عن اللباس والحذاء، فأجاب أياز أن هذه من ذكريات زمن العبودية فأتذكر شأني وقدري لئلا أقع في التكبر بسبب الرقي في هذا الوقت[٢].

***

١- التكبر للدعوة الإسلامية، ص: ٥٠.

٢- المثنوي للشيخ جلال الدين الرومي، ج: ٥، ص: ٤٥.

١٠

مقام السخاء



١ – مفهوم السخاء:

(١)- معنى السخاء بسط اليد والقلب في الأوضاع المناسبة، وأن لا يحدد الوسائل المادية التي في اختياره على نفسه، بل يُخرج الآخرين من الفقر والمسكنة، ويساعد الفقراء والمساكين، ويحل مشاكل الآخرين، ويفيد الآخرين بالنعم التي أعطاها الله إياه. ويطلق على السخاء الصدقة والإنفاق في سبيل الله تعالى أيضاً. والسخاء والإيثار ضد البخل والشح.

(٢)- حينما نستعمل لفظ السخاء يكون المراد منه المال الذي يُنفق لرضاء الله تعالى وهذا المال الذي يُنفق في حب الله للتقرب إلى الله سبحانه وتعالى. وليس المراد منه العطايا والهدايا التي تنفق في المؤسسات الخيرية للرياء فقط. إن الله لا يقبل إلا الصدقات التي تنفق في سبيل الله أي تنفق لرضاء الله وحبّه. والمراد من الإنفاق في سبيل الله الأموال والثروة التي ينفقها المؤمن من ماله الحلال والطيب خالصاً لوجه الله سبحانه وتعالى، ولا يكون الهدف منه منّةً على الآخرين أو حصول الشهرة.

(٣)- الإيثار هو إنفاق المال على الآخرين رغم الضرورة والاحتياج الشديد إليه. أي هو ترجيح ضرورة الآخرين على ضرورة نفسه.

(٤)- السخاء والإيثار ليس إنفاق المال الكثير بل هذا يمكن في الفقر أيضاً. والإنفاق هو عاطفة قلبية يمكن إظهارها في الغنى والفقر. الفقير إذا أنفق مالا قليلا لرضاء الله تعالى تاركًا ضرورته وحاجته وراء ظهره فهذا عمل محبّبٌ. والله سبحانه وتعالى يفرح كثيرًا على هذا العمل القليل.

(٥)- السخاء ليس إنفاق المال بدون قيد وضبط إنما الإنفاق في سبيل الله عمل منظم وخُطّة مُرتبة؛ لأن الإنسان إذا لم يقم بتنظيم نفقاته فلا يبقى عنده شيء للصدقات والإنفاق، ولذا لا بد من عاطفة قوية للسخاء والإيثار لتوزيع الوسائل.

(٦)- هناك مصارف كثيرة جداً للإيثار والسخاء **ولكن خلاصة هذه المصارف هي عاطفتان:**

(i)- **خدمة** البشرية الضعيفة سواءً كان مسلماً أو غيره.

(ii)- توفير الوسائل للجهاد لإحياء الدين وغلبته.

(٧)- وهناك فرق بين الكريم ومؤدي الزكاة. **انطلاقاً من جهة تزكية النفس والإحسان** الشيء المهم هو السخاء ليس الزكاة. **والزكاة هو** أقل شيء مطلوب من صاحب المال، والمطلوب الأصلي في الإسلام هو السخاء والإنفاق في السرّ والعلن، وفي السعة والضيق وللأصدقاء والأقرباء والعدو والمخالف.

(٨)- يكون الإنسان بريئاً عن الذمة من قِبل الحكومة الإسلامية، ولا يكون مسؤلا من ناحية القانون، وأما حقوق الله تعالى فلا تكتمل بأداء الزكاة **فقط بل تكتمل عندما** يسعى الإنسان لإنفاق ماله في سبيل الله تعالى سوى الاحتياجات الماسة للأهل **والأولاد.** والذي ينفق المال بهذا الاهتمام في الحقيقة مثل هذا الشخص يؤدي حق السخاء، وهذا هو الذي يرى رئاسة الروح في حياته، وسيرى ربيع الرضاء الرباني **يوم القيامة.**

٢- السخاء في ضوء القرآن الكريم:

لم تستخدم في القرآن الكريم كلمة السخاء، ولكن مفهوم السخاء ذُكر بتعبيرات أخرى مثل الصدقة والتعاون والإنفاق في سبيل الله وفي صورة ذم البخل مثل:

(١)- ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[1].

عُلم من الآية أن:

(i)- تُنفق الأموال على الآخرين.

١- سورة البقرة، الآية: ٢٨٠.

(ii)- عدم البخل.

(iii)- الصدقة أمر الله سبحانه وتعالى ويكون الإنسان مذنباً بعدم القيام به.

(iv)- الصدقة خير من **امساك** المال ولو كان فيه خسارة في الظاهر.

(٢)- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴾[1].

بيّنت الآية بأن الله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر الصدقات بل يجزى ا**تصدق**، وقد يصل هذا الأجر عشرة أضعاف إلى مائة أضعاف حسب إخلاص المنفق. **بل** هناك روايات تدل على أن الأجر يكون أكثر من مائة أضعاف.

(٣)- ﴿ إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٌ كَرِيمٌ ﴾[2].

وضّحت الآية أن المتصدّق مثل مَن يقرض ويجب إرجاع القرض إلى صاحبه، **والصدقة مثل من يقرض ا قرضا حسنا الذي يُرجع إليه الأجر اسن.**

(٤)- ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[3].

لم تأمر هذه الآية بالصدقة على الأقرباء والمساكين والمسافرين، بل وضّحت أنها حقّهم، ولذا على الإنسان أن لا يفكر بعد الصدقة أنه يُحسن إليهم، وأنه **صاحب** فضيلة والآخذ هو مخلوق حقير. على الإنسان أن يعرف هذه الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى إن أعطانا **أكثر من الآخرين** فهذا ابتلاء من الله تعالى وفيه حق

١- سورة يوسف، الآية: ٨٨.

٢- سورة اديد، الآية: ١٨.

٣- سورة الروم، الآية: ٣٨.

هؤلاء الفقراء. ويبلونا الله تعالى هل تؤدي حقوق هؤلاء أم لا؟ **نعرف من الآية أن** المفلحين هم هؤلاء الذين يعرفون حقوق الآخرين ويؤدونها، والذين لا يؤدون **حقوقهم فهم لا يفلحون.**

(5)- ﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾[١].

يقول الله سبحانه وتعالى في هذه الآية المباركة أن في أموال المؤمنين حق للسائل والمحروم، وهذا هو الحق الذي يحس به صاحب الاستطاعة بعد أداء الزكاة **وهو ينفقه بكل حُبٍّ وفرح** على الرغم **من** أن الشريعة لم تُلزم عليه.

يرى عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنه أن المقصود الأصلي من هذه الآية أن المتقي لا يظن أنه أدّى الواجب عليه بعد أداء الزكاة **فقط وليس من واجباته إعانة** المصابين والمقهورين والفقراء والمساكين، بل المؤمن المتقي هو المحسن **الذي يكون** مستعداً دائما للإحسان الذي يستطيع أن يقوم به. **وهو لا يضيع فرصة من الفرص** للأعمال الحسنة. وهو لا يفكر أنه فرغ من واجبه، ولماذا أقوم بمزيد من الإحسان؟ بل المؤمن الذي يعرف قدر الأعمال الصالحة لا ينظر إليه أنه وزر بل يقوم به بأنه **حسنة تُرجى به الثواب المزيد[٢].**

(٦)- ﴿ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾[٣].

يقول الله سبحانه وتعالى في هذه الآية المباركة أن المؤمنين والصالحين يُعيّنون في أموالهم جزءاً معلوماً للسائل والمحروم ويؤدون مؤمنين بأنه واجب عليهم.

والمراد من السائل ليس المتسوّلين المحترفين بل المحتاج الذي يستعين الآخرين.

١- سورة الذاريات، الآية: ١٩.

٢- تفهيم القرآن لأبي الأعلى المودودي، تفسير سورة الذاريات، الآية: ١٩.

٣- سورة المعارج، الآية: ٢٥.

والمراد من المحروم المعطّل، أو أنه يسعى لحصول الرزق ولكن احتياجاته **لا** تكتمل، أو أنه أُصيب بحادث أو آفة فصار محتاجًا، أو لا يستطيع أن يكسب الرزق الحلال. **وإذا علم المسلم المتقي عن مثل** هؤلاء فهو لا ينتظر لاستعانتهم بل **يتقدم بنفسه ويمد إليهم يد الإعانة والمساعدة.**

(٧)- ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴾[١].

يقول الله سبحانه وتعالى في هذه الآية المباركة:

(i)- **إن المال الذي هو عندكم ليس مالكم بل هو منحة ربانية، ولستم أهلاً** حقيقيا للمال. والله سبحانه وتعالى جعلكم مستخلفين. **ولذا عليكم أن لا** تصدوا أنفسكم من الإنفاق للمالك الحقيقي، وليست وظيفة النائب أن يتكاسل ويتخلّف في إنفاق أموال المالك في عمله.

(ii)- إن هذا المال لم يكن عندك ولن يكون عندك في المستقبل للأبد. **وكان هذا** عند الآخرين أمس، وأن الله سبحانه وتعالى استخلفك، ويأتي وقت **لا يكون هذا المال عندك، ويكون عند الآخرين. ومدة الاستخلاف قليلة،** ولذا أنفقه في سبيل الله تعالى لحصول الأجر العظيم الأبدي.

(٨)- ﴿وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡ ﴾[٢].

نصحت الآية المباركة بإنفاق الأموال في أمور رضاء الله سبحانه وتعالى. **والمال** الذي ينفق في هذه الحياة الدنيا يستفيد به المنفق بنفسه ويكون خيراً له.

١- سورة الحديد، الآية: ٧.

٢- سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٩)- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞ ﴾[١].

أمرت الآية الكريمة على الإنفاق في سبيل الله تعالى، ووضّحت أن المال الذي ينفق لرضاء الله سبحانه وتعالى فهو مال الله الذي أعطاه. والذي يُعطي له الحق أن يأمر بإنفاقه أيضاً.

ويوم القيامة يوم عظيم. ويكون كل إنسان مضطربا في مصيره، ولا يستعد إنسان أن يتحمل عذاب إنسان آخر، ولا تنفع صداقة الدنيا. والعلاقات الدنيوية ومظاهر الخلة في هذه الدنيا لا تبقى هناك، ولا ينفع صديق صديقاً ولا يكون بيعاً فيه ولا شفاعة.

الأعمال الصالحة هي التي تفيد في ذاك اليوم. ولذا ينبغي الاستمرار في الأعمال الصالحة للنجاة في ذلك اليوم. والإنفاق في سبيل الله من الأعمال الصالحة التي أمر الله بها في كتابه الكريم مرّات وكرّات.

(١٠)- ﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ﴾[٢].

نعلم من الآية الكريمة السابقة:

(i)- على الإنسان أن يجعل كلامه لطيفًا.

(ii)- ينبغي أن لا يغضب على المكاره.

(iii)- ينبغي أن لا يؤذي الآخرين بالمن والأذى بعد الصدقة.

(iv)- إن الله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى سخائنا وأن الله سبحانه وتعالى حليم

١- سورة البقرة، الآية: ٢٥٤.

٢- سورة البقرة، الآية: ٢٦٣.

ويحب هؤلاء الذين لا يكونوا عندهم دناءة ولآمة ويكونوا متسعي الصدور وحلماء.

(v)- ربنا الذي يحسن بنا بنعمه الغزيرة وينعم علينا رغم ذنوبنا وتقصيرنا بفضله وكرمه كيف يحب هؤلاء الذين يؤذون الناس بالمن ويذلّونهم.

(vi)- جاء في الحديث إن الله سبحانه وتعالى يحرم الذي يؤذي الناس بالمن والإحسان يوم القيامة من الكلام والنظر إليه بنظر الرحمة. عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"، قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثَلَاثَ مِرَارٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا، وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: "الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ"}[1].

(١١)- ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ﴾[2].

هل يحب الإنسان أن يهلك ما كسب طول حياته في فرصة حسّاسة يحتاج فيها إلى ماله ولم يكن عنده فرصة التكسب. كيف يحب الإنسان أن يرى الآخرة ويدرك هناك عن عدم وجود قيمة أعماله في حياته، والذي اكتسبه في الدنيا بقي فيها ولم يكتسب للآخرة ليؤجر عليه.

ولم تكن عنده يوم القيامة فرصة السخاء والكرم، وجميع الفُرص انتهت بإنتهاء

١- الصحيح للإمام مسلم، ج: ١، رقم الحديث: ٢٩٣.

٢- سورة البقرة، الآية: ٢٦٦.

الحياة الدينوية. إذا أضاع الإنسان الفُرص الموجودة في حياته وأنفق كل ما يملك في كسب المصالح الدنيوية، فتكون حالته مؤلمة مثل عجوز اكتسب حديقة وجنة بعد جهد طويل في حياته واحترقت جنته في حالة الكبر فلا يستطيع أن يُنشيء حديقة جديدة ولا يستطيع أولاده أن يُعينوه.

(١٢)- ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾[١].

وضّحت الآية المباركة:

(i)- يجوز الإنفاق في سبيل الله تعالى من الصدقات والخيرات والسخاء سرّاً وعلانيةً ولكن الإنفاق سرّاً أحسن.

(ii)- يرى بعض العلماء أن العلانية في صدقة الفريضة أفضل، والصدقات الأخرى الأحسن فيها الإخفاء.

(iii)- وهذا هو الأصل في جميع الأعمال بحيث إن الإعلان في الفرائض أفضل والإخفاء في النوافل أنسب.

(iv)- الإخفاء في الأعمال الحسنة تُصلح الأخلاق ولا يكون فيه إمكان الرياء. وتنمو الخصائل الحميدة عند البشر، وتزول الخصائل الرذيلة. وهذا يقرّب الإنسان إلى الله تعالى إلى حد أن الله تعالى يبدل سيئاتهم الموجودة في أعمالهم إلى حسنات ويغفرهم.

(١٣)- ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلۡعَفۡوَ﴾[٢].

١- سورة البقرة، الآية: ٢٧١.

٢- سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

أرشدت الآية الكريمةإلى:

(i)- ينبغي على الإنسان أن يتأمل أثناء الإنفاق في سبيل الله تعالى. فلا يقبض يده بخلا ولا ينفق في سبيله ويجمع ماله ويعدّده. وكذلك لا يجوز له أن ينفق جميع ما عنده ويجلس ملوما محسوراً.

(ii)- ينبغي على الإنسان أن يعرف احتياجاته أثناء السخاء والكرم، لئلا تضيع حقوق الأهل الواجبة عليه لغلبة عاطفة السخاء.

(iii)- يجوز للإنسان أن يدّخر بعض ماله بعد أداء الزكاة الواجبة والصدقات كما فعل سيدنا عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه ما كانا ينفقان أموالاً باهضة ولكنهما يجمعان أيضاً وكان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعرف ذلك ولم يمنعهما.

(iv)- يجوز جمع الأموال بعد أداء الزكاة والصدقات ولكن الإنفاق أفضل.

(١٤)- ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ﴾[١].

ذكرت الآية الكريمة الشرط الأساسي لقبول السخاء هو الاجتناب الكلي عن الرياء، ويجب كذلك أن يكون المال حلالا طيبا، سواء كان من مال التجارة أو من المال الحاصل من الزرع والحدائق. ولا يقبل المال الردي والحرام في سبيل الله تعالى لأننا لا نأخذ المال الردي فلماذا ننفق مثل هذه الأشياء الرديئة في سبيل الله تعالى.

(١٥)- ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾[٢].

١- سورة البقرة، الآية: ٢٦٧.

٢- سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

بّينت الآية الكريمة أن أصل البر هو حب الله سبحانه وتعالى، الذي يغلب على حب جميع الأشياء المادية، وكل مَنْ لا يغلب عليه حب الله سبحانه وتعالى فهو صنم. وتكون أبواب الخير مغلقة ما لم يكسر هذا الصنم.

(١٦)- ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[١].

مقصود هذه الآية الكريمة هو:

(i)- إن المؤمنين إن لم ينفقوا أموالهم لإعلاء دين الله، ويفضّلون المصالح الشخصية عليه فيكون هذا المال موجب هلاك في الدارين.

(ii)- ينبغي أداء الصدقة بعاطفة الإحسان، والإحسان هو تكميل العمل باتقان وجمال.

وهناك درجة للعمل هو أن يكمل الإ نسان العمل المفوّض إليه، فيكتفي بهذا. والدرجة الثانية هو إكمال العمل بإحسان، وأن ينفق عليه وسائله وكفاءاته، ويسعى لإكماله بكل حب ووله. والدرجة الأولى هي درجة الإطاعة يكفي له التقوىٰ والخوف. والدرجة الثانية هي درجة الإحسان، وهي تحتاج إلى حب ورغبة قلبية.

(١٧)- ﴿ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[٢].

وّضحت الآية الكريمة أن:

(i)- هذا المال لا يبقى مع الإنسان دائماً، وسيترك الإنسان هذه الأموال هنا يوما من الأيام. والله وارثه إذا كان الأمر كذلك، فلماذا لا ينفق المال في سبيل الله تعالى ليستحق للأجر.

١- سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

٢- سورة الحديد، الآية: ١٠.

(ii)- إن لم ينفق الإنسان ماله في سبيل الله تعالى فسيرجع هذا الإنسان إلى ربه **لا** محالة، ولكن الفرق بينه وبين السابق أنه لا يكون مستحقا لأجر من **الأجور.**

(iii)- **لا** ينبغي الخوف من الضيق المعيشي والفقر أثناء الإنفاق في سبيل الله؛ لأن المال ينفق في سبيل الرب الذي هو رب خزائن السموات والأرض وهب الإنسان للإنفاق فهو يستطيع أن يعطي أكثر من ذلك.

(١٨)- ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾[١].

علمت من الآية حقائق تالية:

(i)- إن المال والثروة تأتي وتذهب أيضاً.

(ii)- إن المؤمنين الصالحين ينفقون لرضاء الله سبحانه وتعالى. والذين يحبون المال هم لا يرغبون في الدين **وهم لا ينفقون الأموال** بل يعبدونها ولا يتصدقون **ولو قليلا من المال.**

(iii)- ينبغي إنفاق المال قبل الموت، إذا لم تنفق الأموال في الحياة فلا يفيد التمني للحياة والإنفاق ولو قليلا وقت الموت؛ لأن وقت الموت محدد.

(iv)- لا بد من الموت وقت الأجل، ولذا فعلى الإنسان أن يعمل قبل موته، **ولا** تفيد الحسرة وقت الموت.

(v)- **يقول سيدنا عبد الله بن عباس** رضي الله تعالى عنه **الذي عنده مال** يستطيع به الحج وفُرضت عليه الزكاة ولم يؤد الزكاة ولم يحج فيتمنى أثناء الموت تمنيا شديداً لو أعطيت حياة جديدة لتصدقت[٢].

١- سورة المنافقون، الآية: ١٠.

٢- التفسير المظهري، للشيخ القاضي ثناء الله باني بتي، تفسير سورة المنافقون، الآية: ١٠.

(١٩)- ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1].

في هذه الآية الكريمة مثال الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله مثلهم **كمثل جنة** بربوة وأرضى وإن لم يصبها مطر فيكفي له الطل.

إن حدث تقصير أو نقص في الإنفاق في سبيل الله فيغفر الله سبحانه وتعالى بمنه وفضله؛ لأن المتصدق يتصدق بنية أن هذا المال مال الله تعالى الذي أُنفق على عباده المستضعفين وليس لي كمال في هذا. ويجتنب عن الرياء والمنّ والأذى، وتكون نيته **حصول رضاء ا فقط.**

نستخرج من الآية السابقة النقاط التالية:

(i)- ينبغي إنفاق المال لرضاء الله تعالى فقط.

(ii)- ينبغي أن ينفق المال بكل سرور ويقين.

(iii)- **تكون العاقبة ا**سنى للذين يرجون رضاء الله تعالى.

(iv)- تكون أعمال المؤمنين نزيهة عن الرياء.

(v)- **أهل الرضاء لا يريدون جزاء ولا شكوراً.**

(vi)- الأجر في الآخرة يكون لهؤلاء الذين يعملون لرضاء ربهم فقط.

(vii)- **لا يضيع عمل أهل الرضاء ولو كان قليلا جداً.**

(viii)- أهل الرضاء في حالة الخير في كل حال.

(ix)- **مثل أهل الرضاء مثل حديقة لا تنقطع ثمرها.**

(x)- تضيع الأعمال بالرياء، وليست هناك فائدة لمثل هذه الأعمال.

١- سورة البقرة، الآية: ٢٦٥.

(٢٠)- ﴿وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[1].

وضحت هذه الآية ا□قيقة أنّ كل ما ُينفق في سبيل الله فتعود فائدته إلى المنفق نفسه، ويؤجر في صورة ثواب جزيل، وليست هذه تجارة الخسارة بل هي تجارة ربح محض.

(٢١)- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾[2].

أرشدت الآية إلى:

(i)- أن الصدقات تضيع بالمن والأذى.

(ii)- على المنفق أن لا يضيع الصدقات بالمن والأذى.

(iii)- الكريم الذي ُينفق ماله رياء للناس يدل على أنه لا يؤمن بالله واليوم الآخر. والرياء يدل على أن المرائي يريد من المخلوق، وهو لا يريد الأجر من الله وليس له إيمان بيوم الآخرة والحساب.

(iv)- المراد من الغيث في مثال الآية هي الصدقات، والمراد من الصفوان (ا□جر) فساد النية والعاطفة أثناء الإنفاق، والمراد من التراب الموجود على الصفوان وهو الصورة الحسنة الظاهرة التي تحتها فساد النية. تكون نتيجة الغيث هي الإنبات، ولكن إذا كانت الأرض غير مستعدة لقبول الإنبات وغير مناسبة بسبب قلة التراب وبسبب الحجر الصلب فيكون

١- سورة ا□زمل، الآية: ٢٠.

٢- سورة البقرة، الآية، ٢٦٤.

المطر ضاراً مكان الفائدة؛ لأن التراب يذهب مع المطر ويظهر الحجر الخالص الذي لا ينبت فيه الزرع. **وكذلك الحسنات لا تفيد إلا إذا كانت مقرونة بنية صالحة وخالصة.**

(v)- قد استعملت كلمة الكافر لهؤلاء الذين لا يشكرون نعم الله سبحانه وتعالى. والذي ينفق نعم الله سبحانه وتعالى لرضاء المخلوق مكان رضاء الخالق، أو الذي يؤذي بالمن والأذى بعد الإنفاق فهو في الحقيقة كافر بنعمة ربه وناسي لفضله.

(vi)- هناك شرطان لقبول الصدقات:

(أ) **لا ينبغي المن والإيذاء بعد الصدقة.**

(ب) ينبغي أن يكون الإنفاق لرضاء الله فقط.

(٢٢)- ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1].

اتضحت من الآية الكريمة:

(i)- المراد من الحرث في الآية الكريمة حياة الدنيا وتُحصل ثمرتها في الآخرة. والمراد من الريح الرياء والنية الفاسدة التي تنفق الأموال في بعض المؤسسات الخيرية. والمراد من البرد الشديد هو فقدان الإيمان الصحيح **وإطاعة الرب، وفساد الحياة.**

(ii)- لا تفيد أموال المرائين يوم القيامة حتى أن الأعمال والصدقات التي تنفق على الأعمال الخيرية ظاهراً تذهب سدى، ومثاله البرد الشديد الذي

١- سورة آل عمران، الآية: ١١٧.

يفسد الحقول الخضراء. والناس يفرحون بمشاهدة الحقول ويطمعون بالنفع ففجأة تزول أمنياتهم.

(iii)- الإخلاص شرط أساسي لقبول الأعمال ولو أنفقت أموالا باهضة في الأعمال الخيرية وحصلت شهرة واسعة في الدنيا لا تنفع في الآخرة بل يكون هناك عذاب جهنم.

٣- السخاء في الأحاديث النبوية:

أمر نبينا الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسخاء مراراً وتكراراً، وأخبر عن ثوابه. وهناك أحاديث كثيرة جداً، وبعضها:

(١)- قَالَ عَبْدُ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ"؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ: "فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ"} [1].

(٢)- عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: {كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَهُ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا يَشْكُو الْعَيْلَةَ وَالْآخَرُ يَشْكُو قَطْعَ السَّبِيلِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَمَّا قَطْعُ السَّبِيلِ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى تَخْرُجَ الْعِيرُ إِلَى مَكَّةَ بِغَيْرِ خَفِيرٍ، وَأَمَّا الْعَيْلَةُ فَإِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى يَطُوفَ أَحَدُكُمْ بِصَدَقَتِهِ لَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا مِنْهُ، ثُمَّ لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلَا تُرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا فَلَيَقُولَنَّ بَلَى، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَلَيَقُولَنَّ بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ، ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ، فَلْيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمُ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ"} [2].

١- الصحيح للإمام البخاري، ج: ٣، رقم الحديث: ١٣٨٩.

٢- المرجع السابق، ج: ١، رقم الحديث: ١٣٥٤.

(٣)- عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اتَّقُوا النَّارَ ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، ثُمَّ قَالَ: اتَّقُوا النَّارَ ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ ثَلَاثًا، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ"} (١).

(٤)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "يَقُولُ الْعَبْدُ مَالِي مَالِي، إِنَّ مَالَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ مَا أَكَلَ، فَأَفْنَى أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى أَوْ أَعْطَى، فَاقْتَنَى وَمَا سِوَى ذَلِكَ، فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ"} (٢).

(٥)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَهُ {أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الْأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟، قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟، قَالَ: الْإِبِلُ أَوْ قَالَ: الْبَقَرُ شَكَّ إِسْحَاقُ، إِلَّا أَنَّ الْأَبْرَصَ أَوِ الْأَقْرَعَ، قَالَ أَحَدُهُمَا: الْإِبِلُ وَقَالَ الْآخَرُ: الْبَقَرُ، قَالَ: فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، قَالَ: فَأَتَى الْأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟، قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟، قَالَ: الْبَقَرُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، قَالَ: فَأَتَى الْأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟، قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟، قَالَ: الْغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، قَالَ: فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَلِهَذَا

١- الصحيح للإمام البخاري، ج:٣، رقم الحديث: ١٤٨٧.

٢- الصحيح للإمام مسلم، ج: ٣، رقم الحديث: ٢٩٢١.

وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ: قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا، أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي؟، فَقَالَ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا، فَأَعْطَاكَ اللَّهُ، فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا، عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ، قَالَ: وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَى هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ، قَالَ: وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً، أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي؟، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ لِلَّهِ، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ"}(١).

(٦)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ، قَالَ: فُلَانٌ لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ، يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا، قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ

١- الصحيح للإمام مسلم، ج: ٣، رقم الحديث: ٢٩٣٠.

مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ"}(١).

(٧)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، {قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ: مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، فَقَالَ: "مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ؟"، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟، قَالَتْ: لَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِ السِّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ"}(٢).

(٨)- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وَتَدْفَعُ عَنْ مِيتَةِ السُّوءِ"}(٣).

(٩)- عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: {"إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ"}(٤).

(١٠)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، {عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَكَالْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ"}(٥).

١- الصحيح للإمام مسلم، ج: ٣، رقم الحديث: ٢٩٧٢.
٢- المرجع السابق، ج: ٣، رقم الحديث: ٨٦٢.
٣- الجامع للإمام الترمذي، ج: ١، رقم الحديث: ٦٤٥.
٤- المرجع السابق، ج: ٢، رقم الحديث: ٧١٦.
٥- الصحيح للإمام مسلم، ج: ٣، رقم الحديث: ٢٩٦٧.

(١١)- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ، آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ، آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ"} (١).

(١٢)- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ إِنْ تَبْذُلِ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَإِنْ تُمْسِكْهُ شَرٌّ لَكَ، وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى"} (٢).

(١٣)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تَصَدَّقُوا"، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! عِنْدِي دِينَارٌ، قَالَ: "تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ"، قَالَ: عِنْدِي آخَرُ، قَالَ: "تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى زَوْجَتِكَ"، قَالَ: عِنْدِي آخَرُ، قَالَ: "تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى وَلَدِكَ"، قَالَ: عِنْدِي آخَرُ، قَالَ: "تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى خَادِمِكَ"، قَالَ: عِنْدِي آخَرُ، قَالَ: "أَنْتَ أَبْصَرُ"} (٣).

(١٤)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "لَا يَتَصَدَّقُ أَحَدٌ بِتَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، إِلَّا أَخَذَهَا اللهُ بِيَمِينِهِ، فَيُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ قَلُوصَهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ أَوْ أَعْظَمَ"} (٤).

(١٥)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ

١- الصحيح للإمام مسلم، ج:١، رقم الحديث: ١٨٨٨.

٢- الجامع للإمام الترمذي، ج:٢، رقم الحديث: ٢٢٩.

٣- السنن للإمام النسائي، ج: ٢، رقم الحديث: ٤٤٦.

٤- الصحيح للإمام مسلم، ج:١، رقم الحديث: ٢٣٣٦.

طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"}[١].

(١٦)- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {"خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عِيدٍ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَمْ يُصَلِّ قَبْلُ وَلَا بَعْدُ، ثُمَّ أَتَى النِّسَاءَ فَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ، فَجَعَلَتِ الْمَرْأَةُ تَصَدَّقُ بِخُرْصِهَا وَسِخَابِهَا"}[٢].

(١٧)- عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، {عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ"}[٣].

(١٨)- عَنْ أَسْمَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: {قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تُوكِي فَيُوكَى عَلَيْكِ"}[٤].

(١٩)- عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَت: {قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تُوعِي فَيُوعِيَ اللَّهُ عَلَيْكِ، ارْضَخِي مَا اسْتَطَعْتِ"}[٥].

(٢٠)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَتْ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِي أَنْفِقْ، أُنْفِقْ عَلَيْكَ". وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَمِينُ اللَّهِ مَلْأَى، لَا يَغِيضُهَا سَحَّاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُذْ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ"}[٦].

١- الصحيح للإمام البخاري، ج:١، رقم الحديث: ٦٣٣.
٢- المرجع السابق، ج:٣، رقم الحديث: ٨٤٥.
٣- المرجع السابق، ج:١، رقم الحديث: ١٣٧٠.
٤- المرجع السابق، ج:١، رقم الحديث: ١٣٧٦.
٥- المرجع السابق، ج:١، رقم الحديث: ١٣٧٨.
٦- الصحيح للإمام مسلم، ج:١، رقم الحديث: ٢٣٠٢.

(٢١)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا"}[١].

٤- **درجات السخاء:**

هناك درجات عديدة للسخاء. السخاء هو المرتبة الأولى، وتأتي بعده مرتبة الجود، وبعده تأتي مرتبة الإيثار.

(١)- الذي ينفق من ماله ويُبقي له بعضه. يقال له سخيا وعمله يسمى سخاءً. وهذه مرتبة عامة الناس.

(٢)- والذي ينفق أكثر ماله في سبيل الله، ويبقي لنفسه قليلا يقال له جوّاد، وعمله يسمى جودا. وهذه مرتبة الخواص.

(٣)- والذي اكتسب المال بمشقة وأنفق بلا حساب وهذا إيثار. وهذه مرتبة خاص الخواص.

٥- **بركات السخاء:**

هناك بركات كثيرة للسخاء، وهي كالتالي:

(١)- من أعظم بركات السخاء هو أنه يعلّق قلب الإنسان بالله سبحانه وتعالى حيث يستحيل له أن يغفل عن ربه. وبما أن حب المال من فطرة الإنسان؛ فإذا أنفق الإنسان نفسه وماله في شيء ما يتعلق قلبه أيضاً فيه. وإن دفن ماله في مكان خفي يتقلب قلبه في ذلك المكان الخرب. وإذا وضع ماله في بنك من البنوك فيتعلق قلبه به، وإذا وضع ماله في تجارة ما يتعلق فكره فيها ليلا ونهارا. فالخلاصة أينما يعلّق الإنسان ماله فالتجربة شاهدة على أنه قلبه يسكن هناك. إذا نظرنا في ضوء الحقيقة

١- الصحيح للإمام مسلم، ج:١، رقم الحديث: ٢٣٢٩.

المذكورة فيتضح هذا الأمر بكل وضوحٍ أن كل من ينفق ماله في سبيل الله تعالى فيكون قلبه معه.

(٢)- تكون علاقة صاحب السخاء علاقة وطيدة بالبيئة، وليس هذا شيئا عادياً، بل هذا أساس من الأساسين الهامين لفلسفة الشريعة الإسلامية. وهناك شرطان ليكون العبد عبداً حقاً:

(i)- تكون علاقة الإنسان بربه وطيدة، وهذا يحصل بالصلاة.

(ii)- تكون علاقة الإنسان بمخلوق ربه وهذا يمكن حصوله بالإنفاق في سبيل ا.

(٣)- الصلاة والسخاء كلاهما في الحقيقة أساسان تقوم بهما بناء علاقة الإنسان بالخالق والمخلوق، ولذا ينبغي أن يعرف أن بناء الدين والشريعة قائم على هذين الشيئين، وفي الظاهر أنهما يُريان شيئان مستقلان، ولكن عند إمعان النظر يعلم أن الثاني نتيجة للشيء الأول، فالذي يحب الخالق فهو يحب خلقه بالضرورة. إن ا سبحانه وتعالى عبّر المخلوق بالعيال. وفطرة الإنسان أنه إذا أحب شخصا فيحب كل مَن له علاقة بهذا الشخص. نظراً إلى هذه الفطرة البشرية فالذي يحب الله تعالى هو يحب خلقه، ويظهر هذا الحب في صورة رحمة الإنسان بالمخلوق وإيثار المال له.

(٤)- السخاء بمثابة الطعام والماء للعقائد والأعمال الدينية وبه تتقوى الأعمال الصالحة الضعيفة وتترسخ العقائد التي لم تترسخ بكل قوة. ويعبر القرآن بالحكمة ويتضح من إشارات القرآن الكريم أن مفتاح خزائن الحكمة هو الإنفاق في سبيل الله تعالى.

(٥)- تأتي البركة في المال بالسخاء في الدنيا والآخرة، والسبب في هذا أن كثيرا من عباد الله تعالى يستفيدون من هذا المال ويدعون له، وهؤلاء يكونون أهل الحاجة وأنهم بسبب احتياجهم يقبل ا أدعيتهم.

وليس معنى البركة هو الكثرة والزيادة الكثيرة في المال ويزداد في رصيد البنك أو تزداد في الثروات ازدياداً بالغا، بل مفهوم البركة أن تحصل فائدة المال الحقيقية بمقدار لا يستطيع الآخرون أن يحصلوا مثله. **والسكينة، واطمينان القلب، والثقة** بالله، والمسرة القلبية والفرح القلبي والروحي الذي يحصله هولا يحصله **البخلاء**.

٦- **شروط السخاء:**

للسخاء (للإنفاق في سبيل الله) شروط فينبغي علينا أن نهتم بها:

(١)- من أهم شروط السخاء هو أن يكون لرضاء الله تعالى ولطلب الآخرة. **وهذا ليس** شرط السخاء فقط، بل هذا شرط جميع العبادات ولا يكون للشهرة الدنيوية **ولغرض دنيوي**. وقد وضّح الله تعالى في محكم كتابه قائلاً: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[١].

(٢)- ومن شروط السخاء أن يكون من المال الحلال، فلا يقبل الله الصدقة من المال الحرام **يقول الله سبحانه** وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ﴾[٢]. **وكذلك قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ يَقْبَلُ اللهُ إِلا الطَّيِبَ**[٣].

(٣)- السخاء المقبول هو الذي يتم بخلق عالي، ومنع الله تعالى بالمن والأذي الفكري يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾[٤].

١- سورة البينة، الآية: ٥.
٢- سورة البقرة، الآية: ٢٦٧.
٣- الصحيح للإمام مسلم، ج:١، رقم الحديث: ٢٣٣٥.
٤- سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

(٤)- ومن شروط السخاء أيضا هو أن ينفق المال على المستحقين فقط. والذي ينفق ماله على غير المستحقين فهو يُضيّع صدقته. والصدقة تكون لرضاء الله تعالى فينبغي أن ينفق حسب أوامر الله تعالى. وإعطاء المال لأولئك الذين لا يستحقون للأغراض المالية فهو ضياع للصدقة. والمحرك الأصلي والسبب الأساسي يكون مواساتا بالبشرية وإحياء الدين، وهذا المحرك ينبغي أن يكون أمامنا.

٧- **أقوال الصوفياء عن السخاء:**

تنسب أقوال جميلة للشيوخ وهي تستحق أن تكتب بماء الذهب:

(١)- يقول سيدنا علي رضي الله تعالى عنه إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فإنها لا تفني، وإذا أدبرت عنك فأنفق منها فإنها لا تبقى[١].

(٢)- يقول سيدنا علي رضي الله تعالى عنه الكريم عندما يأخذ حقه من أحد فهو يترك شيئا من حقه سخاء[٢].

(٣)- يقول علي بن الحسين رحمة الله عليه من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخياً، وإنما السخي من يبتدئ بحقوق الله تعالى في أهل طاعته، ولا تنازعه نفسه إلى حب الشكر له إذا كان يقنيه بثواب الله تعالى تاما[٣].

(٤)- يقول الإمام أبو حنيفة رحمة الله عليه الذي لا يكون كريما فهو لا يستطيع أن يقوم بالعدل في حياته أبدًا؛ لأنه يريد دائمًا أن يأخذ أكثر من حقه لبخله[٤].

(٥)- يقول الحسن البصري رحمة الله عليه: السخاء أن تجود بمالك في الله عز وجل[٥].

١- إحياء علوم الدين للإمام أبي الحامد محمد الغزالي، ج:٣، ص: ٣٨٣ - ٣٨٤.

٢- المرجع السابق، ج:٣، ص: ٣٩٨.

٣- المرجع السابق، ج:٣، ص: ٣٨٤.

٤- المرجع السابق، ج:٣، ص: ٣٩٨.

٥- المرجع السابق، ج:٣، ص: ٣٨٤.

(٦)- يقول الحسن البصري رحمة الله عليه: السعي الكامل في إنفاق المال الموجود في سبيل الله هو السخاء[١].

(٧)- يقول حسين واعظ الكاشفي رحمة الله عليه: السخاء يسبب السمعة الطيبة والمودة، ولا توجد صفة أحسن من السخاء وبالسخاء يصير الإنسان نبيلا، وبالعبادة يكون صالحاً. والذي ليس عنده كلتا الصفتين وجوده وعدمه سواء[٢].

(٨)- يقول سيدنا سفيان بن عيينه رحمة الله عليه: السخاء البر بالإخوان، والجود بالمال[٣].

(٩)- يقول سيدنا عبد الله بن المبارك رحمة الله عليه: عدم ميل الإنسان إلى أموال الآخرين خير من سخاء المال[٤].

(١٠)- يقول بشير بن حارث رحمة الله عليه: يترقق القلب، ويأتي الحلم وتأتي عاطفة العفو برؤية الكريم ويقسو القلب برؤية البخيل[٥].

(١١)- يقول الشيخ أبو على الدقاق رحمة الله عليه: السخاء ليس إعطاء المال الزائد، وإنما السخاء أن يساعد الآخرين رغم الاحتياج الشديد إليه[٦].

(١٢)- يقول جلال الدين دواني رحمة الله عليه: السخاء هو بذل المال في سبيل الله بغير تردد[٧].

١- المرجع السابق، ج:٣، ص: ٣٨٥.

٢- التصوف والتصورات للصوفية للدكتور ظهير أحمد صديقي، ص: ٣٨٢.

٣- إحياء علوم الدين للإمام أبي الحامد محمد الغزالي، ج:٣، ص: ٣٨٤.

٤- الرسالة القشرية للإمام أبي القايم عبد الكريم القشيري، ص: ٤٤٧.

٥- المرجع السابق، ص: ٣٠٣.

٦- المرجع السابق، ص: ٣٨٣.

٧- التصوف والتصورات للصوفية للدكتور ظهير أحمد صديقي، ص: ٣٨٢.

(١٣)- يقول السيد علی الهجويري رحمة الله تعالى عليه: **السخاء والإيثار تقديم احتياج الآخرين رغم الاحتياج الشديد إليه بنفسه**[١].

٨- **أحداث ووقائع أهل السخاء:**

تنقل بعض أحداث مشائخ الدين للعظة والنصح.

(١)- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {"مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ} [٢].

(٢)- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ {أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَالٍ مِنْ الْبَحْرَيْنِ، فَقَالَ: انْثُرُوهُ فِي الْمَسْجِدِ فَكَانَ أَكْثَرَ مَالٍ أُتِيَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ الْعَبَّاسُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَعْطِنِي إِنِّي فَادَيْتُ نَفْسِي وَفَادَيْتُ عَقِيلًا، قَالَ: خُذْ فَحَثَا فِي ثَوْبِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ يُقِلُّهُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَقَالَ: أْمُرْ بَعْضَهُمْ يَرْفَعْهُ إِلَيَّ، قَالَ: لَا، قَالَ: فَارْفَعْهُ أَنْتَ عَلَيَّ، قَالَ: لَا، فَنَثَرَ مِنْهُ، ثُمَّ ذَهَبَ يُقِلُّهُ فَلَمْ يَرْفَعْهُ، فَقَالَ: فَمُرْ بَعْضَهُمْ يَرْفَعْهُ عَلَيَّ، قَالَ: لَا، قَالَ: فَارْفَعْهُ أَنْتَ عَلَيَّ، قَالَ: لَا، فَنَثَرَ مِنْهُ ثُمَّ احْتَمَلَهُ عَلَى كَاهِلِهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ فَمَا زَالَ يُتْبِعُهُ بَصَرَهُ حَتَّى خَفِيَ عَلَيْنَا عَجَبًا مِنْ حِرْصِهِ فَمَا قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَثَمَّ مِنْهَا دِرْهَمٌ"} [٣].

(٣)- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {أَنَّ مِسْكِينًا سَأَلَهَا وَهِيَ صَائِمَةٌ وَلَيْسَ فِي بَيْتِهَا إِلَّا رَغِيفٌ فَقَالَتْ لِمَوْلَاةٍ لَهَا أَعْطِيهِ إِيَّاهُ فَقَالَتْ لَيْسَ لَكِ مَا تُفْطِرِينَ عَلَيْهِ فَقَالَتْ أَعْطِيهِ إِيَّاهُ قَالَتْ فَفَعَلْتُ} [٤].

١- كشف المحجوب للسيد علی الهجويري، ص: ٣١٩.

٢- الصحيح للإمام مسلم، ج:٣، رقم الحديث: ١٥١٩.

٣- الصحيح للإمام البخاري، ج:٢، رقم الحديث: ٤٢٥.

٤- المؤطأ للإمام مالك، ج:١، رقم الحديث: ١٧٢٨.

(٤)- جرح أبو لؤلؤ المجوسي سيدنا عمر الفاروق رضي الله تعالى عنه حينما تيقن عمر عن موته فقال لابنه اذهب إلى أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها واستأذنها أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يريد أن يدفن عند صاحبيه، فقالت عائشة رضي الله تعالى عنه إنني عينت المكان لي فأوثر عمر على نفسي. فأعطت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها المكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وُدفنت في جنة البقيع[1].

(٥)- عَنْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: {أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالًا، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟" قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: "يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟"، قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: وَاللهِ لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا}[2].

(٦)- جاء في الروايات أن المسلمين حينما هاجروا من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة واجهوا بمشاكل عديدة. وكان هناك بئرا واحدا للماء العذب، وكان صاحبه يهودي قاسي القلب. وكان يبيع الماء بسعر رفيع، ويعامل الآخرين معاملة جافة، لا سيما مع المسلمين له عداوة معهم، وكان المسلمون في قلق وحيرة تجاه معاملته القاسية، ولذا قال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي يقف البئر يعطيه الله تعالى الجنة، فبدأ عثمان رضي الله تعالى عنه الكلام معه فرضي ببيع نصف البئر بكل صعوبة وتم الاتفاق بينه وبين عثمان رضي الله تعالى عنه بحيث يكون يوما لليهودي ويوما للمسلمين. حضر سيدنا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقص القصة

١- طبقات ابن سعد لمحمد بن سعد، ج:٢، ص: ١٠١.

٢- الجامع للإمام الترمذي، ج:٢، رقم الحديث: ١٦٤١.

ووقف يومه لجميع المسلمين بحيث يمكن أن يأخذوا من الماء مجاناً. **فدعا له الرسول** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة. فبدأ جميع سكّان المدينة يأخذون الماء في يوم عثمان رضي الله تعالى عنه **ولا** يذهب أحد لشراء الماء في يوم اليهودي. أخيرا باع اليهودي النصف الآخر من البئر فوقف عثمان هذا الجزء أيضاً[١].

(٧)- **كان حسن** رضي الله تعالى عنه سخيا إلى حد سأله أحد مرة فأعطاه خمس آلاف وخمسمائة **دينار** وقال له عليك بأن تأتي بحمال ليأخذ مالك، فجاء بحمّال فخلع لباءه فأعطاه عوضاً على حمله وقال أودى أجره أنا فقط[٢].

(٨)- جاء رجل إلى سيدنا حسين رضي الله تعالى عنه **مرة فقال له**: يا ابن الرسول أنا محتاج، ولي أبناء صغار، أريد عشاء اليوم، بما أن سيدنا حسين رضي الله تعالى عنه **كان يمر** بنفس الحال فقال له اجلس يأتي رزقي حينما يصل إليّ أعطيك. **بعد مدة جاء رجل بخمسة أكياس من ألف دينار. فأعطاه سيدنا حسين** رضي الله تعالى عنه **الأكياس كلها وقال معتذراً نحن مبتلون بابتلاء شديد، وتركنا أفراح الدنيا وقلّلنا الاحتياجات، أنا** آسف أنك تحمّلت مشقة الانتظار ولم **أستطع أن أعطيك أكثر من هذا**[٣].

(٩)- رُوي عن حسن بن علي رضي الله تعالى عنه جاء رجل إلى بابه وقال يا ابن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احتاج إلى أربعة دراهم، فطلبه من البيت وأعطاه فبدأ يبكي، وعندما سأله الناس عن سبب البكاء فقال لهم أبكي أنني قضيت حاجته بعد طلبه ولو **قضيت حاجته قبل طلبه** لما آل الأمر إلى أن يأتي إليّ ويسألني ويمد اليد للإعانة[٤].

١- **السنن للإمام النسائي**، ج:٢، تفسير الحديث الرقم: ١٥٤٩.

٢- الرسالة القشرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ٣٠٢.

٣- كشف المحجوب للسيد على الهجويري، ص: ١٣٣.

٤- المرجع السابق، ص: ٢٥١.

(١٠)- يقول عبد الله بن عمر لقد تداولت سبعة أبيات رأس شاة يؤثر به بعضهم بعضا وإن كلهم لمحتاج إليه حتى رجع إلى البيت الذي خرج منه[١].

(١١)- يقول الشيخ نافع رضي الله تعالى عنه تمنى عبد الله بن عمر **يوما أكل السمك فبحثت عن السمك كل المدينة فلم أجده. جاء السمك بعد أيام فأمر أن يصنعوا كبابا منه.** يقول الشيخ نافع حينما وُضع الكباب أمامه بعد إعداده ظهرت علامات الفرح الشديد على وجهه، أثناء هذا جاء سائل فنادى في الباب فأمره أن يعطي السائل **الكباب.** يقول الشيخ **نافع** رضي الله تعالى عنه قلت له كنت تشتاق إلى السمك منذ مدة **فوجدناه بكل صعوبة، ويمكن أن نعطيه شيئا آخر ولكن سيدنا عبد الله** بن عمر رضي الله تعالى عنه **قال سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي يتمنى شيئا** فوجد أمنية ثم يمتنع منه ويؤثر حاجة الآخر من حاجته يغفره الله سبحانه وتعالى. **قال عبد الله بن عمر** رضي الله تعالى عنه **مقدما كلام الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أخرجت أمنية السمك من قلبي فأكله لا يناسب لي فاعطوا السائل[٢].

(١٢)- عن حبيب بن أبي ثابت: أن الحارث بن هشام وعكرمة بن أبي جهل وعياش بن أبي ربيعة خرجوا يوم اليرموك حتى أثبتوا فدعا الحارث بن هشام بماء ليشربه، فنظر إليه **عكرمة فقال:** ادفعه إلى عكرمة، فلما أخذه عكرمة نظر إليه عياش فقال: ادفعه إلى عياش، فما وصل إلى عياش حتى مات وما وصل إلى أحد منهم حتى ماتوا[٣].

(١٣)- **سئل قيس بن عبادة** هل رأيت أحدا أكرم منك؟ فقال نعم رأيت، كنا عند امرأة في الغابة فجاء زوجها، فقالت المرأة جاء إليك ضيفان، فذهب وذبح الناقة فقال كلوا

١- كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال للإمام على متقى بن حسام الدين، ج: **٣، رقم الحديث: ٢٦٩٥.**

٢- كشف المحجوب للسيد علي الهجويري، ص: **٢٥١.**

٣- كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال للإمام على متقى بن حسام الدين، ج: **٥، رقم الحديث: ٥٦٠٩.**

جيدا، وذبح الناقة الثانية في اليوم الثاني فقال كلوا. فقلنا نحن أكلنا قليلا من الناقة المذبوحة أمس، فقال نحن لا نقدم طعاما قديما للضيوف. مكثنا معه ثلاثة أيام، والمطر ينزل فكان يكرر كل يوم نفس العمل. لما أردنا الرجوع فوضعنا مائة دينار في بيته فقلنا لزوجه تعتذري منا فذهبنا. في الطريق رأينا رجلا يأتينا وراءنا وإذا هو ذلك المضيف وقال لنا عليكم أن تأخذوا دنانيركم، إن أخذت أجراً مقابل ما أعطيتكم فهذا مفسد حسنتي[١].

(١٤)- مرض سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه مرة فلم يستطيع من أقربائه أن يأتوا للعيادة فعلم بعد الاستفسار أنه مدين له (مقروض) ولم يأت استحياء، فأمر رضي الله تعالى عنه فوراً أن يعلن أن كل مَنْ عليه قرض لسعد فهو معاف، فبدأ الناس يأتون للعيادة فوجاً[٢].

(١٥)- كان أبو الحسن بوشيخي رحمة الله عليه في بيت الخلاء فنادى تلميذه بأن يعطي قميصه لفلان، فقيل له لماذا أسرعت؟ ولِمَ لم تصبر حتى خروجك؟ فقال أنا لا أعتمد على نفسي، يمكن تتغير إرادتي[٣].

(١٦)- التقى رجل من أهل منج بأهل المدينة وسأل من أي مدينة أنت؟ فقال له أنا من أهل المدينة المنورة فقال له من أهل منج جاء رجل منكم باسم حكم بن مطلب إلينا فأغنانا. فسأله المدني كيف؟ وقد خرج إليكم بجبته فقط، فقال له هو لم يغننا بالمال بل عوّدنا على السخاء فعلمنا فصرنا أغنياء[٤].

١- الرسالة القشرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشري، ص: ٣٠٣.

٢- المرجع السابق، ص: ٣٠٣.

٣- المرجع السابق، ص: ٣٠٢.

٤- المرجع السابق، ص: ٣٠١.

(١٧)- لا يوجد الإيثار في الإنسان فقط بل موجود في الحيوان أيضا. **ذهب عبد ا بن جعفر** رضي الله تعالى عنه إلى أرضه وسكن في جنة النخيل فرأى عبداً حبشياً يعمل في الحديقة، فدخل الكلب في الحديقة، فاقترب إلى هذا الخادم، فألقى الخادم لقمة إلى الكلب ثم اللقمة الثانية فالثالثة، فقد استمر في **الإلقاء، والكلب يأكل وانتهى** الطعام جميعاً. **وكان عبد ا** يرى هذا المنظر فسأله أيها الخادم! ماذا تأكل كل يوم؟ فقال الذي رأيته فقال لماذا ألقيت إلى الكلب، فأجاب الخادم لا يوجد هنا كلب ربما جاء من مكان بعيد. لم أرى من المناسب أن أكون مستريحًا ويبقى الكلب **جائعًا**. فسأله ماذا تأكل اليوم؟ اليوم أبقى بدون الطعام. **قال عبد ا** رضي الله تعالى عنه وهذا آخر حد السخاء والإيثار، وهذا الخادم أشد سخاء مني[١].

(١٨)- **يقول أبو اسن ادائني** رحمة الله تعالى عنه **خرج سيدنا حسن وسيدنا حس وعبد ا بن جعفر** رضي الله تعالى عنهم أجمع للحج، فضّلت الدّواب التي تحمل الأثقال، فأحسّوا بالجوع والضمأ، أثناء هذا مرّوا بخيمة العجوز فسألوها هل عندك شيء للشرب؟ فأجابت بنعم، ثم أشارت إلى شاة نحيفة في زاوية الخيمة. أنتم تستطيعون أن تشربوا لبنها بعد التحليب ففعلوا كما قالت ثم سألوها عن **الطعام فأ**جابت ليست عندها غيرها فليذبحها أحدكم لأعدّ لكم الطعام. **فذبحها** أحد منهم وسلخ جلدها. فأعدّت العجوز الطعام فأكلوا جميعا فاستراحوا حتّى **قلّت حرارة الشمس**. عندما غادروا قالوا للعجوز نحن قريش نذهب للحج. **إذا** رجعنا إلى بيوتنا سالمين فتأتي إلينا لنحسن إليك.

بعد مدة احتاجت العجوز مع زوجه للسفر إلى المدينة. **ووصلوا هناك فبدأوا** يقضون أوقاتهم ببيع بعرات الجمال. فمرت العجوز يوما من شارع المدينة فعرفها

١- كشف المحجوب للسيد علي الهجويري، ص: ٣٢٠.

سيدنا **حسن** رضي الله تعالى عنه ولكن العجوز لم تعرفه. **فأرسل خادمه إليها** ودعاها، وقال يا أمة الله هل تعرفيني؟ فأجابت ب **"لا" فقال حسن** رضي الله تعالى عنه أنا فلان كنت ضيفاً في اليوم الفلاني. فقالت العجوز فداك أبي وأمي هل أنت هو؟ فقال نعم، ثم أعطاها حسن رضي الله تعالى عنه **ألفا من الغنم وألفا دينار. وقلّد أخوه حس** رضي الله تعالى عنه **فأمر بإعطاء مالٍ مثل أخيه، ثم ذهب** خادم حسن بالعجوز إلى خدمة عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنه **فأعطا ألف من الغنم وألفي دينار.** فرجعت العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف من الغنم وأربعة **آلاف من الدينار**[1].

(١٩)- يقول السيد علي الهجويري رحمة الله عليه ينبغي على الإنسان أن ينظر في السخاء كرم الله سبحانه وتعالى. ولذا ينبغي أن لا يفرق بين القريب والبعيد وغير المسلم. جاء في الروايات أن سيدنا إبراهيم **عليه السلام** كان لا يأكل الطعام بغير الضيف. مرة لم يأت إليه ضيف منذ ثلاثة أيام. ثم مّر مجوسي ببابه، فسأله من أنت؟ حينما أخبر أنه مجوسي فقال إبراهيم أنه لا يستحق أن يكون ضيفي، فأوحاه الله تعالى **يا** إبراهيم أربيه سبعين عاما وأنت لم تستطع أن تعطيه قطعة من خبز[2].

(٢٠)- **يبّ عبد ا بن مسعود** رضي الله تعالى عنه **أن عابداً عبد ربه سبع عاماً، ثم أصيب** بذنب فأضاع الله أعماله، ثم مرض بمرض فلم يستطع بسببه المشي. فرأى **يوماً أن رجلا** يوزّع الخبز فأخذ منه خبزاً بعد كدٍّ. **فلم يبدأ أكل** الخبز حتى رأى مسكيناً **فأعطاه** الخبز فبقي جائعًا، فقبل الله تعالى عمله وغفره وأرجع ثواب أعمال سبعين سنة[3].

١- **إحياء** علوم الدين للإمام أبي الحامد محمد الغزالي، ج:**٣، ص: ٧٤٧.**

٢- كشف المحجوب للسيد علي الهجويري، ص: **٣٢١.**

٣- عيون الحكايات للإمام عبد الرحمن ابن الجوزي، رقم الحكاية: **١١، ص: ٤٨.**

(٢١)- كان الإمام حسن رضي الله تعالى عنه موجوداً خارج بيته فجاء بدوياً، وبدأ بكلمات سيئة ضد والديه رضي الله تعالى عنهما ما فصبر على كلامه، وسأله: يا أعرابي هل تحسّ بالجوع أو بالعطش أو بمشكلة أخرى؟ رغم هذا استمر الأعرابي في كلامه أن والديك كانا كذا (نعوذ با من ذلك). أمر حسن رضي الله تعالى عنه خادمه أن يأتي بكيس الدينار ويعطي للبدو، فقال له يا أخي عفواً لا يوجد في البيت سوى هذا المال ولو كان عندي غير هذا لأعطيتك فسمع البدوي فأسلم فوراً[١].

(٢٢)- يقول سيدنا أحمد بن ناصح المصيصي رحمة الله عليه كان هناك رجلا قصيراً عابداً كثير العيال. وكانت نفقات اليد تتم بصناعة حبال الصوف من قبل الأهل فهو يبيعها ويشتري بها الطعام والشراب، ويشكر ربه على ما يجده منها.

ذهب هذا الرجل إلى السوق حسب عادته لبيع الحبال، حينما تم بيع الحبال، فبدأ يشتري الطعام فجاء إليه صديق له وقال أنا في احتياج شديد فأعطني بعض الفلوس.

فأعطى هذا العابد العطوف كل الفلوس السائل ورجع إلى البيت خالي اليد.

عندما سأل الأهل أين الطعام فأجاب سألني فقير وكان هو أحوج منا، فلذا أعطيته جميع الفلوس. فقال الأهل ماذا نأكل الآن وليس عندنا شيء في البيت، فنظر الشخص إلى البيت فرأى كوبا مكسّرا وإبريقا فأخذهما فذهب إلى السوق لبيعهما ويشتري طعاما للأهل.

ولما وصل إلى السوق لم يشتر أحد هذا الكوب المكسر والإبريق، فمرّ شخص وعنده سمك قديم فقال صاحب السمك اشتر المال الفاسد بالمال الفاسد، فاشترى الرجل هذا الكوب المكسر بدل السمك الفاسد القديم.

١- كشف المحجوب للسيد علي الهجويري، ص: ١٣٢.

عندما رأى الأهل هذا السمك الفاسد القديم فبدأوا يقولون ماذا نفعل بهذا السمك الفاسد؟ فقال العابد شوّا لنأكله، أرجو الله سبحانه وتعالى أن يرزقني، فبدأ الأهل قطع السمك، حينما فتحوا بطنه فوجدوا في داخله عقدا ثمينا، فأخبر الأهل العابد فقال لهم هل فيه ثقب أم لا. إذا كان فيه ثقب فهو عقد مستعمل وأمانة عندنا، وإن لم يكن فيه ثقب فهو رزق أرسله الله تعالى إلينا، عندما شاهدوا العقد فلم يكن فيه حجر فشكروا الله سبحانه وتعالى.

في الصباح الباكر ذهب الرجل بالعقد إلى الجوهري وسأل ثمن العقد؟ فباع العقد بسبع□ ألف دينار. حينما عاد العابد بالفلوس إلى البيت جاء السائل فسأل بعض المال؟ فقال هذا الرجل الصالح: كنا محتاجين وفقراء مثلك. خذ نصف ا□ال. ثم بدأ توزيع المال عندما رأى السائل هذا فقال بارك الله فيكم أنا ملك ا□ بعثني ا□ إليكم للابتلاء[1].

***

١- عيون الحكايات للإمام عبد الرحمن ابن الجوزي، رقم الحكاية: ١٠١، ص: ٢١٢.

١١

مقام الإخلاص



١- مفهوم الإخلاص:

(١)- معنى الإخلاص هو الصفاء والنقاء وزوال الزيف والغش. وتصفية القلب عما سوى الله إخلاص. كل عمل يقوم به الإنسان ولأي مستوى من العبادة وأية صورة كانت إذا كان القلب مطمئًنا بأنه يقوم بهذه العبادة خالصًا لوجه ا سبحانه وتعالى فهو إخلاص. والإخلاص هو تنقية القلب من جميع أنواع الأهواء النفسية الظاهرة والباطنة وتنحية العبادة من جميع المنافع الدنيوية وفناء الذات في رضاء الله سبحانه وتعالى.

(٢)- عندما يتمكن في قلب العبد بأن التقرب لا يمكن حصوله إلا بالعبودية ويمكن نيل الثواب الأخروي فينشأ في قلب الإنسان الإخلاص في العمل.

(٣)- الإخلاص هو أن يكون مقصود جميع العبادات رضاء الله تعالى لا حصول المال ولا طلب المنصب والرئاسة أو تمني الجاه والعزة أو أمل الوجاهة، أو التفوق على المعاصرين أو المدح عند الناس أو تركيز أذهان الناس إليه، أو تمني الخدمة أو طمع الهدايا أو طلب الشهرة وغيرها.

(٤)- الإخلاص هو روح الأعمال، والعمل الذي لا يكون فيه الإخلاص هو مثل جسد الذي لا روح فيه. ينبغي على الإنسان أن يكون أساس عمله هو العبادة لله وحده وحصول رضائه، وهذا هو الإخلاص. ومعيار قبول أعمال الإنسان هو النية والإخلاص لا الكثرة.

(٥)- كل فعل وعمل يحبه الله سبحانه وتعالى ويرضى به سواء كان ظاهرًا أو باطنًا فهو عبادة، والإخلاص مهم ولازم في كل عبادة ولو كانت قليلة أو صعبة والإخلاص مطلوب في جميع العبادات سواء كانت عبادة أو صلة رحم أو الإحسان بالوالدين حتى في المعاملات مثل الصدق في البيع والشراء وحسن العشرة مع الأهل وغيرها.

(٦)- **حقيقة الإخلاص هو** أن **يكون العبد** لله سبحانه وتعالى في أقواله وأفعاله ونياته **وإراداته. وهذا هو الدين الإبراهيمي الذي أمر به عباده وهذه هي حقيقة الإسلام.**

(٧)- الخلاصة وحاصل الكلام الإخلاص هو أن يجعل جميع أعماله للتقرب إلى الله ورضائه ولا يجعل فيه دخلا لرضاء المخلوق أو للأهواء النفسية في **نياته.**

(٨)- **الرياء هو ضد الإخلاص.** ولا يفهم مفهوم الإخلاص إلا إذا كان مفهوم الرياء في ذهن **الإنسان. ولذا ينبغي أن يُعرف مفهوم الرياء.** والرياء هو في الحقيقة أن يغفل الإنسان في العبادات عن الله سبحانه وتعالى ويسعى أن يكون صالحا وكبيرا في نظر المخلوق. وبتعبير آخر الرياء هو أن تكون أعمال الإنسان لرضاء المخلوق مكان رضاء الخالق.

٢- الإخلاص في ضوء القرآن الكريم:

أمر الله سبحانه وتعالى بالإخلاص في القرآن عدة مرات، والآيات التالية شاهدة على ذلك:

(١)- ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ۝٢٣ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾[1].

نعرف من الآية الكريمة السابقة:

(i)- من المؤمنين من يحبون الله سبحانه وتعالى ويطيعونه كاملًا **ويوفون** عهودهم بالله تعالى.

(ii)- بعض المؤمنين يتكاسلون في **العبادة** وتكون علاقتهم مع الله تعالى ضعيفة وهم يقصرون في إطاعتهم.

(iii)- بعض الناس يقضون نحبهم أثناء سعيهم في سبيل حب الله تعالى، وتمر حياتهم للحق ويوفون وعدهم.

١- سورة الأحزاب، الآية: ٢٣- ٢٤.

(iv)- وهناك مؤمنون يسعون للحق ليلا ونهارا وينفقون أموالهم وأنفسهم آملين أنهم سيلاقون ربهم بعد قضاء حياتهم في سبيل الله تعالى ويوفون وعد عبوديتهم لمعبودهم.

(v)- إن الله يجزي المؤمنين جزاء حياتهم الطيبة فيفرحون به في الدنيا والآخرة وينجّيهم وُيبعدهم عن الغم والمشقة ويعطيهم السلامة ولا يضيع عملهم.

(vi)- حياة المؤمن كله خير وليس فيه فشل ويقضي حياته بالخير والبركة ويموت مكتسب الأجر وثروة الثواب. والحرمان من الإيمان واليقين هو حرمان من كل خير وخسارة كبرى في هذه الدنيا وفي الآخرة، وهو نقصان من الأول والآخر وخسارة كبيرة.

(٢)- ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[١].

اتضحت من الآية الكريمة أن المخلصين يعملون نوعين من العمل:

(i)- إنهم يسعون إلى ربط المخلوق بالخالق. إنهم يعّرفون الله أمام الناس وينذرون من العواقب السيئة لعدم الإيمان.

(ii)- يبشرون المؤمنين أن الإيمان بالله والقيام بالأعمال الصالحة ينفعهم نفعاً عظيماً. يطمئنون في الدنيا وتصل إليهم البركة ويمنحون في الآخرة بالجنة التي تكون فيها جميع النعم، وتكون فيها حياة حسب صنعهم ويكون لهم عند الله مقاماً عظيماً.

١- سورة يونس، الآية: ٢.

(٣)- ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[1].

نعرف من الآية الكريمة الصفات التالية للمخلص□:

(i)- إنهم فائزون في مقام الفقر وهم ينفقون أموالهم وثرواتهم في سبيل الله تعالى.

(ii)- إنهم يهاجرون في **سبيل ا□**. إنهم يهاجرون من مكان لا يمكن فيه إطاعة الله ورسوله ويذهبون إلى مناطق نائية وبعيدة للدعوة إلى دين الله سبحانه وتعالى تاركين أوطانهم، فلذا نجد قبور الصحابة رضي الله تعالى عنه **والأولياء** رحمهم الله تعالى بعيدة عن أوطانهم الأصلية، وقد هاجروا **إليها لإعلاء** لدين الله تعالى وأنفقوا حياتهم حتى دُفنوا فيها.

(iii)- إنهم أُخرجوا لأنهم يأخذون اسم الله تعالى وضُيّقت حياتهم وتركوا ديارهم حافظين على أنفسهم ودينهم واستوطنوا بعيدين عن أهلهم ووطنهم وخير مثال لهذا الهجرة إلى الحبشة والمدينة المنورة.

(iv)- **عندما يضطر**ون إلى الهجرة يتركون أموالهم وديارهم خلفهم بدون حزن.

(v)- إنهم هم الذين يريدون وجه الله تعالى بكل عمل يقومون به، ولا يريدون سوى ذلك لا المال والثروة ولا الشهرة ولا المناصب الدنيوية، إنهم يريدون فقط رضاء الله تعالى. رضي الله عنهم ورضوا عنه.

(vi)- إنهم **يعيشون** للدين فقط وأنهم مستعدون في كل لحظة لنصرة دين الله ورسوله كما أنهم مستعدون لكل عمل يتعلق بالدين. وإنهم في وَلَه وانتظار لنصرة دين الله تعالى سواء كان ليًلا أو نهاًرا، **صباحًا أو مساءً**،

١- سورة الحشر، الآية: ٨.

صيفا وشتاء. وينفقون لدين الله أنفسهم وأموالهم وراحتهم.

(٤)- ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾(١).

أرشدت الآية الكريمة إلى:

(i)- إن الله سبحانه وتعالى يقول يوم القيامة هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ويؤجرون. وأن الله سبحانه وتعالى يعطيهم فلاحا فلا نظير له ونعما سرمدية لا مثيل لها حيث لا يتصور عنها في هذه الدنيا.

(ii)- الذين يسلكون سبيل الحق والصدق إنهم سيجدون ثمار صدقهم في صورة الفلاح الأبدي. ويوم الجزاء يكون يوم الفلاح وتكميل آمالهم للصادق□.

(iii)- الفلاح ا□قيقي هو الفلاح الأخروي الذي يكون حقيقيا وأبديا ودائميا. ولا يمكن أن يكون فلاحا مثله، والذين فازوا بهذا الفوز هم المفلحون حقاً. وهذا هو الفوز الحقيقي وينبغي على الإنسان أن يجعله نصب عينيه ويجتهد له.

(iv)- إن الله سبحانه وتعالى يرضى عنهم للأبد وهم يرضون عنه كما جاء في ا□ديث: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِ□ي رَضِيَ ا□ُ عَنْهُ قَالَ: {قَالَ رَسُولُ ا□ صَ□لى ا□ُ عَلَيْهِ وَسَ□لَمَ إِ□نَ ا□ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ □لَبَّيْكَ رَ□بَنَا وَسَعْدَيْكَ فَيَقُولُ هَلْ رَضِيتُمْ فَيَقُولُونَ وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ فَيَقُولُ أَنَا أُعْطِيكُمْ

١- سورة ا□ائدة، الآية: ١١٩.

أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالُوا يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ فَيَقُولُ أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا} [1].

(٥)- ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[2].

أرشدت الآية الكريمة أن من المؤمنين **من يكون هدفهم وغرضهم هو رضاء الله** سبحانه وتعالى ونصيحة مخلوق الله تعالى. ومثل هؤلاء يشترون **أنفسهم لرضاء** ربهم فيمنحهم ربهم رحمته وهو رؤوف بعباده.

(٦)- ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[3].

قُدِّم في الآية الكريمة نموذجًا للتوحيد الخالص الذي سلكه كبار الأمة ومشائخه، ويقتضي أن تكون العبادات المالية والبدنية لله سبحانه وتعالى. وذكر في هذه الآية **أولا الصلاة** إذ أنها روح للأعمال الصالحة وعماد الدين. **ثم ذُكر بعدها** الأعمال والعبادات كلها إجمالا ثم ارتقى وذكرت أعمال الحياة وأحوالها وفي الأخير ذكر الموت.

ووضّح بعد ذكرها أن كل هذه الأشياء لرب العالمين الذي لا شريك له. **هي أن وأن يعرف** الإنسان في كل حال وفعل أن هناك رب الكون جميعا وأنا عبده وأنا أمام عينيه في كل وقت. **وينبغي أن لا استخدم قلبي وذهني وعيني** وأذني ولساني **ويدي** ورجلي **وقلمي** في معصيته. وهذه هي المراقبة التي لو رسخها الإنسان في ذهنه **يكون الإنسان كاملًا** ولا تقترب الذنوب والمعاصي إليه.

١- الصحيح للإمام البخاري، ج: ٣، رقم الحديث: ٢٤١١.

٢- سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

٣- سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

(٧)- ﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[1].

توجد في هذه الآية المباركة:

(i)- أُمر الإنسان أن يتكلم بالصدق.

(ii)- أُمر الإنسان أن يقوم بالإنصاف.

(iii)- أمر بعبادة الله سبحانه وتعالى بكل إخلاص.

(iv)- يُجزى الإنسان على الحسنات والسيئات.

(٨)- ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾[2].

بعض الناس بنوا مسجدًا ضرارًا لإضرار المسلمين والإسلام وليضروا دعوة الحق ويكفروا مكان العبودية، ويفرقوا المسلمين ويجعلوا المسجد في الظاهر مرصدا لأعداء ا□ ورسوله. دمر الرسول صَلى ا□ عَلَيْه وَسَلَمَ هذا ا□سجد بحكم ا□ سبحانه وتعالى. نجد في هذا الحديث درسا أن الحسنة الحقيقية هي النية الخالصة، لا يصبح العمل حسنة إلا بالنية. بناء المسجد حسنة في الظاهر ولكن إذا لم تكن النية صالحة لا يحسب صالحًا بل يحسب سيئة.

(٩)- ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[3].

١- سورة الأعراف، الآية: ٢٩.

٢- سورة التوبة، الآية: ١٠٧.

٣- سورة آل عمران، الآية: ١٦٢.

توازن الآية بين نوعين من الناس:

(i)- طالب رضاء الله تعالى.

(ii)- مستحق العذاب.

لا يستوي هذان النوعان من الناس. الذي يطيع ربه إطاعة كاملة، والذي يكون رضاء الله تعالى هدفاً وراء كل أعماله فقد أعد الله له الدرجات العليا والمقام العالي ورضوان ا□ الأبدي. والذي يتمدد في الكفر والعصيان ويستمر في عصيان ربه يكون مصيره جهنم. فلذا لا يستوي أهل الرضاء وأهل الرياء.

بيّن في الآية الكريمة أن:

(i)- لا يستوي من يريد رضاء الله تعالى ومن يريد سخطه.

(ii)- لا يستوي الذي يريد رضاء ا□ وا□رائي.

(iii)- الذين يريدون رضاء الله لهم الدرجات العلى.

(iv)- يرضى الله تعالى من الذين يريدون رضاءه.

(v)- إن ا□ يسخط من ا□رائ□.

(vi)- مصير المرائين جهنم.

(vii)- الذين يسخطون الله تعالى مصيرهم جهنم.

(viii)- الذين يرضون الله تعالى مصيرهم الجنة.

(ix)- لا يستوي المؤمن والطاغي.

(x)- لا يستوي أصحاب الجنة وأصحاب جهنم.

(١٠)- ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1].

١- سورة البقرة، الآية: ٢٦٥.

قُدّم في الآية مثال هؤلاء الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله. مثله الجنة بمكان مرتفع وأرض مستو يكفي له الطل ولو لم يصبه مطر.

إن الله سبحانه وتعالى بفضله وكرمه يقبل الصدقة في سبيله رغم الضعف والنقص الموجود فيه. **لأن المتصدق** يتصدق بالنية الخالصة وأن المال مال الله تعالى وأنني أنفقت على عباده الضعفاء. وليس لي كمال فيه، وهو يجتنب عن الرياء والمن والأذى وتكون نيته هو حصول رضاء الله تعالى فقط.

فظهرت من هذه الآية الكريمة النقاط **التالية**:

(i)- **ينبغي أن** ينفق المال لرضاء الله تعالى.

(ii)- ينبغي أن ينفق المال بكل رضاء ويقين كامل.

(iii)- لا يخسر من ينفق لرضاء الله تعالى.

(iv)- تكون عاقبة طالبي رضاء الله تعالى الحسنى.

(v)- تكون أعمال أهل الإيمان نقية من الرياء.

(vi)- **أهل الرضاء لا يريدون شكرا ولا جزاء.**

(vii)- الأجر في الآخرة يكون فقط لهؤلاء الذين يعملون **عملًا خالصًا لوجه الله** سبحانه وتعالى.

(viii)- لا تضيع حسنة أهل الرضاء ولو كانت صغيرة.

(ix)- أهل الرضاء في خير كثير.

(x)- تضيع الأعمال بالرياء ولا فائدة لها.

(١١)- ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴿٣٦﴾ بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمۡ
لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ٤١ فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ٤٢ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٤٣ عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾[1].

ذكر الله سبحانه وتعالى نعمه وفضله على المخلصين وصرّح أن الذين يجتنبون عن الرياء في جميع أعمالهم يحفظهم الله تعالى من عذاب القيامة ويدخلهم الجنة. بيّنت في الآية الكريمة النقاط التالية:

(i)- يحفظ الله المخلصين من عذاب جهنم.

(ii)- الذين يدخلون الجنة هم المخلصون عقيدة وأخلاقًا.

(iii)- تقدّم لأهل الجنة الفواكه والثمرات حسب رغبتهم مع التكريم العظيم لهم.

(iv)- أهل الجنة يستريحون على الأرائك متقابلين.

(v)- يشربون شرابا محبّبا إليهم.

(vi)- لا يوجد في شراب الجنة مرارةً ولا سكرا.

(vii)- يعذب الله تعالى المرائين.

(١٢)- ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[2].

أمرت الآية الكريمة الإنسان أن يجعل نيته في جميع أعماله خالصةً لرضاء الله سبحانه وتعالى وينقّيها من الرياء، وينبغي علينا أن نتجنّب من الرياء وحب الظهور. وينبغي كذلك أن لا نراعي في الأعمال حب الناس أو سخطهم. ويجب أن نراعي في الأعمال رضاء الله تعالى ونكمل الأعمال حسب أوامره.

(١٣)- ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ

١- سورة الصافات، الآية: ٣٦ - ٤٤.

٢- سورة الغافر، الآية: ١٤.

دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[١].

بّينت الآية الكريمة موقف الإنسان العام وسلوكه تمثيلًا، حيث إن الإنسان حينما يواجهه المشاكل يترك الرياء وحب الظهور، ويدعو الله سبحانه وتعالى خالصاً، ويهتم بالنية الخالصة في جميع عباداته، ويعد أن يكون عبداً شكوراً سبحانه وتعالى. ومن الضروري علينا أن نعمل جميع الأعمال في العسر واليسر خالصةً لرضاء ا ونتجنب عن الرياء.

(١٤)- ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[٢].

صرّحت الآية الكريمة:

(i)- أن المؤمن يدعو الله سبحانه وتعالى بإخلاص في السعة والضيق.

(ii)- الناس يدعون الله تعالى بكل إخلاص في العسر والمصيبة.

(iii)- علينا أن نخلص العبادة لله سبحانه وتعالى في كل حال.

(١٥)- ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾[٣].

وّضحت الآية الكريمة جميع الأمم حكما واحداً أن يعبدوا الله وحده عبادة خالصة من جميع أنواع الشرك والرياء، وأن يتجنّبوا من جميع الفرق الباطلة حنفاء لله. إخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى هو الدين الصحيح الذي يوصل الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى. إخلاص النية والتجنب من الرياء ومن حب الظهور أساس لجميع الأعمال.

١- سورة يونس، الآية: ٢٢.

٢- سورة العنكبوت، الآية: ٦٥.

٣- سورة البينة، الآية: ٥.

(١٦)- ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾[١].

تُفهم من الآية المباركة النقاط التالية:

(i)- ربنا واحد.

(ii)- الكل مسؤولٌ عن أعماله.

(iii)- المسلم الصادق هو المخلص لربه.

(iv)- عبادات المؤمن تكون نقية من الرياء.

(v)- أُمر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإخلاص.

(vi)- أُمرت جميع الأمم بالإخلاص.

(vii)- لا يتسلّط الشيطان على المخلصين.

(١٧)- ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[٢].

أمرت الآية الكريمة بأن:

(i)- لا ينبغي لنا أن نقوم بالنجوى.

(ii)- يجوز النجوى لإعطاء الصدقات.

(iii)- يجوز النجوى في الخيرات.

(iv)- يجوز النجوى في الصلح بين الناس.

(v)- ينبغي علينا أن نقوم بالحسنات خالصةً لوجهه سبحانه وتعالى.

١- سورة البقرة، الآية: ١٣٩.

٢- سورة النساء، الآية: ١١٤.

(vi)- الذي يعمل بالأعمال السابقة يعطيه الله أجرا حسناً.

(vii)- لا يؤجر **الإنسان** على الأعمال التي تمت رياء.

(١٨)- ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1].

يبّين الله سبحانه وتعالى مكانة إبراهيم وشأنه لأنه أعلن بتوجيه وجهه إلى الله سبحانه وتعالى وحوّل نفسه إلى الله الذي خلق السموات والأرض الذي لا شريك له فكيف يكون معبودا غيره؟ فلذا توجهت إليه توجها كاملا وأنا بري من المشركين والمرائين. **جعل ا إبراهيم عليه السلام خليلا له. إن الذاهب الثلاثة** الكبيرة تجعل إبراهيم **عليه السلام قائدًا** لها. وتذكرنا فريضة الحج وشعائرها به. بسبب إخلاصه أعطاه الله تعالى إمامة الدنيا.

فلذا يبنغي علينا أن نقلّد أقوال إبراهيم عليه السلام وننشئ الإخلاص في أعمالنا ويجب التجنب من جميع صور الرياء، فسيعطينا الله عز وجل عزا وقبولاً.

(١٩)- ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[2].

أمرنا في هذه الآية الكريمة بعبادة ربنا بكل جد واهتمام وقال ينبغي علينا أن نجعل **نيتنا خالصةً** لرضاء الله تعالى أثناء العمل ونتجنب عن الرياء.

(٢٠)- ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾[3].

وضّحت هذه الآية الكريمة الحقيقة الأساسية إن القيمة الأصلية للأعمال تكون

١- سورة الأنعام، الآية: ٧٩.

٢- سورة يونس، الآية: ١٠٥.

٣- سورة الحج، الآية: ٣٧.

للصدق والإخلاص فقط. **ولذا عندما ُيذبح حيوان** بنية **صادقة ولرضاء ا□ يكون** أجره ثابتا عند الله تعالى وإلا لا يصل إليه لحوم المواشي ولا جلودها. **وكل هذه الأشياء تبقى هنا. وكل ما يصل إليه هو** نية **الإنسان وإرادته**. وكل من عنده إيمان وعقيدة صالحة وقوية ويكون عنده أعمال وأخلاق نقية وصافية، ويكون ممتلئا بالصدق والإخلاص، فهؤلاء هم المفلحون. **الفلاح ا□قيقي لأهل الإخلاص فقط** سواء أيا كان، وأين كان، وهؤلاء يسعدون في الدارين لإخلاصهم وأخ**لاقهم،** ويحيون حياة خير وبركة في الدنيا ويدخلون الجنة التي تحتها الأنهار في الآخرة.

(٢١)- ُيبِّين لنا كتاب الله تعالى أن الصدق سنة الأنبياء. وكان الأنبياء وأصحابهم كلهم **صادق□**. كل من يتبع نبيه ورسوله هو يحبه ومن خصائص الإنسان أنه يحاول أن يسلك مسلك من يحبه. ولذا ذّكر الله سبحانه وتعالى باسمهم أنهم صادقون. **إذا** كنتم تحبونهم حقا فعليكم أن تتبعوهم. **الأنبياء الذين شهد القرآن بالصدقهم** بعضهم كالتالي:

(i)- ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴾[١].

(ii)- ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴾[٢].

(iii)- ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴾[٣].

(iv)- ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴾[٤].

١- سورة مريم، الآية: ٤١.

٢- سورة مريم، الآية: ٥٠.

٣- سورة مريم، الآية: ٥٤.

٤- سورة مريم، الآية: ٥٦.

(٧)- ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[١].

٣- **الإخلاص في الأحاديث النبوية:**

(١)- عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"}[٢].

(٢)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟، قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟، قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟، قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ"}[٣].

١- سورة آل عمران، الآية: ٦٧.

٢- الصحيح للإمام مسلم، ج:٣، رقم الحديث: ٤٣٠.

٣- المرجع السابق، ج:٣، رقم الحديث: ٤٢٦.

(٣)- عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّمَا الدِّينُ النَّصِيحَةُ"، قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: "لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ"}[1].

(٤)- عَنْ مَعْقِلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: {مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ"}[2].

(٥)- قَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَخْلَصَ اللهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ، وَجَعَلَ قَلْبَهُ سَلِيمًا، وَلِسَانَهُ صَادِقًا، وَنَفْسَهُ مُطْمَئِنَّةً، وَخَلِيقَتَهُ مُسْتَقِيمَةً، وَجَعَلَ أُذُنَهُ مُسْتَمِعَةً، وَعَيْنَهُ نَاظِرَةً، فَأَمَّا الْأُذُنُ فَقَمْعٌ، وَأَمَّا الْعَيْنُ فَمُقِرَّةٌ بِمَا يُوعِي الْقَلْبُ، وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ جَعَلَ اللهُ قَلْبَهُ وَاعِيًا"}[3].

(٦)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، يَعْنِي رِيحَهَا"}[4].

(٧)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا صَلَّى فِي الْعَلَانِيَةِ فَأَحْسَنَ، وَصَلَّى فِي السِّرِّ فَأَحْسَنَ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: هَذَا عَبْدِي حَقًّا"}[5].

(٨)- عَنْ الْمُهَاجِرِ بْنِ حَبِيبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

١- السنن للإمام النسائي، ج:٣، رقم الحديث: ٥٠٦.

٢- الصحيح للإمام مسلم، ج:١، رقم الحديث: ٣٦٦.

٣- المشكاة المصابيح، ج:٤، رقم الحديث: ١١٢٦.

٤- السنن للإمام أبي داؤد، ج:٣، رقم الحديث: ٢٧٢.

٥- السنن للإمام ابن ماجه، ج: ٣، رقم الحديث: ١٠٨٠.

"قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي لَسْتُ كُلَّ كَلَامِ الْحَكِيمِ أَتَقَبَّلُ وَلَكِنِّي أَتَقَبَّلُ هَمَّهُ وَهَوَاهُ فَإِنْ كَانَ هَمُّهُ وَهَوَاهُ فِي طَاعَتِي جَعَلْتُ صَمْتَهُ حَمْدًا لِي وَوَقَارًا وَإِنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ"}(١).

(٩)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا"}(٢).

(١٠)- عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ، فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً"}(٣).

(١١)- عَنْ خَبَّابٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَلْتَمِسُ وَجْهَ اللَّهِ فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ، فَمِنَّا مَنْ مَاتَ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِبُهَا قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ فَلَمْ نَجِدْ مَا نُكَفِّنُهُ إِلَّا بُرْدَةً إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلَاهُ وَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ خَرَجَ رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ، وَأَنْ نَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ مِنَ الْإِذْخِرِ"}(٤).

(١٢)- عَنْ أَبِي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُنِي عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ بَلَغَ بِي مِنَ الْوَجَعِ وَأَنَا ذُو مَالٍ

١- السنن للإمام الدارمي، ج: ١، رقم الحديث: ٢٥٤.

٢- الصحيح للإمام البخاري، ج:١، رقم الحديث: ٤١.

٣- الصحيح للإمام مسلم، ج:٣، رقم الحديث: ٢٣٣٢.

٤- الصحيح للإمام البخاري، ج:١، رقم الحديث: ١٢٢٢.

وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي، قَالَ: "لَا". فَقُلْتُ: بِالشَّطْرِ، فَقَالَ: "لَا". ثُمَّ قَالَ: "الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَبِيرٌ أَوْ كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ"}(١).

(١٣)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، {عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ"}(٢).

(١٤)- عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً"}(٣).

(١٥)- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَالَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا شَيْءَ لَهُ". فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا شَيْءَ لَهُ". ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ"}(٤).

(١٦)- عَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، {أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ، قَالَ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ

١- الصحيح للإمام البخاري، ج:١، رقم الحديث: ١٢٣٨.

٢- المرجع السابق، ج:٣، رقم الحديث: ١٤٢٥.

٣- الصحيح للإمام مسلم، ج:١، رقم الحديث: ١٠٨٨.

٤- السنن للإمام النسائي، ج: ٢، رقم الحديث: ١٠٥٣.

صَدَقَةٍ، وَلا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا، وَلا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ، قَالَ: إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ"} [1].

(١٧) - عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: "إِنَّهُ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ"} [2].

(١٨) - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، {عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "ثَلَاثٌ لَا يُغَلُّ عَلَيْهِنَّ صَدْرُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمُنَاصَحَةُ أُولِي الْأَمْرِ وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ"} [3].

(١٩) - عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ". قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: "الرِّيَاءُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: يَوْمَ تُجَازَى الْعِبَادُ بِأَعْمَالِهِمْ اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ بِأَعْمَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ

١- الجامع للإمام الترمذي، ج: ٢، رقم الحديث: ٢١١.

٢- السنن للإمام ابن ماجه، ج: ٣، رقم الحديث: ٨٤٤.

٣- المسند للإمام أحمد، ج: ٥، رقم الحديث: ٢٣١٢.

عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟"}(١).

(٢٠)- عَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، {أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "مَنْ سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ"}(٢).

(٢١)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: {قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: "لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ"}(٣).

(٢٢)- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: {سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى الْمَيِّتِ، فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ"}(٤).

(٢٣)- عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: {قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ الْوُضُوءُ؟ قَالَ: "أَمَّا الْوُضُوءُ، فَإِنَّكَ إِذَا تَوَضَّأْتَ فَغَسَلْتَ كَفَّيْكَ فَأَنْقَيْتَهُمَا خَرَجَتْ خَطَايَاكَ مِنْ بَيْنِ أَظْفَارِكَ وَأَنَامِلِكَ، فَإِذَا مَضْمَضْتَ وَاسْتَنْشَقْتَ مَنْخِرَيْكَ وَغَسَلْتَ وَجْهَكَ وَيَدَيْكَ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ وَمَسَحْتَ رَأْسَكَ وَغَسَلْتَ رِجْلَيْكَ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، اغْتَسَلْتَ مِنْ عَامَّةِ خَطَايَاكَ، فَإِنْ أَنْتَ وَضَعْتَ وَجْهَكَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَرَجْتَ مِنْ خَطَايَاكَ كَيَوْمِ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ"}(٥).

١- المسند للإمام أحمد، ج: ٩، رقم الحديث: ٣٦٠٢.

٢- السنن للإمام النسائي، ج:٢، رقم الحديث: ١٠٧٥.

٣- الصحيح للإمام البخاري، ج:٣، رقم الحديث: ١٥١٤.

٤- السنن للإمام أبي داؤد، ج: ٢، رقم الحديث: ١٤٣١.

٥- السنن للإمام النسائي، ج: ١، رقم الحديث: ١٤٩.

(٢٤)- عَنْ عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ ٱلْأَنصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {غَدَا عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "لَنْ يُوَافِيَ عَبْدٌ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ"}[1].

(٢٥)- عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: {سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ ٱلْإِخْلَاصِ، مَا هُوَ؟ قَالَ: "سَأَلْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَنِ ٱلْإِخْلَاصِ، مَا هُوَ؟ قَالَ: سَأَلْتُ رَبَّ ٱلْعِزَّةِ عَنِ ٱلْإِخْلَاصِ، مَا هُوَ؟ قَالَ: سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِي، اسْتَوْدَعْتُهُ قَلْبَ مَنْ أَحْبَبْتُ مِنْ عِبَادِي"}[2].

٤- **درجات الإخلاص:**

هناك ثلاث درجات للإخلاص وهي كالتالي:

(١)- **الدرجة الأولى:** أن تكون النية خالصة لوجه الله أثناء العمل، وذلك عندما نصلي تكون النية هي رضاء الله سبحانه وتعالى ولا يكون غرض آخر وتسمى هذه الدرجة بغاية الإخلاص وهذا هو المقصود ومرتبة الكمال.

(٢)- **الدرجة الثانية:** أن لا تكون هناك نية معينة أثناء العمل، بل يعمل حسب عادته. وهذه الدرجة الثانية للإخلاص. مثلما نصلي حسب العادة ولا يكون رضاء الرب في خياله ولا يكون كذلك رياء للناس. وهذه الدرجة وسطى.

وهذه الدرجة ليست درجة الكمال ولكن لا ينافي الإخلاص. وهو قريب من الإخلاص. أحيانا نحن نقوم بعمل بدون نية معينة ويصدر العمل بنفسه، ولا نجدّد النية مرة بعد مرة. وليس المقصود من هذا أن لا تكون نية العمل بل المقصود هو أن

١- الصحيح للإمام البخاري، ج:٣، رقم الحديث: ١٣٧١.

٢- المسند الفردوس بمأثور الخطاب للإمام الديلمي، رقم الحديث: ٤٥١٣، غنية الطالبين للشيخ عبد القادر الجيلاني، ص: ٥٥٤.

لا يكون التركيز على مقصود خاص يتعود الإنسان بالعمل بسبب تكراره لعمل ما.

(٣)- **الدرجة الثالثة**: للإخلاص هي أن ينوي الإنسان أثناء عمله إظهاره أمام الآخرين. وبتعبير آخر هذا رياء فقد منع الله منه منعا باتا فمثلا يصلي الإنسان ليرى الناس خشوعه وخضوعه أثناء الصلاة ويدخل فيهم حبه، وتسمى هذا غاية الإخلاص الفاسد وهذا عكس الإخلاص.

٥- **تفصيل أعمال الإخلاص:**

وللإخلاص أنواع عديدة مثل الإخلاص في الفعل والقول والحركة والسكون والفكر والذكر وغيرها. وهي كثيرة لا يمكن إحاطتها ولكن يمكن أن نقسمها إلى **ثلاثة أقسام**: المعاصي والطاعات والمباحات. كل ما يحدث من التغير حسب نية الإخلاص فهو كالتالي:

(١)- **المعاصي:**

لا يحدث تغير في المعاصي بنية الإخلاص. **ولا يثبت من حديث: {إنما الأعمال بالنيات}**[1] إذا لم تمت المعاصي بنية صالحة لا تكون مؤاخذة عليها، أو تتغير السيئات بالحسنات. وكل من يفكر بهذه الصورة فهو في خطأ فاحش. فمثلا الغيبة لفرح الآخرين أو إعطاء الفقير مال الآخرين أو بناء المسجد بالحرام أو الظن أنني أقوم بأعمال صالحة وأجد ثوابا بهذه الأعمال وكل هذه من الجهل. ولا يتبدل الظلم بالإنصاف بالنية ولا الحرام بالحلال. ولا يجوز نية الخير في الأمور المخالفة لشريعة الله سبحانه وتعالى. والشريعة فرقت وبيّنت لنا الخير والشر، وهناك فرق كبير بين الحسنة والسيئة، فكيف يتبدل الشر بالخير. عندما يكون الإنسان طالب الجاه والشوكة ويريد أن يميل الناس إليه فيستغل الشيطان من هذه الفرصة ويخطر في

١- الصحيح للإمام البخاري، ج:١، رقم الحديث: ١.

باله أن الأعمال السيئة تتغير بالحسنات. ولذا يقول سهل التستري إن الجهالة من أكبر المعاصي[١].

(٢)- **الطاعات:**

علاقة إخلاص النية في الطاعات بطريقتين:

١- أصول الصحة ٢- زيادة الأجر والثواب.

(i)- معنى إخلاص النية في أصول الصحة أن يتم في كل عمل نية العبادة لله وحده.

(ii)- وصورة زيادة الثواب هي أن تكثر في النيات الصالحة. يمكن أن تكون نيات كثيرة بعمل واحد. ولكل نية ثواب مستقل؛ لأن في كل نية حسنة بذاتها. فكل نية حسنة عشرة أضعاف. فمثلاً الجلوس في المسجد عبادة ويمكن أن تكون هناك نيات عديدة في هذه العبادة، فمثلا:

(أ) المسجد بيت الله وكل من يدخل فيه هو زائر إلى الله تعالى.

(ب) الجلوس في المسجد بنية الزيارة إلى الله.

(ت) نية انتظار من صلاة إلى صلاة أخرى.

(ث) نية الاعتكاف وغيرها.

(٣)- **المباحات:**

هناك علاقة وثيقة للمباحات جميعا بنية الإخلاص. وكل مباح يمكن أن يكون حامل ثواب بصلاح النية، والعكس صحيح، أي يكون المباح ذنباً بفساد النية. فمثلا يحب الإنسان اللباس النظيف والجميل. وإذا لبس الإنسان اللباس الجميل بنية إدخال الرعب على الآخرين أو للفخر والمباهات فيصير هذا العمل بهذه النية

١- إحياء علوم الدين للإمام أبي الحامد محمد الغزالي، ج:٤، ص: ٥٥٢.

رياء. إذا أنفق أحد على شخص لا يصلي بنية إيناسه به ويمكن له ترغيبه للصلاة فيزداد أجره، وذلك فتح الدكان واستعمال العطور وبناء البيت وغيرها كلها أعمال مباحة، لا يؤخذ عليها ولا يؤجر. ولكن إذا فتح الدكان بنية ربح الأموال والفلوس ثم مساعدة الفقراء والمساكين، وتهيئة احتياجات المسلمين، وبهذا يكون مستغنيا عن أهل الدنيا. وكل هذه التجارة تكون عبادة بسبب إخلاص النية.

٦- **ثمرات الإخلاص:**

هناك ثمرات عظيمة وفوائد جليلة للإخلاص وبعضها كالتالي:

(١)- توجد عند المخلصين ثلاثة ظواهر أي أن الله يمنح المخلصين ثلاث نعم:

(i)- توجد في كلامهم حلاوة.

(ii)- يدخل الرعب في قلوب الآخرين.

(iii)- تكون في وجوههم بشاشة ووجاهة.

(٢)- يجد خيرات الدنيا والآخرة بالإخلاص.

(٣)- الإخلاص سبب لقبول الأعمال بشرط أن تتبع السنة النبوية.

(٤)- وبالإخلاص يكتسب العبد حب ا□ وا□لائكة.

(٥)- يكتب له القبول عند أهل الأرض.

(٦)- الإخلاص أساس لجميع الأعمال.

(٧)- يؤجر بالأجر الجزيل بمقابل العمل القليل بالإخلاص.

(٨)- يكتب جميع الأعمال التي تكون لرضاء الله تعالى ولو كان مباحًا.

(٩)- يؤجر العبد المخلص بكل نية على عمل ولو لم يستطع أداءه.

(١٠)- ينصرُه الله تعالى بسبب الإخلاص.

(١١)- الإخلاص ينجي من عذاب الآخرة.

(١٢)- توجد الدرجات الرفيعة عند ا سبحانه وتعالى بالإخلاص.

(١٣)- وبالإخلاص يكون النجاة من الضلال.

(١٤)- والإخلاص يكون سببا لزيادة الهداية.

(١٥)- وبالإخلاص تطمئن القلوب ويحسّ الإنسان بالسعادة.

(١٦)- يتزين الإيمان في قلب الإنسان بالإخلاص.

(١٧)- يوفق المخلص بصحبة المخلصين ومرافقتهم.

(١٨)- تقبل الأدعية بالإخلاص.

(١٩)- يسعد الإنسان بالإخلاص بحسن الخاتمة.

(٢٠)- بالصدق والإخلاص يمنح الدخول في الجنة والنجاة من النار.

٧- **أقوال الصوفياء عن الإخلاص:**

تنسب أقوال مفيدة للصوفي عن الإخلاص:

(١)- يقول سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه الإخلاص هو أن يخلص الإنسان دينه وعمله لله سبحانه وتعالى، ولا يشرك في دينه غيره وأن لا يعمل رياء للناس[١].

(٢)- **يقول رويم** رحمة الله عليه الإخلاص هو الذي يقصد به الحق والصدق[٢].

(٣)- يقول حذيفة المرعشي رحمة الله عليه الإخلاص هو أن تستوي الأعمال الظاهرة والباطنة[٣].

(٤)- **يقول رويم** رحمة الله عليه الإخلاص هو إزالة الرياء[٤].

١- غنية الطالبين للشيخ عبد القادر الجيلاني، ص: ٥٥٤.

٢- المرجع السابق، ص: ٥٥٤.

٣- المرجع السابق، ص: ٥٥٤.

٤- المرجع السابق، ص: ٥٥٤.

(٥)- يقول أبو يعقوب المكفوف رحمة الله عليه الإخلاص هو أن يحب أن تختفي الحسنات من الناس كما يحب اختفاء السيئات من أعين الناس[١].

(٦)- يقول ذو النون المصري رحمة الله عليه الإخلاص لا يتم إلا بالصدق والصبر عليه، والصدق يكتمل إذا كان فيه إخلاص واختيرت المداومة فيه[٢].

(٧)- يقول ذو النون المصري رحمة الله عليه هناك ثلاث علامات للإخلاص:

(i)- طلب الأجر في الآخرة.

(ii)- نسيان الرياء في الأعمال.

(iii)- استواء المدح والذم من عامة الناس[٣].

(٨)- يقول أبو عثمان رحمة الله عليه الإخلاص هو إعراض الإنسان عن أعماله والإقبال إلى خالقه[٤].

(٩)- يقول الجنيد البغدادي رحمة الله عليه: الإخلاص هو الأعمال التي تمت لرضاء الله سبحانه وتعالى فقط[٥].

(١٠)- يقول أبو عثمان المغربي رحمة الله عليه:

(i)- الإخلاص هو أن يكون الإنسان في حياته لا تتدخل فيها الأهواء النفسية.

(ii)- أن يربط الإنسان جميع آماله وأمنياته بخالقه مكان المخلوق[٦].

١- المرجع السابق، ص: 555.

٢- المرجع السابق، ص: 555.

٣- الرسالة القشرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ٢٦٨.

٤- غنية الطالبين للشيخ عبد القادر الجيلاني، ص: 555.

٥- المرجع السابق، ص: 55٦.

٦- الرسالة القشرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ٢٦5.

(١١)- يقول أبو سليمان رحمة الله عليه عندما يصير الإنسان مخلصا فينتهي من عنده الوساوس والرياء[١].

(١٢)- يقول المكحول رحمة الله عليه الذي يستمر في الصدق حتى أربعين يوماً تأتي في الحكمة من قلب العبد إلى لسانه[٢].

(١٣)- يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمة الله عليه: **الإخلاص هو أن لا يعمل الإنسان** عملاً ما لحصول الجزاء بل يعمل لرضاء الله سبحانه وتعالى فقط[٣].

(١٤)- يقول عبد الواحد زيد رحمة الله عليه: الإخلاص هو أداء حقوق الله **بواسطة العمل**[٤].

(١٥)- يقول أرد شير عبادي رحمة الله عليه:

(i)- لا تقبل العبادة بغير الإخلاص كما لا قيمة للجسم بدون الروح.

(ii)- العمل بدون الإخلاص مثل بناء لا أساس له فينهدم سريعاً.

(iii)- عندما تكون أعمال الإنسان مبنية على الإخلاص تتسبب لرفع الدرجات بأن الإخلاص أعز الأشياء عند الله سبحانه وتعالى[٥].

(١٦)- يقول أبو علي دقاق رحمة الله عليه: **الإخلاص هو الابتعاد عن أع الناس**[٦].

(١٧)- **يقول عبد ا الأنصاري** رحمة الله عليه: الإخلاص هو امتياز الشيء وله ثلاثة أقسام[٧]:

١- المرجع السابق، ص: ٣٨٢.
٢- المرجع السابق، ص: ٣٨٢.
٣- **التصوف والتصورات للصوفي** للدكتور ظهير أحمد صديقي، **ص**: ٣٨٤.
٤- المرجع السابق، ص: ٣٨٤.
٥- الرسالة القشرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري، ص: ٣٨٠.
٦- المرجع السابق، ص: ٣٨٠.
٧- صد ميدان للشيخ الخواجه عبد الله الأنصاري الهروي، ص: ٦١- ٦٢.

(i)- شهادة **الإخلاص** ثلاثة شواهد:

(أ) **العمل** على الأحكام الإلهية.

(ب) الاجتناب عن منهيات الشريعة.

(ت) الاطمينان برضاء الله تعالى.

(ii)- **وللإخلاص ثلاثة شواهد:**

(أ) عدم النظر إلى المخلوق في عبادة الله تعالى.

(ب) اتباع السنة المطهرة في أوامر الحق.

(ت) التذوق بالحلاوة في الإطاعة الإلهية.

(iii)- **ولإخلاص المعرفة ثلاثة شواهد:**

(أ) الخوف الذي يسدّ من الذنوب.

(ب) الأمنية التي تستقيم في الإطاعة.

(ث) الحب الذي يوافق الأمر الإلهي.

(١٨)- يقول الشاه ولي الله الدهلوي رحمة الله عليه: العمل للتقرب إلى الله ولرضائه **الأخروي إخلاص**.الإخلاص هو القيام بالأعمال للتقرب إلى الله ولرضائه ولحصول أجر الآخرة بدون النظر إلى مدح الناس[1].

(١٩)- يقول الشيخ ضياء الدين السهروردي رحمة الله عليه: الإخلاص هو إخراج الخلق في أمر الحق[2].

(٢٠)- هناك قول صوفي: الصدق والإخلاص هو أن لا يجعل الإنسان شاهداً على عمله

١- الحجة الله البالغة للشاه ولي الله المحدث الدهلوي، ج:٤، ص: ٤٤٥.

٢- آداب المريد للشيخ ضياء الدين السهروردي، ص: ٣٧.

سوى الله سبحانه وتعالى[1].

٨- **وقائع أهل الإخلاص:**

هناك أدلة واضحة على كون الإخلاص شرطا في الأعمال الشرعية وأقوالها، ولا يقبل الله عملا لا يكون فيه الإخلاص ورضاء الله تعالى. ولذا كان العلماء والزهاد يجتهدون اجتهادا بالغا لتصحيح النية والإخلاص أعز الأشياء عندهم. والأسلاف الصالحون كانوا لا يفكرون في أعمالهم بمقدار تفكيرهم في إخلاص النية، لأن النية إذا كانت معيبة تكون باعثة ضياع الآخرة والثواب. للعظة والتذكير يذكر بعض الأحداث ووقائعهم.

(١)- كان سيدنا عمر الفاروق رضي الله تعالى عنه وضع أصولا للصدقة وضوابط وهي أن الأقرباء بعضهم يرضون لأسباب وبعضهم يسخطون لوجوه أخرى. وكان يجب أن يعطي الفقراء الذين يسخطون عنه؛ لأن الإنسان لا يتوقع الشكر من الأقرباء الساخطين وانتظار الشكر بعد الصدقة خلاف الصدق والإخلاص.

(٢)- عندما خرج صهيب رضي الله تعالى عنه من مكة المكرمة مهاجرا صدت قريش وقالت أنت لا تستطيع أن تذهب إلى المدينة، فقال لهم أنتم تعرفون جيدا أنني من أمهر الرماة فيكم لو بقى في جعبتي رمح واحد أنتم لن تقتربوا إليّ حينما تنتهي رماحي فأقاتلكم بسيفي عندما لا استطيع حمل السيف افعلوا ما تشاؤون فلا أبالي. إن كنتم تريدون مالي تعالوا أخبركم مكان المال فاذهبوا وخذوه وخلّوا سبيلي لأهاجر إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقبلوا كلامه. حوّل صهيب رضي الله تعالى عنه جميع أمواله إلى الكفار صيانة لدينه وإيمانه، ووصل إلى مكة المكرمة خالي اليد. وحكى تفاصيل قصته أمام الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له الرسول صَلَّى اللهُ

١- الحجة الله البالغة للشاه ولي الله المحدث الدهلوي، ج:٤، ص: ٤٤٥.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربحت في تجارتك، ربحت أبا يحيى[1].

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[2].

فظهر من هذا أن إنفاق جميع الأموال ليس خسارة بل هو ربح محض، وسبب لرضاء الخالق وفلاح الدارين.

(٣)- كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذهب إلى غزوة، فقال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيلتقى بنا في السبيل رجل صمّم مخالفة الشيطان منذ ثلاثة أيام. فرأى الصحابة بعد مدة وجيزة من السفر شخصا قد اتصل اللحم بالعظام أي صار نحيفا جدا واختفت العيون في الحدق، واخضرت الشفة بسبب أكل عشب الغابة، فبرز الرجل وسأل عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فعرّف الصحابة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سأل الرجل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإسلام، فقال له الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصلوات الخمسة وصوم رمضان. فقال قبلت، وقال حج البيت على المستطيع وإيتاء الزكوة على الغني وغسل الجنابة، فقال الرجل قبلت. فتقدم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان الرجل أيضا معه فتأخر إبله، فوقف الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبدأ الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين يبحثون فرأوا أن أرجل إبله قد خسفت في جحر الضب فسقط إبله فكسر عنق الإبل وصاحبه فماتا فأخبر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الحادثة.

عندما وصل الخبر فأمر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوراً لإقامة الخيمة وكُفن الميت وخرج من الخيمة وقال للصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين إن هذا البدوي ذهب من الدنيا جائعا وقد تاب وآمن، ولم يظلم أحدا بعد إيمانه ولم يرتكب بذنب

١- تفسير الدر المنثور للإمام جلال الدين السيوطي، تفسير سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

٢- سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

فاستقبلته حور الجنة بالورود وملأن فمه بالفواكه فتقول حور يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلني زوجته والثانية تقول: اجعلني زوجته[١].

(٤)- عندما فتحت مكة فرّ عكرمة بن جهل رضي الله تعالى عنه ظانًا منه أن لا يجد عفوًا بأي صورة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوصل ميناء جده وركب السفينة، ولكن حينما تحركت السفينة من الشاطيء ووقعت بين الطوفان، فتيقن الملاح والمسافرون أنه لا مناص لهم. فبدأ عكرمة يدعو اللات والعزى والمنات حينما رأى الحالة. فقال الملاح للمسافرين عندما تواجه السفينة مثل هذه الحالة ينبغي أن تدعوا الله سبحانه وتعالى وحده، فلذا عليكم أن تدعوه فقط واتركوا الرياء، وليس هناك من ينجي السفينة وأصحابها. فتأثر عكرمة رضي الله تعالى عنه بكلامه ففكر أن محمد صلى الله عليه وسلم يدعوا بهذا. فنوى عكرمة أنه سيقبل الإسلام إن نجانا الله من هذه المصيبة. فنزلت السفينة بفضل الله وكرمه على الشاطيء، ووصل عكرمة إلى مكة فاستغفر من ذنوبه السالفة، وتاب بقلب صادق وقبل الإسلام. فقضى عكرمة رضي الله تعالى عنه حياته الباقية لإعلاء كلمة الإسلام بإخلاص وصار صحابيًا مخلصًا مع رسوله[٢].

(٥)- عَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أُهَاجِرُ مَعَكَ، فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةٌ، غَنِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيًا فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا ؟ قَالُوا: قِسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَهُ، فَجَاءَ بِهِ

١- بحار الأنوار للمُلاّ محمد باقر مجلسيى، ص: ٢٨٢.

٢- تفسير الدر المنثور للإمام السيوطي، تفسير سورة يونس، الآية: ٢٢.

إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذا؟ قال: "قسمته لك"، قال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى هاهنا وأشار إلى حلقه بسهم فأموت فأدخل الجنة، فقال: "إن تصدق الله يصدقك"، فلبثوا قليلا ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم يحمل قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أهو هو؟"، قالوا: نعم، قال: "صدق الله فصدقه" ثم كفنه النبي صلى الله عليه وسلم في جبة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قدمه فصلى عليه فكان فيما ظهر من صلاته: "اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك فقتل شهيدا أنا شهيد على ذلك"}[1].

(٦)- مرّ رجل من بني إسرائيل من عند هضبة رمل في زمن جدب، ففكر في قلبه لو صارت هضبة الرمل زرعا لقسمته بين مصابي الجدب لينتفعوا به. فأنزل الله وحيا على نبي زمانه قل للرجل تقبل الله صدقتك، وشكر حسن نيتك، وإن الله تعالى سيجزيك حسب صدقتك[2].

(٧)- يقول الإمام الغزالي رحمة الله عليه: رأى رجل شيخا في المنام، فسأله ماذا رأيت أعمالك؟ فأجابه وجدت ثواب كل عمل قمت به خالصا لوجهه سبحانه وتعالى، حتى وجدت جزاء حبة رمان رفعتها احتراما، ووجدت قطة ميتة ضمن الحسنات. ووجدت خيط الحرير على قلنسوتي ضمن سيآتي. وما وجدت ثواب حماري الذي ثمنه مائة دينار؛ لأنني ما نويت بالرضاء على رضاء الله بعد ما سمعت خبر موته. ولذا قيل لي ضاع ثوابك في الحمار. ولو قلت ذهب في سبيل الله لوجدت

١- السنن للإمام النسائي، ج: ١، رقم الحديث: ١٩٥٩.

٢- إحياء علوم الدين للإمام أبي الحامد محمد الغزالي، ج:٤، ص: ٥٤٤.

الثواب[1].

(٨)- إن عابداً من بني إسرائيل كان يعبد الله دهرا طويلا فجاءه قوم قالوا: إن ههنا قوما يعبدون شجرة من دون الله تعالى، فغضب لذلك وأخذ فأسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها، فاستقلبه إبليس في صورة شيخ فقال: أين تريد رحمك الله؟ قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة، قال: وما أنت وذاك! تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك! فقال إن هذا من عبادتي، قال: فإني لا أتركك أن تقطعها، فقاتله فأخذه العابد فطرحه على الأرض وقعد على صدره فقال له إبليس: اتركني حتى أكلمك، فقام عنه فقال إبليس: يا هذا إن الله تعالى قد أسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك! وما تعبدها أنت وما عليك من غيرك، ولله تعالى أنبياء الله تعالى في أقاليم الأرض ولو شاء لبعثهم إلى أهلها وأمرهم بقطعها! فقال العابد لا بد لي من قطعها، فنابذه القتال، فغلبه العابد، وصرعه وقعد على صدره، فعجز إبليس، فقال له: هل لك في أمر فصل بيني وبينك وهو خير لك وأنفع؟ قال: وما هو؟ قال: اتركني حتى أقول لك، فأطلقه فقال إبليس: أنت رجل فقير، لا شيء عندك، إنما أنت كَلٌّ على الناس يعولونك، ولعلك تحب أن تنفصل على إخوانك وتواسي جيرانك وتشبع وتستغني عن الناس! قال: نعم، قال: فارجع عن هذا الأمر، ولك عليّ أن اجعل عند رأسك في كل ليلة دينارين، إذا أصبحت أخذتها فأنفقت على نفسك وعيالك، وتصدّقت على إخوانك، فيكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التي يغرس مكانها، ولا يضرهم قطعها شيئا ولا ينفع لك المؤمنين قطعك إياها! ففكّر العابد فيما قال وقال: صدق الشيخ! لست بنبيّ فيلزمني قطع هذه الشجرة ولم يأمرني الله تعالى أن أقطعها فأكون

١- المرجع السابق، ج:٤، ص: ٥٦٦.

عاصيا بتركها، وما ذكره أكثر منفعة، فعاهده على الوفاء بذلك وحلّف له، فرجع العابد إلى معبده فبات، فلما أصبح رأي دينارين عند رأسه فأخذهما، وكذلك الغد، ثم أصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيئا. فغضب وأخذ فأسه على عاتقه فاستقبله إبليس في صورة شيخ فقال له: إلى أين؟ قال اقطع تلك الشجرة فقال: كذبت والله ما أنت القادر على ذلك ولا سبيل لك إليها، قال: اقطع تلك الشجرة، فقال كذبت والله ما أنت بقادر على ذلك ولا سبيل لك إليها، قال: فتناوله العابد ليفعل به كما فعل أول مرة فقال: هيهات، فأخذه إبليس وصرعه، فإذا هو كالعصفور بين رجْلَيه، وقعد إبليس على صدره وقال: لتنهى عن هذا الأمر أو لأذبحنك؟ فنظر العابد فإذا لا طاقة له به، قال: يا هذا غلبتني فخل عني وأخبرني كيف غلبتني الآن؟ فقال: لأنك غضبت أول مرة وكانت نيتك الآخرة فسخرني الله لك، وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيا وللدينارين فصرعتك[1].

(٩)- يقول عبد ا بن سنان رحمة الله عليه كنت مع عبد الله بن مبارك في جهاد فبدأ القتال مع العدو بغتة، فقام عبد الله بن مبارك مع الجيش. عندما اقتحمت صفوف المسلمين بالكفار فبرز شخص من الروميين ودعا المسلم للمواجهة. فتقدم مسلم ولكن الرومي هجم بشدة فاستشهد المسلم ثم بارز مرة ثانية وهكذا استشهد حوالي ستة أنفار من المسلمين، وكان الرومي يمشي بين صفوف المسلمين بطرا وكبرا، ويبارز مرة بعد مرة ولكن لا يخرج في مقابله أحد.

عندما رأى هذا المنظر توجه عبد ا بن المبارك رحمة الله عليه إليّ وقال إن استشهدت فقم بأمور فلانية وفلانية، ثم واجه الرومي وقتله، فخاف الروميون حتى أنهم لم يستطيعوا مواجهة عبد الله بن المبارك رحمة الله عليه لإنه كان يقاتل

١- المرجع السابق، ج:٤، ص: ٥٦٤.

لرضاء الله تعالى لا للرياء. فلذا لا تخبر هذا الخبر أحداً. **يقول عبد ا□ بن سنان إنني** لم أخبر عنها أحداً في حياته.

(١٠)- حاصر مسلمة بن عبد الملك **(أخو وليد بن عبد ا□لك)** حصن العدو، ولكنه تحمل مشقة **وصعوبة** كبيرة، فنظر الناس جُحرا في الحصن ولكن لا يستطيع أحد أن **يدخله.** فدخل شخص من الجيش في الجحر وفتح باب الحصن ففتح الحصن.

أعلن مسلمة بن عبد الملك أن الذي قام بهذا العمل فعليه أن يتقدم إلى الأمام لأمنحه الهدية، ولكن لم يخرج أحد رغم الإعلان ثلاث مرات. حينما أعلن في المرة الرابعة جاء شخص وأخذ يقول: أيها الأمير أنا الذي قمت بهذا العمل ثم أقسم بالله، وقال لا تعطيني منحة ولا تبعدني؛ لأني قمت به خالصا لرضاء الله سبحانه وتعالى. **فقال** مسلمة بن عبد الملك حسن، نحن نفعل ما تريد ثم غاب الرجل ولم ير بعده.

(١١)- يقول الجنيد البغدادي رحمة الله عليه **تعلمت الإخلاص من حجام.** مرة ذهبت إلى حجام والتمست له ليس لي شيء لأعطيك، فاحلق رأسي لوجه الله تعالى، وكان في ذلك الوقت مشغولا بشعر رئيس مكة المكرمة، فترك عمله فوراً وقال لي اجلس، فاعترض الرئيس على هذا السلوك؛ قال الحجام معتذرا عندما يأتي اسم الله تعالى أترك الأمور جميعا. تعجبت من إجابة الحجام، ثم اقترب إليّ وقبّل رأسي بعد حلق رأسي فأعطاني خرمة فيها بعض الفلوس والتمس إليّ هذه الفلوس وكان الإخلاص يتدفق من لهجته.

يقول الجنيد البغدادي رحمة الله عليه قبلت هذه الدنانير وعهدت الله أن أرجع فلوسه في أول فرصة بعدما أجد المال. ثم وجدت المال بعد أيام فذهبت به إلى الحجام وقدمته إليه، فسأل الحجام متحيرا فأخبرته بالقصة، فظهرت آثار السخط بعدما سمع حال نيتي، وقال إن هذا الرجل قال لي أن أصنع شعره لوجه الله تعالى،

فصنعت شعره والآن يعطيني العوض، وهل رأيت إنسانا يعمل لله سبحانه وتعالى ثم **يأخذ الأجر بمقابله.**

(١٢)- سجنت حكومة الوقت شيخا، فكلما يأتي يوم الجمعة يغتسل هذا الشيخ ويغيّر الملابس، وعندما يأتي صوت الآذان يذهب إلى الباب ثم يرجع. **فسأله الناس ما** القضية؟ فقال: قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[1]. فاستعد للعمل على هذه الآية الكريمة واذهب إلى المكان الذي استطيع أن أذهب إليه.

(١٣)- وللإخلاص دخل كبير في المعاملات. **حتى ولوُبني مسجد بنية فاسدة فيكون هذا** العمل إثما بسبب سوء نيته. وخير مثال لهذا مسجد الضرار. كان في المدينة قبل الهجرة راهب اسمه أبو عامر، وكان من الخوارج. وتنصّر في الجاهلية، وكان عالما **لعلم أهل الكتاب، وعابدا، وكان الناس** يعترفون بسيادته. **وعندما وصل الرسول** صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة بدأ الناس يدخلون في الإسلام أفواجا، فتنقص من كرّ وفر، فابتلى بالحسد، وبدأ يخالف المسلمين علناً.

ذهب هذا الرجل إلى ملك الشام هرقل بعدما رأى نجاح المسلمين وأعدّه لحرب **النبي صلى الله عليه وسلم** ووعد هرقل بهجومه على المدينة المنورة. **كتب أبو عامر** رسالة إلى أفراد حزبه بأنه سيقطع جذور المسلمين وقد وعدني هرقل بأنه سيهجم بجيش كبير على المدينة، فابنوا مسجدا ليسكن فيه كل من يأتي من قصادي وتتم **المشورة فيه وليكون لنا** ملجأ ومرصدا محفوظا ضد المسلمين وليكون سببا **للتحزّب والتشتّت بين المسلمين.**

١- سورة الجمعة، الآية: ٩.

فبدأ المنافقون ببناء المسجد عند قباء فشيّدوه قبل ذهاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى غزوة تبوك. جاء المنافقون إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبدأوا يقولون بنينا مسجدًا بالقرب لضرورة المرضى والعجوز الذين لا يستطيعون أن يصلوا بالجماعة بسبب بعدهم وضعفهم، لا سيما في ليالي الشتاء إلا بمشقة. فأرجو منكم أن تحضروا فيه وتصلوا بنا ليكون حجة لنا، ونبدأ الصلاة فيه. رجع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غزوة تبوك فأخبره الله وحيا عن حقيقة المسجد الذي بناه المنافقون، وقال إن المنافقين يريدون أن يصدوا الناس عن الذهاب إلى مسجد قبا ويضروا الإسلام، فأُمر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يصلي وأصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين في قبا ويدمّروا مسجد المنافقين.

فأحرق المسجد الذي بُني بنية فاسدة، واشتهر هذا المسجد بمسجد الضرار. لا يستوي المساجد التي تبنى بنية التقوىٰ والتي تتم بناءها بالنفاق، وقد ذكر الله في كتابه هذه الحقيقة، قائلا: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ١٠٨ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1].

تم الكتاب بعون الله وتوفيقه وفضله أدعو الله سبحانه وتعالى أن يجعل الكتاب

١- سورة التوبة، الآية: ١٠٧- ١١٠.

المصادر والمراجع



المصادر والمراجع

١- الأبيات للشيخ سلطان باهوؒ، فقير عبد الحميد، **لاهور، ١٩٩٩م.**

٢- إحياء علوم الدين للإمام أبي الحامد محمد الغزاليؒ، **دارالاشاعت كراچي، ١٩٩٩م.**

٣- آداب السلوك للشيخ عبد القادر الجيلانيؒ، زاويه فاؤنديشن، لاهور، ٢٠٠٠م.

٤- آداب المريد للشيخ ضياء الدين أبو النجيب عبد القاهر السهرورديؒ، التصوف فاؤنديشن، **لاهور، ١٩٨٨م.**

٥- آداب المفرد للإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاريؒ، **إسلامك أكيدمي، لندن، ٢٠٠٦م.**

٦- إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء للشاه ولي الله المحدث الدهلويؒ، **قديمي كتب خانه، كراچي، ١٩٩٩م.**

٧- استيعاب في معرفة الأصحاب، تذكرة سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه، للشيخ عبد البرؒ، دارالجبل، بيروت، **١٩٨١م.**

٨- أنوار سلطاني للشيخ سلطان باهوؒ، فقير عبد الحميد، لاهور، **١٩٩٩م.**

٩- إيضاح الحق الصريح للشاه إسماعيل الشهيدؒ، زمزم ببليشر، **كراچي، ٢٠٠٥م.**

١٠- بحار الأنوار للمُلاّ محمد باقر مجلسيؒ، محفوظ ايجنسيى، **كراچي، ١٩٨٠م.**

١١- **البداية والنهاية** للإمام أبي الفدا عماد الدين ابن كثيرؒ، **نفيس أكيدمي، كراچي، ١٩٨٧م.**

١٢- بهجة الأسرار للشيخ عبد الحق المحدث الدهلويؒ، **المكتبةالنبوية، لاهور، ٢٠٠١م.**

١٣- بوستان للشيخ شرف الدين مصلح سعدي الشيرازيؒ، مشتاق بک کارنر، **لاهور، ١٩٩٨م.**

١٤- تاريخ ابن خلدون للعلامة عبد الرحمن ابن خلدونؒ، **نفيس أكيدمي، كراچي، ٢٠٠٣م.**

١٥- تُب من الذنوب لمولانا ذي الفقار أحمد النقشبنديؒ، المكتبة الفقير، فيصل آباد، **٢٠٠٩م.**

١٦- التحقيق ما للهند من مقولة في العقل أومرذولة: كتاب الهند لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني، **بك تاك، لاهور، ٢٠١١م.**

١٧- تزكية وإحسان للشيخ أبو الحسن على الندويؒ، مجلس نشريات، **كراچي، ٢٠٠٤م.**

١٨- **التصوف والتصورات للصوفية** للدكتور ظهير أحمد صديقيؒ، **سيتهى بكس**، لاهور، **٢٠٠٨م.**

١٩- التعرف لأبي بكر بن أبي إسحاق محمد بن إبراهيم البخاري الكلاباذيؒ، التصوف فاؤنديشن، لاهور، ١٩٩٨م.

٢٠- تفسير ابن كثير للإمام أبي الفدا عماد الدين ابن كثيرؒ، المكتبة القدوسية، لاهور، ٢٠٠٦م.

٢١- تفسير الدر المنثور فى التفسير بالماثور للإمام الجلال الدين السيوطيؒ، ضياء القرآن، لاهور، ٢٠٠٦م.

٢٢- تفسير القرطبي للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبيؒ، ضياء القرآن، لاهور، ٢٠١٢م.

٢٣- التفسير المظهري، للشيخ القاضي ثناء الله باني بتيؒ، دار الإشاعة، كراچي، ١٩٩٩م.

٢٤- تفهيم القرآن لمولانا أبي الأعلى المودوديؒ،الاصلاح كميونيكيشن نيت ورک، لاهور، ١٩٩٩م.

٢٥- تقدیر پر راضی رہنا چاہیے مولانا تقي العثمانيؒ، الميمن الاسلامک ببليكيشن، كراچي، ٢٠٠٦م.

٢٦- التكبر للدعوة الإسلامية، المكتبة المدينة باب المدينة، كراچي، ٢٠٠٩م.

٢٧- تلبيس إبليس للإمام عبد الرحمن الجوزيؒ، المكتبة الإسلامية، لاهور، ٢٠٠٩م.

٢٨- الجامع للإمام محمد بن عيسى الترمذيؒ، دار الإشاعة، كراچي، ٢٠٠٦م.

٢٩- جلاء العينين للشيخ الإسلام ابن تيميةؒ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٨م.

٣٠- حاضر العالم الإسلامي للشكيب أرسلانؒ، دار الفكر، بيروت، ١٩٧١م.

٣١- الحجة الله البالغة مترجم رحمة الله واسعة للشاه ولي الله المحدث الدهلويؒ، زمزم ببليشرز، كراچي، ٢٠٠٥م.

٣٢- الحكايات للشيخ شرف الدين مصلح سعدي الشيرازيؒ، إنسائكلوبيديا، مشتاق بك كارنر، لاهور، ١٩٨٨م.

٣٣- حلية الأولياء وطبقات الاصفياء للإمام الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني الشافعيؒ، دار الإشاعة، كراچي، ٢٠٠٦م.

٣٤- الرباعيات لأبي سعيد فضل الله بن أبو الخير أحمد بن محمد بن إبراهيمؒ، قادري أكيدمي، كراچي، ١٩٩٠م.

٣٥- الرجوم المذنبين من الشيخ إمداد الله المهاجر المكيؒ، دار الفكر، بيروت، ١٩٧١م.

٣٦- الرحيق المختوم لمولانا صفي الرحمن مباركفوريؒ، المكتبةالسلفية، لاهور، ٢٠٠٠م.

٣٧- الرسالة القشرية في علم التصوف للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيريؒ، إداراه بيغام القرآن، لاهور، ٢٠٠٧م.

٣٨- الرسائل الإمام الرباني المجدد ألف ثانيؒ، المدينة كمبنى، كراچي، ١٩٧٦م.

٣٩- سكون القلب للشيخ أشرف على التهانويؒ، المكتبة الإنعامية، كراچي، ١٩٨٦م.

٤٠- السنن للإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجةؒ، المكتبة العلم، لاهور، ٢٠١٠م.

٤١- السنن للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستانيؒ، دارالسلام، الرياض، ٢٠٠٧م.

٤٢- السنن للإمام احمد بن شعيب النسائيؒ، دار الإشاعة، كراچي، ٢٠٠١م.

٤٣- السنن للإمام عبدالرحمٰن الدارمىؒ، دارالكتاب العربى، بيروت، ١٩٩٧م.

٤٤- الشعب الإيمان للإمام أبو بكر أحمد بن حسين البيهقيؒ، دار الإشاعة، كراچي، ٢٠٠٧م.

٤٥- شكر الله عز وجل للإمام أبي بكر عبد الله بن محمد القرشي المعروف الإمام ابن أبي دنياؒ، المكتبة المدينة، كراچي، ٢٠١٠م.

٤٦- الصحيح للإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوريؒ، مركزى جمعيت لأهل الحديث بالهند، دلهي، ٢٠٠٤مـ.

٤٧- الصحيح للإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاريؒ، مركزى جمعيت لأهل الحديث بالهند، دلهي، ٢٠٠٤م.

٤٨- صد ميدان للشيخ الخواجه عبد الله الأنصاري الهرويؒ، التصوف فاؤنديشن، لاهور، ١٩٩٨م.

٤٩- الصراط المستقيم للسيد أحمد شهيدؒ، سني أكيدمي باكستان، لاهور، ١٩٨٨م.

٥٠- طبقات ابن سعد: طبقات الكبير لمحمد بن سعدؒ، نفيس أكيدمي، كراچي، ٢٠٠٦م.

٥١- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين للإمام الحافظ ابن القيمؒ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٨م.

٥٢- عيون الحكايات للإمام عبد الرحمن ابن الجوزيؒ، المكتبة الإسلامية، لاهور، ٢٠٠٩م.

٥٣- غنية الطالبين للشيخ عبد القادر الجيلانيؒ، حامد أيند كمبني لاهور، ١٩٨٨م.

٥٤- الفوائد الشاكر للدكتور شهزاد فيصل بن مشعل بن عبد العزيز آل السعود، دار الإبلاغ، لاهور، ٢٠١٠م.

٥٥- في السماع والرقص للشيخ الإسلام ابن تيميةؒ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٨م.

٥٦- فيوض يزداني مترجم الفتح الرباني للشيخ عبد القادر الجيلانيؒ، اعتقاد ببليكيشن هاؤس، نئي دلهي، ١٩٨٦م.

٥٧- قوت القلوب لأبي طالب محمد بن عطية حارثي مكيؒ، الشيخ غلام ايند سنز، لاهور، ١٩٩٩م.

٥٨- كشف المحجوب للسيد على الهجويريؒ، اسلامک ببليکيشنز، لاهور، ١٩٨٨م.

٥٩- كشف الظنون للمُلاّ كاتب جلبي، المكتبة الشرف، بتنه، ٢٠١١م.

٦٠- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للإمام على متقى بن حسام الدينؒ، دار الإشاعة، كراچي، ٢٠٠٩م.

٦١- اللمع في التصوف للشيخ أبي نصر السراج، التصوف فاؤنديشن، لاهور، ٢٠٠٠م.

٦٢- المثنوى الرومى لمولانا جلال الدين الروميؒ، الفيصل ناشران وتاجران كتب، لاهور، ٢٠٠٦م.

٦٣- مدارج السالكين بين منازل "إياک نعبدو وإياک نستعين' للإمام الحافظ ابن القيمؒ، دارالكتاب العربى، بيروت، ١٩٨٨م.

٦٤- المسند الفردوس بمأثور الخطاب للإمام الديلميؒ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م.

٦٥- المسند للإمام أحمد بن حنبلؒ،المكتبة الرحمانية، لاهور، ٢٠٠٤م.

٦٦- المشكاة المصابيح للإمام محمد بن عبد الله ولى الدين الخطيب التبريزيؒ، المكتبة المحمدية، لاهور، ٢٠٠٥م.

٦٧- المصنف ابن أبى الشيبة للإمام ابى بكر عبدالله بن محمد ابن أبى شيبةؒ، المكتبة الرشد، الرياض، ٢٠١٢م.

٦٨- معدن المعاني للشيخ شرف الدين يحىٰ المنيريؒ، المكتبة الشرف، بتنه، ٢٠١١م.

٦٩- المقامات للسلوك للشيخ الدكتور محمد عبد الرحمن عميره المصريؒ، ضياء القرآن، لاهور، ١٩٩٩م.

٧٠- مكاشفة القلوب، للإمام أبي الحامد محمد الغزاليؒ، مشتاق بک كارنر، لاهور، ٢٠٠٠م.

٧١- منهاج القاصدين للإمام عبد الرحمن الجوزيؒ، إداره معارف إسلامي، لاهور، ١٩٨٥م.

٧٢- المواعظ للشيخ شرف الدين مصلح سعدي الشيرازيؒ، مشتاق بك كارنر، **لاهور، ٢٠٠٦م.**

٧٣- المؤطأ للإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدنيؒ، **دار إحياء** التراث العربي، بيروت، **٢٠١١م.**

٧٤- نهج البلاغة للسيد على بن أبى طالب رضي الله تعالى عنه، دارالكتاب المصرى، **القاهرة، ٢٠٠٤م.**

٧٥- Preaching of Islam by T. W. Arnold المترجم: **عنايت ا**، اسلامک ببليکيشنز، **لاهور، ١٩٨٨م.**

٧٦- The Reconstruction of Religious Thoughts in Islam by Dr. Muhammad Iqbal, Standford University Press, California, 2013.

***

التعريف بالمصنّف



حصـل ظفر الله خان التعليم الابتدائي في مدينة الصـوفية ملتان، وفاز بدرجات عالية في جميع المراحل التعليمية من مجلس التعليم في المدينة المذكورة حتى أكمل مـرحلة البكالوريوس من جامعة بهاء الدين زكريا، ملتان بتقدير ممتاز و فاز في اختبار الشهادة العالمية في العلوم الإسلامية (١٩٨١م). وحصـل على المركز الأول في اختبار مرحلة الماجستير بقسم العلاقات الدولية بجامعة القائد الأعظم، إسلام آباد (١٩٨٤م).

التحق المصـنف بالجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد مدرّسا إلى أن انضـمّ إلى مجموعة الإدارة المحلية للخدمة المدنية في باكستان (١٩٨٧م). حصـل على المركز الأول في اختبار ليسـانس الحقوق من جامعة المدنية بلندن (١٩٩٧م)، كما حصل على دبلوم الدراسات العليا من جامعة غرب إنجلترا بريستول (المملكة المتحدة)، وحصـل أيضـا شهادة القانون من قِبل لنكنز إن، لندن (١٩٩٨م). واشترك في العديد من الدورات التدريبية الخاصة حول قانون العلاقات الدولية في لاهاي (هولندا)، وتورين (إيطاليا)، وجنيف (سويسرا)، وأكسفورد (المملكة المتحدة).

استقال المصـنف من مجموعة الإدارة المحلية (٢٠٠٢م)، واشتغل بمهنة المحاماة. وقام بالتدريس في عديد من الجامعات المؤقـرة في مجال القانون والعلاقات الدؤلية مثل: جامعة القائد الأعظم، وجامعة إقـرأ، وجامعة البحرية، وجامعة بنجاب، وأكاديمية الإدارة المحلية، و الجامعة الإسـلامية العالمية، و أكاديمية إدارة الشرطة.

وقد انسـلك المصـنف بوزارة القانون سكرتيرا لأمور قانونية (٢٠١٣م)، وخدم باكسـتان كوزير العدل، ووزير حقوق الإنسان، والاقتصـاد، وشؤون البرلمان (٢٠١٤م - ٢٠١٨م). وصنّف عديدًا من الكتب حول الإسلام، والتصوف، والقانون، وحقوق الإنسان.

يؤمن المصـنف بالتصـوف والإحسـان المبني على المنهج النبوي صلى الله عليه وآله وسلم والسـلف الصالحين، وهو مشغول بالتعليم والتربية في المجال المذكور.